

لَهْجَاتُ الْعَرَبِ
فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
دراسة استقرائية تحليلية

تأليف
عبدالله عبدالناصر جبري



دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان

الكتاب : لهجات العرب في القرآن الكريم
دراسة استقرائية تحليلية

المؤلف : عبدالله عبدالناصر جبري
الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

عدد الصفحات: 312

سنة الطباعة: 2007 م

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الأولى

Title : **Lahajät al-°Arab
fi al-Qur°än al-Karim**

(The Arabic dialects
in the Holy Qur'an
an analytical-inductive study)

Author : °Abdullah °Abdul-Nāšir Jabri

Publisher : Dar Al-kotob Al-Ilmiyah

Pages : 312

Year : 2007

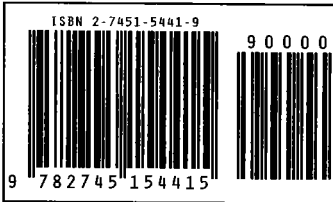
Printed in : Lebanon

Edition : 1st

هذا الكتاب بالأصل رسالة أعدت لنيل درجة
الماجستير في اللغة العربية من كلية الدعوة
الإسلامية بطرابلس الغرب-ليبيا تحت إشراف
الأستاذ الدكتور المختار أحمد ديره خلال العام
الجامعي ٢٠٠٤-٢٠٠٥ م.

جميع الحقوق محفوظة

2007 م - 1428 هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ
نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى
وَالِدَيَّْ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا
تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي
عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾

(النمل من الآية: ١٩)

الإهداء

- شيخي الذي:

رعاني منذ نعومة أظفاري برموش عيونه...

حرص بشدة على إتمام هذه المرحلة بل ومواصلة

رسالة الدكتوراه...

أعجز عن ردّ بعض ما قدمه وهذه سنة الحياة...

والدي الشيخ عبد الناصر جبري

- وإلى التي ذابت من أجل أن تنير لي الطريق

والدتي

فأتضرع إلى الله أن يرحمهما كما ربياني صغيراً

مقدمة

الحمد لله القائل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢] ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨] وصلى الله على النبي العربي أبي القاسم محمد، أفصح من نطق بالضاد، وعلى آله وصحبه، وبعد:

من المعروف عن المجتمع العربي أنه كان قبيل مجيء الإسلام مجتمعاً قبلياً، وقد ظل هذا الطابع الاجتماعي سائداً في العصور الإسلامية، وكان لكل قبيلة موطن خاص بها وحدود، وأن نظام البداوة وما يقتضيه من الترحل والانتقال، وما استتبعه أيضاً من احتكاك مع قبائل أخرى أو أناس غير عرب هو من أسباب الفوارق اللغوية التي قد تغطي فتؤلف لهجات متباينة. إن القرآن الكريم - من دون شك - هو أفصح ما نطق بالعربية، وكانت فصاحته على نحو معجز لكل فصحاء العرب، في عصر تألفت فيه ملكة البيان في أكمل صورها، لدى قوم كان البيان أحسن بضائعهم، فجاء القرآن الكريم رافداً عظيماً للغة بثروة من الدلالات الجديدة مما شكل حافظاً قوياً على الاعتناء بدراسة الفروق اللهجية في القرآن الكريم، وذلك لأن اللغة العربية لم ترتبط بحياة أهلها المادية فحسب، بل كانت تتصل بحياتهم الروحية أيضاً.

ومن هنا تصدر نفر من أهل اللغة لرصد هذه الفروق في القرآن الكريم، وبخاصة وأن هذا الموضوع - على أهميته - لم يلق تلك العناية اللبيقة، فجاءت معظم الدراسات تحمل طابع التوصيف، فكانت أقرب إلى الدراسة السريعة العابرة، منها إلى الدراسة العميقة، التي تقوم على نخل الحقائق والآراء، في سبيل الوصول إلى نتائج سليمة.

ولا أقصد بهذا الكلام الانتقاص من الجهود التي بذلها القدامى أو المحدثون في موضوع «اللهجات العربية» ولا من النتائج التي انتهوا إليها، وإنما كل ما أقصده هو أن تلك الجهود وتيك النتائج لم تؤل إلى وضع مستقر يُطمأن إليه في توضيح العلاقة القائمة بين القرآن الكريم، ولهجات القبائل العربية.

لذلك عقدت العزم على دراسة موضوع «لهجات العرب في القرآن الكريم» فرحت أطالع من سبقني في بحث هذه المشكلة، محاولاً إيجاد موطأ قدم أنطلق منه إلى رحاب أوسع.

تكتسب دراسة «لهجات العرب» أهمية خاصة لأسباب كثيرة، أبرزها أنه موضوع لم ينل ما يستحقه من الدراسة، فاللغة العربية الموجودة في بطون كتب التراث الحافل، إنما هي وليدة تزاوج بين تلك اللهجات، حتى إن القرآن الكريم لم يقتصر على لهجة واحدة، بل إن هناك عدولاً إلى لهجات أخرى، مما يجعل من تلك اللهجات أساساً بنيت عليه قواعد لغة المعجزة البيانية الخالدة، وهو القرآن الكريم، الذي كفل للعربية حفظها، وأسهم في انتشارها وضبطها.

كما إن دراسة لهجات القبائل العربية توضح تكوّن اللغة العربية الفصحى، ولغة الشعر الذي بين الأيدي، أكانت نتيجة محصول لهجات عدة، أم لهجة قبيلة معينة، راجت واتخذها الشعراء منهجاً وقالباً لنظم أشعارهم؟

وكذلك من فوائد دراسة اللهجات، توضيح قضية معرفة مصادر القراءات القرآنية المختلفة، التي روي الكثير منها بلا عزو إلى لهجة قبيلة معينة.

كل ذلك كان حافزاً لي إلى اتخاذ «لهجات العرب في القرآن الكريم» موضوعاً لرسالة الماجستير، فهو يجمع بين علمين شريفيين راقيين هما، القرآن الكريم واللغة العربية .

بعد اختيار الموضوع، عمدت إلى جمع المادة العلمية من مظانها، ثم أخضعت المادة العلمية للدرس والتمحيص، فكان لا بُدَّ من الوقوف على أبرز المسائل التي رأيت أنها إلى تحقيق الغرض أقرب، وإنما يكفي من العقد ما أحاط بالنحر، فالحق أن ما جاء في هذه الرسالة ليس كل ما يقال عن اللهجات العربية، بل إنني لا أشك أن البحث فيه يطول، فلا ينتهي برسالة واحدة، ولا بجهود دارس واحد.

سعيت في البحث إلى عرض القضايا ومناقشتها، والاستعانة بالأدلة والقرائن والشواهد ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، وقد عنيت بإثارة بعض القضايا، منها على سبيل المثال ما استقرّ في أذهان بعض الباحثين من أن اللهجات متساوية في مراتبها، حتى كاد يغدو هذا الأمر عندهم حقيقة ثابتة وقولاً فصلاً، ولو أخذ

الدارس بما ينادون به ويرجونه، لأسقط ببساطة ما تتصف به اللهجة القرشية من خصائص تتفرد بها عن اللهجات الأخرى، مع وجود المقاييس العامة التي تخضع لها اللهجات جميعاً.

عكفت دارساً كتب اللغة واللهجات والأدب وعلوم القرآن الكريم والموسوعات العربية، ولم أوتر أياً من المصادر والمراجع منها على الآخر، إلا بالقدر الذي يتميز به من غيره في أصالة المادة ودقتها، وبالقدر الذي يتصل فيه بمادة البحث الذي ينتهي إليه. ولقد حاولت الاستفادة من قديم هذه المصادر والمراجع وحديثها، وكنت شديد الحرص على أن أستمد من الأصول منها، العناصر الأولية بهذه الدراسة، وأن أجعل من الأخرى وسائل لاستنباط تلك العناصر والإفادة منها. اعتمدت من المصادر القديمة على كتابين يعدّان من أهم ما تناول موضوع لهجات القبائل، من جهة ذكر الكلمات وعزوها إلى أصحابها، الأول هو رسالة بعنوان: «ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل» لأبي عبيد القاسم بن سلام، والثاني هو «كتاب اللغات في القرآن» لإسماعيل بن عمرو المقرئ.

وكذلك أمهات كتب النحو واللغة، فلا أكاد استثني منها شيئاً ذا شأن، وكان محجتي بينها كتاب سيبويه، وسر صناعة الإعراب والخصائص لابن جني، ومخصص ابن سيده، ومزهر السيوطي، فكانت لي ينابيع ثرة لا يكاد يغور ماؤها، أو ينضب معينها.

أما المراجع الحديثة، وإن كان جُلّ اعتمادها في مادتها الأصلية على المصادر القديمة إلا أنها تختلف عنها في طريقة العرض ومنهج البحث، فكان لا بُدَّ من الإفادة من مناهجها. ولم أغفل عن قراءة الكثير مما كتب حديثاً في اللغة واللهجات، مثل كتاب «في اللهجات العربية» و«فقه اللغة» و«الأصوات اللغوية» للدكتور إبراهيم أنيس، و«اللغة» لفندريس و«العربية» ليوهان فك و«فقه اللغة» للدكتور علي عبد الواحد وافي.

ونظرت ملياً في كتب التفسير التي ينتظر أن تكون بها نقول خاصة باللهجات العربية، كتفسير الطبري لمحمد بن جرير الطبري، والكشاف للزمخشري، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي.

ولأن البحث في اللهجات يحتاج إلى معرفة بمواطن القبائل العربية وانتقالها وجيرانها، لإدراك مدى تأثير هذه اللهجات بعضها في بعض، من أجل ذلك عيّنت بالرجوع إلى كتب القبائل والبلدان مثل: «صفة جزيرة العرب» للهمداني و«معجم البلدان» لياقوت الحموي و«قلب جزيرة العرب» لفؤاد حمزة.

ونظرت في كتب الأنساب وما يتصل بها، مثل: «نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب» للقلقشندي، و«بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب» للألوسي و«جمهرة أنساب العرب» لابن حزم، و«معجم قبائل العرب» لعمر رضا كحالة.

وقد أثرى تنوع المصادر والمراجع - بين قديمها وحديثها - الموضوع، فتيسر الخروج بحصيلة متألّفة متناسقة، تجمع بين ما في القديم من علم غزير، وما في الحديث من رأي مستطرف أو منهج قديم.

وكان دون الطلّية صعوبات جمة يمكن إيجازها بما يلي:

- البعد الزمني بين الوقت الحاضر وبين اللهجات العربية القديمة، إذ لو كانت اللهجات المدروسة معاصرة أو محصورة في صعيد واحد، لذلّل ذلك الكثير من مصاعب محاولة الرصد والتحليل.

- عدم اهتمام القدماء بالبحث في هذا الموضوع، مع أنه كان من اليسير عليهم استقراء اللهجات العربية المختلفة واستقصاؤها، ثم نسبتها إلى أصحابها، غير أنهم لم يفعلوا، بل جمعوا النصوص اللغوية من القبائل التي ارتضوا الأخذ عنها، دون نسبة اللهجات إلى أهلها - في أكثر الأحيان - ولذلك واجه الباحثون المعاصرون عنتاً في أثناء دراسة اللهجات القديمة.

- خلط اللغويين في معاجمهم اللغوية بين ما هو فصيح - لاستكمال شروط الفصاحة - وبين ما هو من اللهجات، فمن العسير على الباحث استخراج لهجات القبائل من المعاجم اللغوية إلا عند ذكر أصحابها أن كلمة كذا - مثلاً - هي لهجة قبيلة ما.

- عدّ بعض اللغويين لغة قريش أفصح اللغات، وغلوّهم في هذا الزعم جعلهم يلقبون لهجات قبائل أخرى بأوصاف تشعر الباحث بعدم الاطمئنان إليها والأخذ بها أو الاقتراب منها، ومن هذه الأوصاف:

لغة قبيحة أو رديئة أو ضعيفة أو شاذة... بإطلاق هذه الكلمات لا ينبغي

أن يكون على اللهجة بأكملها، وإنما يكون مقصوراً على ألفاظ معينة ومحددة.
- التصحيف والتحريف اللذان ابتليت بهما اللهجات العربية، غيراً كثيراً من
المعالم الصحيحة لبعض تلك اللهجات، وما ذلك إلا من ضرورات الزمن،
ويتحمل السلف من العلماء - الذين لم يدققوا في لهجات القبائل - جزءاً من
المسؤولية تجاه هذه المشكلة.

ولا تقف هذه الصعوبات والمشكلات حائلاً أمام الباحث للدراسة أو
لتكوين فكرة ما عن اللهجات وأصحابها، بل هناك بعض الأمور التي تخدم
الباحث، وتكون عزاء له في دراسته.

فتقارب كثير من اللهجات العربية فيما بينها يساعد على تحليلها ودراسة
ظواهرها، كما أن القراءات القرآنية مصدر عظيم ومهم لمعرفة اللهجات العربية،
ولا سيما بعد اطلاع الباحث على صرامة الشروط التي وضعت، والتشدد في قبول
تلك القراءات، وبذلك تُعدّ الشاهد على ما كانت عليه طبيعة لهجات القبائل،
سواء أكانت في الصوت أم النحو أم الصرف أم غير ذلك.

كما أن جمع المفردات المعزوة إلى أصحابها - ولو كانت قليلة - المنثورة
في بطون مؤلفات متنوعة من المعاجم وكتب اللغة والأدب والتفسير والقراءات،
توصل الباحث إلى الظواهر اللهجية القديمة، ودراستها وتحليلها.

وكان منهج البحث في كل ذلك يمضي على وفق النقاط الرئيسية التالية:
- عرضت آراء العلماء وأقوالهم من مصادرها الأصلية ما أمكنني ذلك،
وحاولت التثبت من النقول التي لم آخذها من كتب أصحابها لتعذر نقلها من
كتبهم.

- حاولت تطبيق منهج الدراسة المقارنة في بعض المسائل التي تحتل ذلك،
فأعرض آراء الموافقين أو المجيزين لأمر ما أولاً، ثم أدلتهم ثم مناقشتها، ومن ثم
أعرض آراء المانعين ثم أدلتهم ثم مناقشتها، وبعد ذلك أحاول الترجيح، معتمداً
على الدليل الذي تدعّمه الحجة، وتقتضيه الحكمة.

- وحاولت الالتزام بقاعدة «إن كنت ناقلاً فالصحة أو مدعيّاً فالدليل».
- واستخدمت في كثير من المواضع لفظ «اللغة» بمعنى «اللهجة» - دون
استخدام للهجة بمعنى اللغة - وذلك اقتداء بما استخدمه العلماء الأقدمون،

كصاحب الخصائص الذي عقد في كتابه أبواباً وفصولاً للهجات العربية، مستخدماً كلمة «لغة» في معنى «لهجة» ومن ذلك قوله «باب اختلاف اللغات وكلها حجة»، «أسباب اختلاف لغات العرب» «باب في الفصحح تجتمع في كلامه لغتان فصاعداً». وكذا في الاقتراح، وفي كتب كثيرة أخرى، حملت عناوانها كلمة «لغة» أو «لغات» والمراد منها «اللهجة» أو «اللهجات».

وقسمت البحث إلى تمهيد وأربعة فصول وخاتمة:

كان التمهيد خالصاً لتحديد المفاهيم والمصطلحات من خلال تعريف مفردات عنوان الرسالة.

وتحدثت في الفصل الأول عن القبائل العربية التي قطنت شبه الجزيرة العربية، لأن دراسة اللهجات العربية القديمة وفق منهج علمي سليم تقتضي معرفة مواطن القبائل العربية، وتتبع حركاتها وانتقالها وإقامتها وتأثرها بغيرها، وتأثيرها في سواها، ليستطيع الباحث بذلك دراسة اللهجات على أصول ثابتة، فتظهر أمامه آفاق من البحث واسعة، لها تأثير كبير في الدراسات اللغوية والتاريخية.

ثم عرضت نماذج من اللهجات التي ذاع صيتها بين القبائل العربية، واشتهرت، وبعد ذلك بسطت القول في معنى الفصحح، وذكرت الشروط التي وضعها العلماء ليكون الكلام فصيحاً، وفي المقابل كان لا بُدَّ من التعرّيج على الضعيف من اللهجات وأقسامه.

وشرحت في الفصل الثاني أسباب اختلاف اللهجات عامة، ثم خصصت القول في اختلاف اللهجات العربية.

وفصلت الحديث في أنواع الاختلافات بين اللهجات العربية.

أما الفصل الثالث فافتتحته - بعد مقدمة وجيزة - بمناقشة الآراء الواردة في أول من نطق بالعربية، ثم تكلمت على المزايا البارزة في اللغة العربية، وأوضحت أن بعضاً منها تشترك فيه العربية مع غيرها من اللغات الحية، غير أن ظهور هذه المزايا في لغة الضاد كان أكبر وأقوى تأثيراً.

كما عرضت في الفصل الثالث للآراء المذكورة حول القبائل التي وردت لهجاتها في القرآن الكريم، وناقشت تلك الآراء، محاولاً التزام الموضوعية

الخاضعة للنتائج المتوافرة بين يدي، دون ترجيح رأي على آخر، ما لم يكن مستنداً إلى حجج يطمأن إليها.

وختمت الفصل الثالث بالحديث عن فضل القرآن الكريم على اللغة العربية، وعن أثره فيها من الناحية العامة، كانتشارها وتوسعها جغرافياً ومن الناحية اللغوية الخاصة أيضاً في ألفاظها وتراكيبها ومعانيها

وبينت ثمرة علاقة اللهجات العربية بالعلوم الأخرى في الفصل الرابع، واخترت بداية علم القراءات القرآنية، فعرضت علاقة بعضهما ببعض، ثم انتخبت علم التفسير، مخصصاً لآيات الأحكام، معطياً بعض الأمثلة التي تشير إلى اختلاف المفسرين، بسبب اختلاف اللهجات في بعض المفردات، وانعكاس تلك الخلافات على المذاهب الفقهية.

وكان لعلم اللسانيات نصيب من بين هاتيك العلوم، فقامت بدراسة نتاج ثلاثة من العلماء، في أزمنة متعاقبة، وناقشت نماذج مختارة مما أتوا على ذكره، في موادهم اللسانية، التي بسطوا القول فيها.

وختمت البحث بخلاصة، أتت على ذكر أهم النقاط التي انتهت إليها في البحث، ونبّهت على عنواناته الرئيسة. ونظمت للرسالة فهارس فنية تعين القارئ على ما يطلبه بأيسر سبيل.

وإذا كان من الواجب أن يذكر أهل الفضل بفضلهم، وأن يرد الحق إلى أهله، فإنني أتقدم بجزيل شكري وعظيم امتناني إلى جمعية الدعوة الإسلامية العالمية لامتنانها علي بهذه الدراسة العلمية، فالدعاء متواصل لأمينها الدكتور محمد أحمد الشريف.

ثم الشكر أسديه للأستاذة في كلية الدعوة الإسلامية، وعلى رأسهم العميد الدكتور محمد فتح الله الزبيدي.

كما أتوجه بالشكر إلى أمين قسم الدراسات العليا الدكتور السائح حسين، ومسجل الكلية الدكتور الهادي النويصري أحمد الذي - والله - أخرجني بمساعدته.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى صاحب الفضل عليّ، بل وعلى كثير من طلبة العلم في لبنان وسوريا، الأستاذ المشرف الدكتور مختار أحمد ديره الذي رعى

البحث من لدن كان فكرة إلى أن شاهد النور، موجهاً وناصحاً ومرشداً إلى كل خير، مقتطعاً من وقته الثمين، فأسأل الله المولى العظيم أن يسجل له هذا العمل في قائمة حسناته.

كما الشكر للأستاذ بلال حسن التل الذي شجعني على طبع هذه الرسالة. والحمد بداية ونهاية لله تعالى الذي منّ علي بفضلته ومنحني ما لا أستحقه، لتقصيري.

وآمل بعد هذا أن أكون قد وفقت إلى ما أردته من دراسة "لهجات العرب في القرآن الكريم" وأن أكون قد أسهمت في خدمة اللسان العربي المبين، وحسبي أنني بذلت غاية الوسع والطاقة، وأخلصت النية، فإن أصبت فبتوفيق من الله، وإن كانت الأخرى فمن عجزتي وقصوري، ولا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد

إن قصدي من خلال هذا الفصل التمهيدي تسليط الضوء على عنوان الرسالة بغية اكتشاف مكانه واستخراج درره وآلئه، فالتمهيد يتناول مفاهيم تبين مقاصد العنوان وتوضح معناه، وسأذكر مفرداته بحسب الترتيب التالي:

تعريف اللغة، تعريف اللهجة، الفرق بينهما، المقصود بالعرب، تعريف القرآن الكريم.

وقد قصدت أن أستبق الكلام على اللغة قبل اللهجة انطلاقاً من كون اللغة هي الأصل واللهجة تبع لذلك الأصل كما سيتبين خلال الحديث عنهما، ولا يقوم الفرع من دون الأصل.

■ اللغة:

أصلها لُغِيٌّ أو لُغَوٌ، والهاء عوض - عن الياء أو الواو - وتجمع على لُغَيٍّ مثل بُرَّةٍ وِبْرَى، ولغات أيضاً. أما النسبة إليها فهي لُغَوِيٌّ ولا يقال لُغَوِيٌّ^(١). وهي «الكلام المصطلح عليه بين كل قبيل»^(٢) و«اللُّسْن»^(٣).

لقد تنوعت عبارات العلماء قديماً وحديثاً في بيان حقيقة اللغة وحدّها، فقليل

إنها:

- أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم^(٤).

(١) انظر الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، ج ٦، ص ٥٠٠، تحقيق إميل يعقوب ومحمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، مادة (لغا).

(٢) تاج العروس، مرتضى الزبيدي، ج ٢٠، ص ١٥٤، تحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت، ط. ١٩٩٤.

(٣) لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ج ١٥، ص ٢٥١، دار صادر، بيروت، ط. السادسة ١٩٩٧م، مادة (لغو).

(٤) الخصائص، عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، ج ١، ص ٣٣، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت.

- كل لفظ وضع لمعنى^(١).

- عبارة عن الألفاظ الموضوعية للمعاني^(٢).

- معنى موضوع في صوت^(٣).

إن المتأمل لما تقدم من التعاريف المتعددة في حدّ اللغة يستطيع أن يلحظ أمرين مشتركين لا يمكن أن تكون اللغة إلا بهما، وهما: اللفظ والمعنى. فاللغة إذاً تتكون من الألفاظ ذات المعاني التي تتبادلها، فيُفهم كلُّ صاحبه ما أراد بها حين نطقها.

وبعبارة أخرى فاللغة تتكون من اللفظ المنطوق، والمعنى الذي يحمله ذلك اللفظ ولكل عنصر من هذين المكوّنين خصائص ومميزات.

إنّ اللغة ظاهرة إنسانية ملازمة للفرد، وقد نشأت بنشوته، ونمت بنموه الحضاري، وهي منزل الكائن البشري ومرآة فكره، يلجأ إليها لتأكيد وجوده، وينطلق بها لتحقيق رغباته، ولكن المنازل تغني بسكانها والمرايا تصفو وتجمل بالعيون الناضرة إليها، والوجوه المصورة عليها، واللغة واختلافها آية من الآيات الدالة على قدرة الله سبحانه وتعالى الذي جعل هذا الإنسان قادراً على استخدام لغة يتفاهم بوساطتها مع غيره ويعبر عما في مكنونه وضميره ولو بالإشارة، فإن الإشارة لغير المتكلم كالعبارة، قال الله عزّ وجل: ﴿وَمِن آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافُ أَلْسِنِكُمْ وَالْوَنُكُورُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٤) والله سبحانه وتعالى حين يصفها أنها آيات للعالمين يدلنا ويرشدنا على أن مفتاح كل علم نافع وخير حاصل وتقدم إنما يكون عن طريق اللغات التي هي القنوات التي توصل كل معلومة للآخرين، ولا بدّ أن تكون هذه اللغة واضحة تخضع لقواعد وأسس وأصول ثابتة راسخة، تجعل اللغة مفتاحاً لكل خير وتحقيق سعادة عندما يحصل التفاهم بين الأفراد والشعوب عن طريق اللغة.

(١) بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، محمود بن عبد الرحمن الأصفهاني، ج ١، ص ١٥٠، تحقيق محمد مظهر بقا، دار المدني، جدة، ط. الأولى ١٩٨٦.

(٢) شرح الأسنوي، نهاية السؤل، جمال الدين الأسنوي، ج ١، ص ٢٢١، دار الكتب العلمية، ط. الأولى، ١٩٨٤.

(٣) علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص ٥، دار العروبة للنشر والتوزيع، ط. الأولى، ١٩٨٢.

(٤) سورة الروم، من الآية: ٢٢.

■ اللهجة:

وردت لهذه الكلمة عدة معان، متقاربة فيما بينها، فعند تصفح صفحات المعاجم في مادة «لَهَج» يتبين أن اللهجة هي: اللسان، وقد تحرك الكلمة فتصبح اللهجة^(١).

واللهجة: «طرف اللسان، ويقال جرس الكلام، وهي لغته التي جبل عليها فاعتادها ونشأ عليها»^(٢).

«لَهَجْتُ بالشيء، أَلْهَجْتُ لَهْجاً وَلَهْجاً: إذا غَرَّيْتُ به، ويقال فلان صادق اللهجة»^(٣).

أما قولهم هو فصيح اللهجة: أي فصيح اللسان الذي ينطق به من كلام، وسميت لهجة: لأن كلاً يلهج بلغته وكلامه^(٤).

وأضاف صاحب «مقاييس اللغة» أن اللام والهاء والجيم أصل تكوين كلمة «لهجة» هي أصل صحيح يدل على المثابرة على الشيء وملازمته، وأصل آخر يدل على اختلاط في الأمر^(٥).

واللهجة أيضاً «طريقة من طرق الأداء في اللغة»^(٦).

وقد ورد في الحديث: «ما أقلت الغبراء، ولا أظلت الخضراء، من رجل أصدق لهجة من أبي ذر»^(٧).

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ٢، ص ٣٥٩ والقاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ج ١، ص ٢١٣، دار الجيل، ط. الأولى، مادة (لهج).

(٢) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج ٣، ص ٣٩١، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي دار ومكتبة الهلال.

(٣) جمهرة اللغة، محمد بن الحسن الأزدي البصري، ج ٢، ص ١١٤، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط. الأولى.

(٤) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، ج ٥، ص ٢١٤، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط. الأولى، والصحاح، الجوهري، ج ١ ص ٥٠٢.

(٥) ابن فارس، ج ٥، ص ٢١٣.

(٦) المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس، عبد الحلیم منتصر، عطية الصوالحي، محمد الأحمد، ج ٢، ص ٨٤١، ط. الثانية.

(٧) الحديث في سنن ابن ماجه عن عبد الله بن عمر بلفظ: «ما أقلت الغبراء، ولا أظلت الخضراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذر» ج ١، ص ٥٥، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب =

بعد الاطلاع على هذه المعاني يمكن استنباط ارتباط اللهجة باللسان وطره، واللهجة طريقة الكلام التي نشأ الإنسان وترعرع عليها، فطريقة الكلام هي المقصودة بالمعنى واللسان وسيلتها.

أما اللهجة اصطلاحاً فهي «مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة»^(١).

■ الفرق بين اللغة واللهجة:

مرّ أنفاً عند تعريف اللهجة قول ابن فارس: «أما قولهم فصيح اللهجة أي فصيح اللسان الذي ينطق به من كلام وسميت لهجة لأن كلاً يلهج بلغته وكلامه»^(٢).

فاللهجة قد تكون فصيحة وقد تكون غير فصيحة، وهو ما يسمى اليوم بالعامية نسبة إلى سهولتها وكثرة انتشارها بين عامة الناس مشافهة في حياتهم اليومية، فهي ذات صفات لغوية خاصة، تخضع معظم مفرداتها وتراكيبها للبيئة التي وجدت فيها، كما أن اللهجات العامية نتيجة من نتائج اختلاط العرب بغيرهم بسبب الحروب أو التجارة أو غير ذلك.

فاللغة العربية الوافدة من الجزيرة العربية بأصولها وقواعدها ونقائنها طراً عليها التبديل والتحريف، فخرجت على أنظمة اللغة وقوانينها لتدخل ضمن إطار اللهجات العامية.

لقد استعمل القدماء من علماء اللغة العربية «اللغة» و«اللحن» بمعنى «اللهجة» فيقال على سبيل المثال: الصقر - بالصاد - من أنواع الطيور الجارحة وبالزاي لغة أي وفي لهجة أخرى من لهجات العرب يقال: الزقر^(٣).

وكذلك عندما يتكلم أحدهم مع الآخر من قبيلة مغايرة، فيتلفظ ببعض

العلمية، بيروت، باب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، وفي النهاية في غريب الأثر، المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم، ج ٤، ص ٢٨١، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م، رقم الحديث: ٣١٣٣.

(١) في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص ١٦، مكتبة الانجلو المصرية، ط. السادسة ١٩٨٤.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ج ١، ص ٥٠٢.

(٣) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ٤، ص ٤٦٦، مادة (صقر).

الكلمات غير المألوفة، فيقول له: «ليس هذا لحني، ولا لحن قومي» أي ليست هذه اللهجة التي أتقنها وأتكلم بها، وليست لهجة قومي^(١). ويعدّ صاحب كتاب «في اللهجات العربية» أن اللغة هي الأصل وتتشعب إلى عدة لهجات تشترك فيما بينها في أكثر الكلمات والمعاني وفي أساس بنية الكلمات، وفي تركيب الجمل أيضاً، لكن إذا انقلب هذا الاتفاق في معظم الكلمات إلى اختلاف واتخذ أسساً خاصة في بنية الكلمات عندئذٍ لا تسمى لهجات بل هي لغات مستقلة^(٢).

فالعلاقة بينهما هي علاقة عموم وخصوص، لأن اللغة تشتمل على عدة لهجات لكل منها ما يميزها.

وإذا تعددت اللهجات للغة واحدة، فسُتواجه صعوبة في تحديد الفرق بين كل لهجة وأخرى، ويرجع السبب في ذلك إلى عملية النطق التي تعدّ نشاطاً عضوياً، وهذا النشاط يختلف أداءه تبعاً لاختلاف أفراد البيئة اللغوية الواحدة^(٣).

فشبه الجزيرة العربية مثلاً، تتكلم لغة واحدة ذات لهجات متعددة، وهذه اللهجات لا تزيد على كونها طريقاً في النطق، وإخراج الأصوات، وتفضيل بعض قواعد البناء اللغوي، فتتمايز القبائل وتختلف تبعاً لذلك.

في ضوء ما تقدم يظهر أن ما يطلق عليه اللغات العامية في البلاد الناطقة باللغة العربية ما هي إلا لهجات محلية، يتحدث بها عامة الناس في حياتهم اليومية. ومع أنها استمدت معظم ألفاظها وتعابيرها من اللغة العربية، غير أن هناك انسلاخاً إلى حد كبير عن اللغة العربية الأم، وبنية كلماتها، وتراكيب جملها.

كما أن اللهجة الواحدة منها تختلف عن مثيلاتها في الأقطار العربية الأخرى، وقد تصل إلى حد التنافر والافتراق في بعض جوانبها - كما هو الفرق بين لهجات أهل الشام وأهل المغرب العربي وأهل الحجاز -^(٤) بسبب العوامل الطارئة عليها من خارج اللغة الأم، وبسبب ظروف جغرافية واقتصادية وسياسية واجتماعية معينة.

(١) في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص ١٧.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ١٨. (٣) انظر المرجع السابق، ص ١٩.

(٤) ومثال بسيط على ذلك، التعبير لمعنى (ماذا تريد؟)، ففي بلاد الشام يقال (شو بذك؟) وفي بعض بلاد المغرب يقال (شيني تريد؟) وفي بعض البلاد الحجازية يقال: (شيني تبي؟).

■ المقصود بالعرب :

هناك سؤال يطرح وهو: من هم العرب؟ هل هم أولئك الذين ينتمون إلى سلالة عربية نقية بغض النظر عن دخول الأعاجم ضمن سلالتهم؟ أم يمكن عدّ الذين تمازجت جذورهم من العرب وغيرهم عرباً أيضاً؟ وهل كل من عاش مع العرب في بلادهم وخالطهم يمكن أن يكون عربياً؟ وهل كل من أتقن العربية عربي بغض النظر عن النسب؟

«إن مصطلح كلمة العرب يرجع إلى ما قبل الإسلام، ولكنه لا يرتقي تاريخياً إلى ما قبل الميلاد، بل لا يرتقي عن الإسلام إلى عهد جدّ بعيد» هذا هو المعتمد لدى صاحب كتاب «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام»^(١) لكنّ اليونان والرومان ذكروا مصطلح كلمة «العرب»، وكان أول من ذكرهم أسكيلوس^(٢) : ٤٥٦ / ٥٢٥ قبل الميلاد حين أطلق لفظة (arabae) على بلاد العرب، وهي البادية وجزيرة العرب والأراضي التي تحدّ نهر النيل شرقاً^(٣).

هذا من ناحية إطلاق لفظ العرب، أما من ناحية أهل هذه الكلمة وأصحابها فيرى بعضهم أنهم «أمة لعبت دوراً هاماً خلال مجرى التاريخ، ينتشرون من المغرب إلى بلاد الرافدين، ومهدهم في الجزيرة العربية، ولغتهم ضمن مجموعة اللغات السامية»^(٤).

ويعدّ صاحب كتاب «العرب تاريخ موجز» أن «كلمة العرب تطلق على سائر الشعوب التي تتكلم باللغة العربية، وليس على أبناء الجزيرة فحسب»^(٥).

ويأتي قول النبي ﷺ ليوسع الدائرة التي تضم العرب، فقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «يا أيها الناس إن الرب واحد، والأب واحد، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وإنما هي اللسان، فمن تكلم بالعربية فهو عربي»^(٦).

(١) جواد علي، طباعة جامعة بغداد، ط. الثانية، ج ١، ص ١٣.

(٢) لم أعثر له على ترجمة.

(٣) المفصل في تاريخ العرب، جواد علي، ج ١، ص ٢١.

(٤) العرب، مكسيم رودنسون، ص ١٤، ترجمة خليل خليل، دار الحقيقة، بيروت، ط. الأولى ١٩٨٠.

(٥) فيليب حتي، ص ١١، دار العلم للملايين، ط. الخامسة.

(٦) الحديث في تهذيب تاريخ دمشق عن الإمام مالك عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: =

أما العرب الذين سأتناولهم في هذه الأطروحة فهم سكان شبه الجزيرة العربية، دون غيرهم - إلا ما ندر - ولا يعني ذلك الانتقاص من عروبة باقي القبائل لكن القرآن الكريم نزل بين مكة والمدينة، وهما ضمن شبه الجزيرة العربية، فلهجات قبائل تلك الأراضي هي التي نالت الحظ الأوفر والغالب في القرآن الكريم، وكان لها ذلك الشرف العظيم.

■ القرآن الكريم لغة:

تعددت التعاريف الاصطلاحية للقرآن الكريم، ويعود سبب ذلك إلى أهمية هذا الكتاب، فكلما وضع العلماء تعريفاً وجدوا أنفسهم مقصرين بتعريفهم للذكر الحكيم.

ولعل هناك سبب آخر لتعدد التعاريف، وهو أن أصحاب كل فن من العلوم الإسلامية وضعوا تعريفاً خاصاً بهم قريباً ومناسباً لمفردات فنهم واعتبروه هو الأدق والأشمل، وهذا ما حدث مع أهل الحديث والأصوليين والفقهاء والمتكلمين، ولكن المتأمل لهذه التعاريف يدرك تماماً أنها جميعها متكاملة فيما بينها.

وقبل الخوض في الحديث عن معنى القرآن الكريم اصطلاحاً لا بُدَّ من إيراد المعنى اللغوي، فإذا بُحث عن مادة «قرأ» يتبين أنها:

القرآن: التنزيل قرأه كَنَصَرَه وَمَنَعَه فهو قارئ^(١).

قرأت القرآن عن ظهر قلب أو نظرت فيه، هكذا يقال، ولا يقال قرأت إلا

جاء قيس بن مطاطية إلى حلقة فيها سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي فقال: هذا الأوس والخزرج قد قاموا بنصرة هذا الرجل، فما بال هذا؟ فقام إليه معاذ بن جبل فأخذ بتلييه ثم أتى به النبي ﷺ فأخبره بمقالته، فقام النبي ﷺ قائماً يجرّ رداءه حتى أتى المسجد ثم نودي: إن الصلاة جامعة وقال: يا أيها الناس إن الرب واحد، والأب واحد، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وإنما هي اللسان، فمن تكلم بالعربية فهو عربي.

فقام معاذ بن جبل وهو أخذ بتلييه قال: فما تأمرنا بهذا المناق يا رسول الله؟ قال: دعه إلى النار. فكان قيس ممن ارتدّ في الردّة فقتل.

تهذيب تاريخ دمشق الكبير، علي بن الحسن بن هبة الله، المعروف بابن عساكر، ج ٦، ص ٢٠٠، تهذيب عبد القادر بدران، دار المسيرة، بيروت، ط. الثانية، ١٩٧٩.

(١) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ج ١، ص ٢٥.

ما نظرت فيه من شعر أو حديث^(١).

قرأت القرآن: لفظت به مجموعاً، وهو مصدر كالغفران والكفران، وقد يطلق على الصلاة لأن فيها قراءة، تسمية للشيء ببعضه^(٢) وقد سمي القرآن بذلك لجمعه الأحكام والقصص وغير ذلك^(٣).

وقال الإمام الشافعي^(٤) «القران اسم وليس بمهموز، ولم يؤخذ من قرأت ولو أخذ من قرأت لكان كل ما قرئ قرأناً ولكنه اسم للقران مثل التوراة والإنجيل»^(٥) فالإمام الشافعي يقول قرأت القران فيهمز قرأت ولا يهمز القران.

وهناك من يقول إن اللفظ هو «القرآن» و«قرأ» مادته بمعنى «جمع» لقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾^(٦) فغاير بينهما لكنه بمعنى قرأ من ناحية الإظهار والإبانة فقارئ القرآن يظهره ويخرجه^(٧) وهناك فريق آخر من العلماء^(٨) ذهب إلى أن كلمة «القرآن» مهموزة، فهي مصدر لقرأت، وقد سمي ما يتضمنه مقروءاً تسمية للمفعول بالمصدر^(٩).

وهذا القول هو الأرجح - في نظري - وذلك لأن المعنى اللغوي للقرآن الكريم يثبت أنه مصدر مرادف للقراءة ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاسْتَمِعْ لَهُ﴾^(١٠).

(١) كتاب العين، الفراهيدي، ج ٥، ص ٢٠٤، ٢٠٥.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج ١، ص ١٢٨، ١٢٩.

(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج ٥، ص ٧٩.

(٤) هو محمد بن إدريس الشافعي، ولد بغزة، من بلاد الشام، وقيل باليمن، نشأ بمكة المكرمة، وقدم بغداد مرتين، ثم خرج إلى مصر فنزلها إلى حين وفاته في شهر رجب سنة ٢٠٤ هـ. انظر تاريخ بغداد، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، ج ٢، ص ٥٦ وما بعدها، دار الفكر، بيروت، ط. الثانية.

(٥) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج ٢، ص ٦٢.

(٦) سورة القيامة، الآية: ١٧.

(٧) البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله الزركشي، ج ١، ص ٣٤٨، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى.

(٨) منهم: علي بن حازم اللحياني، وهو لغوي معروف عاصر الفراء، وتصدر في أيامه وأخذ عنه القاسم بن سلام، انظر معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ج ٢، ص ٤١٧، تحقيق مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الأولى ١٩٩٣.

(٩) الإقتان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج ١، ص ١٤٦، ١٤٧، تحقيق محمد إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، ط. ١٩٨٨.

(١٠) سورة القيامة، الآية: ١٨.

■ القرآن الكريم اصطلاحاً :

عند التأمل في التعريفات التي اصطلاح عليها واضعوها، يتبين أنها تنقسم إلى قسمين منها ما يطلق على الكلام النفسي^(١) ومنها ما يطلق على الكلام اللفظي^(٢)، ويتمثل المتكلمون دون غيرهم بالفريق الأول، وأما الفريق الثاني فأصحابه الأصوليون والفقهاء وعلماء العربية، وقد راعى الفريقان أمرين ضمن التعريف، وهما:

- أن المعرف كلام الله تعالى، المتميز من كل ما عداه من الكلام.

- أنه كلام قديم أزلي، فيجب تنزيهه عن الأعراض والحوادث.

وقد ورد للمتكلمين ثلاثة تعريفات:

الأول: «الصفة القديمة المتعلقة بالكلمات الحكيمية^(٣) من أول الفاتحة إلى

آخر سورة الناس»^(٤).

وتعلقها بالكلمات الحكيمية سبب التجرد عن الحروف اللفظية والذهنية

والروحية، فالألفاظ ليست حقيقية، لأنها لو كانت كذلك لكانت مخلوقة.

وأما الثاني: «تلك الكلمات الحكيمية الأزلية المترتبة في غير تعاقب،

المجردة عن الحروف اللفظية والذهنية والروحية»^(٥).

الجديد في هذا التعريف هو عدم التعاقب، لأن التعاقب يحتاج إلى زمان،

والزمان حادث، فعدم الاحتياج إلى تعاقب يؤكد صفة القدم لهذه الكلمات.

والتعريف الثالث يشارك الأصوليون والفقهاء وعلماء اللغة المتكلمين فيه،

وهو: «اللفظ المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم من أول الفاتحة إلى آخر

سورة الناس»^(٦) هذا التعريف هو الأكثر اختصاراً من بين التعاريف، لكن هناك من

(١) المقصود بها الكلمات النفسية والألفاظ الذهنية المترتبة ترتيباً ذهنياً منطبقاً عليه الترتيب

الخارجي، انظر مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ج ١، ص ١٨،

تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى ١٩٨٨.

(٢) هي الكلمات المنطوقة.

(٣) باعتبار أنها ليست ألفاظاً حقيقية مصورة بصورة الحروف والأصوات.

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ج ١، ص ١٨.

(٥) المرجع السابق، ج ١، ص ١٩.

(٦) المرجع السابق، ج ١، ص ١٩.

أطنب فقال: «هو الكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتواتر، المتعبد بتلاوته»^(١) ومبدؤهم في ذلك؛ كون التعريف يأتي عادة للإيضاح والبيان، فلا بد من الإطناب بهدف زيادة البيان.

أما تعريف الأصوليين للقرآن الكريم فهو: (اللفظ المنزل على النبي ﷺ، المنقول عنه بالتواتر، المتعبد بتلاوته)^(٢).

فهذا التعريف يُعدُّ وسطاً، يفى بالغرض من إيضاح وتفسير المعرف.

فقولهم «اللفظ المنزل على النبي ﷺ» يخرج ما لم يكن منزلاً، ككلام البشر وكأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي بين للصحابة أنها ليست من كلام الله عز وجل، ويخرج أيضاً ما أنزل على غير النبي عليه الصلاة والسلام، كصحف إبراهيم، وألواح موسى، والتوراة والإنجيل والزرور.

أما قولهم: «المنقول عنه بالتواتر، المتعبد بتلاوته» يخرج ما كان مشهوراً أو أحاداً أضف إلى ذلك المنسوخ من باب أولى، ويخرج أيضاً ما لا تتم العبادات بتلاوته كالأحاديث سواء أكانت قدسية أم نبوية.

ولم يتعرض الأصوليون لصفة الإعجاز لأنهم عدّوها غير ملازمة لما كان أقل من سورة من القرآن الكريم^(٣).

ولا بد من الإشارة إلى أن إطلاق لفظة القرآن الكريم يقصد به من بداية سورة الفاتحة، إلى نهاية سورة الناس، ويطلق أيضاً على بعض من سورة، فيقال لمن قرأ آية إنه قرأ قرآناً، والله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَّعَلَّ بِهٖ﴾^(٤) في قراءة القرآن الكريم كله أو بعض آياته.

كذلك قول العلماء: «يحرم قراءة القرآن الكريم على الجنب» فالحرمة المقصودة لقراءته كله أو بعض منه.

(١) مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ص ٢١، دار العلم للملايين، بيروت، ط. الرابعة عشر ١٩٨٢.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ج ١، ص ٢٢.

(٣) المرجع السابق، ج ١، ص ٢٢.

(٤) سورة القيامة، الآية ١٦.

الفصل الأول

حول القبائل العربية

- المبحث الأول: القبائل العربية في شبه الجزيرة العربية
- المبحث الثاني: نماذج من اللهجات المشتهرة بين القبائل العربية
- المبحث الثالث: الفصح من لهجات العرب
- المبحث الرابع: الضعيف من لهجات العرب

القبائل العربية في شبه الجزيرة العربية

القبيلة في اللغة: القطع المشعوب بعضها إلى بعض تصل بها الشؤون، وبها سميت قبائل العرب، والواحدة قبيلة^(١).

والقبيلة هي الوحدة التي بني عليها النظام الاجتماعي للعرب سواء أكانوا من البدو - وهم أهل الوبر^(٢) الذي قضوا حياتهم في البوادي تحت الخيام - أم الحضرة - وهم أهل المدر^(٣) أهل المدن والأمصار - في شبه الجزيرة وخارجها^(٤)، إلا أن هذه القبائل كانت دائماً في نزاع، وقد تحالف القبيلة مع قبيلة أخرى للإغارة على حلف آخر أو لرد غارة.

فالانتماء إلى عشيرة^(٥) أو قبيلة أو حلف هو حماية للمرء، وبه تقوم حقوق الإنسان بل حياته في الغالب، فإذا أراد أحد الاعتداء عليه، فكر قبل ذلك في أن وراءه قوماً يدافعون عنه، ويأخذون بالثأر من المعتدي، بينما يبدو ذلك غريباً عند أهل الحضرة، فالأمن عادة مستقر.

■ حدود شبه الجزيرة العربية

أما شبه الجزيرة العربية فقد اختلفت المصادر العربية في بيان الحدود

- (١) لسان العرب، ابن منظور، ج ١، ص ٥٤١.
- (٢) الوبر: صوف الإبل والأرانب ونحوها، القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ج ٢، ص ١٥٧.
- (٣) المدر: قطع الطين اليابس أو العلك الذين لا رمل فيه، المرجع السابق، ج ٢، ص ١٣٦.
- (٤) مرأة جزيرة العرب، أيوب صبري باشا، ص ٣٥، ترجمة أحمد فؤاد متولي والصفصافي أحمد المرسي، دار الآفاق العربية، القاهرة.
- (٥) عشيرة الرجل: بنو أبيه الأذنون، وقيل هم القبيلة والجمع عشائر، لسان العرب، ابن منظور، ج ٤، ص ٥٧٤.

الجغرافية لها، فاهتم الفقهاء والمحدثون في توضيح المراد من قوله ﷺ: «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب»^(١).

وهناك تقسيم يرجعه الرواة إلى سيدنا عبد الله بن عباس^(٢) يقضي بتقسيمها إلى خمسة أجزاء، وهي:

١- تهامة: بكسر التاء، ويقال لها الغور، من اليمن، وهو ما أصرح منها إلى حد في باديتها، وسميت تهامة لشدة حرّها وركود ريحها، وهو من التهم، ويقال تَهَمَ الحرّ: إذا اشتد، ومكة من تهامة، لذلك يُقال: إذا جاوزت وجرة وغمرة والطائف إلى مكة فقد أتهمت، وإذا أتيت المدينة فقد جلست^(٣).

٢- نجد: يحدها البحرين شرقاً والحجاز غرباً وبادية الشام شمالاً، واليمن جنوباً فهي بذلك الهضبة التي تكون قلب الجزيرة، أعلاها تهامة واليمن وأسفلها العراق والشام^(٤).

٣- الحجاز: من قولهم حجزه يحجزه حجزاً، أي منعه، وسمي بذلك لأنه حجز بين تهامة ونجد، ووادي القرى من أهم وديان الحجاز، فهو الممر للقوافل

(١) حدث مالك عن ابن شهاب أن رسول الله ﷺ قال: «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب» كتاب السنن الكبرى، أحمد ابن الحسين البيهقي، ج ٩، ص ٢٠٨، دار المعرفة، بيروت، ط. الأولى، كتاب الجزيرة باب لا يسكن أرض الحجاز مشرك، وأخبر معمر عن الزهري عن ابن المسيّب قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجتمع بأرض العرب. أو قال بأرض الحجاز. دينان» المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، ج ١٠، ص ٣٥٧، تحقيق حبيب الأعظمي، توزيع المكتب الإسلامي ط. الثانية، ١٩٨٣، كتاب أهل الكتابين، باب هل يدخل المشرك الحرم، حديث رقم: ١٩٣٥٩.

(٢) هو عبد الله بن عباس، ابن عم النبي ﷺ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات صحب النبي صلى الله عليه وسلم ما يقارب سنتين ونصف، لقب بحبر الأمة حيث كان فقيه عصره وإماماً في التفسير، كامل العقل، ذكي النفس، مهيباً، من رجال الكمال دعا له عليه الصلاة والسلام الله عزّ وجل أن يفقهه في الدين ويعلمه التأويل بلغ مسنده = ألفاً وستمئة وستين حديثاً، توفي رحمه الله بالطائف سنة ثمان وستين من الهجرة. وقيل سبع وستين. انظر سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ج ٣، ص ٣٣١ وما بعدها، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي ومأمون صاغرجي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الثانية، ١٩٨٢.

(٣) انظر معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج ٢، ص ٦٣، دار إحياء التراث، بيروت.

(٤) انظر اللهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجندي، ج ١، ص ٢٦ وما بعدها، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ١٩٨٣، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي ج ١، ص ١٦٧ وما بعدها.

العابرة التي كانت تشكل شرياناً من شرايين الحركة التجارية في العالم القديم يحد الحجاز بلاد عسير جنوباً وصحراء نجد شرقاً وسوريا شمالاً والبحر الأحمر غرباً^(١).

٤- العَرُوض: تشمل اليمامة والبحرين وما والاها، وهي بدورها تعترض ما بين نجد واليمن، فلذلك سميت بـ «العَرُوض»، وقد أثر الجفاف في تلك الأراضي فتحوّلت غالبيتها إلى أراضٍ صحراوية^(٢).

٥- اليمن: حدودها بين عُمان إلى نجران ومن بحر العرب إلى عدن إلى الشحر، يفصل بين اليمن وباقي جزيرة العرب خط يأخذ من حدود عمان إلى حد ما بين اليمن واليمامة إلى حدود الهجرة إلى شعف عنز يقال له كرمل وذلك حد ما بين كنانة واليمن من بطن تهامة^(٣).

لقد عدَّ مالك بن أنس^(٤) رضي الله عنه أن جزيرة العرب هي المدينة ومكة واليمامة واليمن.

أما الأصمعي^(٥) فقال: جزيرة العرب ما لم يبلغه ملك فارس من أقصى عدن إلى أطراف الشام طويلاً، ومن جُدَّة إلى ريف العراق عرضاً^(٦).

أما الجغرافيون فكان تحديدهم لشبه الجزيرة العربية أكثر دقة، فقالوا إنها تقع في الجزء الجنوبي الغربي لقارة آسيا، يحدها من الشمال الأردن والعراق،

(١) المرجعين السابقين.

(٢) المرجعين السابقين.

(٣) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج ٥، ص ٤٤٧.

(٤) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو، ولد سنة ٨٠ من الهجرة وتوفي ١٧٩هـ. أحد الأئمة الأعلام الأربعة، أصحاب المذاهب، وإمام دار الهجرة، منهجه في العلم يوضحه قوله المشهور «جنة العالم لا أدري، فإذا أغفلها أصيبت مقاتله» انظر سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ٨، ص ٤٨ وما بعدها.

(٥) هو عبد الملك بن قريب بن أصمغ بن مظهر الباهلي الأصمعي، ولد سنة مئة وخمس وعشرين هجرية إمام في النحو واللغة والأشعار والأخبار والملح، متحرز في التفسير متسامح في غيره توفي عام ٢١٠هـ. انظر البلغة في تاريخ أئمة اللغة، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ص ١٢٩، ١٣٠، تحقيق محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٧٢.

(٦) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عبد الله بن عبد العزيز البكري، ج ١، ص ٥،

٦، تحقيق مصطفى السقا، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. الثالثة ١٩٩٦م.

وجنوباً المحيط الهندي وشرقاً الخليج العربي وخليج عمان، وغرباً البحر الأحمر^(١) أما مساحتها فتقدر بخمس مئة ألف ومليون كيلومتر مربع، فهي قريبة من الهند مساحة، إلا أن معظم هذه الأراضي صحراوية، ومع أن هذه الأراضي متصلة فيما بينها جغرافياً إلا أنها تنقسم إلى عدة وحدات سياسية أو دول مستقل بعضها عن بعض، تدين بالإسلام، ولسانها العربية، وهي:

دول الإمارات	المملكة العربية السعودية
الكويت	اليمن
عُمان	

وسبب تسميتها بشبه الجزيرة العربية هو إحاطة البحار بها من أغلب أقطارها وأطرارها - أطرافها - فصارت هذه الأراضي كجزيرة من جزر البحر^(٢). بلاد شبه الجزيرة العربية هي التي سأتكلم عليها دون غيرها.

لكن لا بد لي وأنا أتناول بحث القبائل العربية، من استعراض أنساب تلك القبائل وأماكن استيطانها في الجزيرة العربية، وتحركاتها هناك، فالنسابون اعتادوا أن يرجعوا العرب من ناحية النسب إلى أصلين وهما: قحطان وعدنان.

■ طبقات العرب:

تنقسم أقوام العرب من ناحية القدم إلى أربع طبقات: العرب البائدة، والعرب العاربة، والعرب المستعربة، والعرب المستعجمة^(٣).

١- العرب البائدة: تعدّ من أقدم الطبقات وهي تشمل عاداً، وثمود، وطسم، وجديس، وأميم، وجاسم، وعييل، وعبد ضخم، وجرهم الأولى، والعمالقة. فهؤلاء كما عبر عنهم صاحب كتاب «المفصل في تاريخ العرب»، هم معدن

(١) جغرافيا العالم الإسلامي، يسرى الجوهري وناريمان درويش، ص ١٩، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٢.

(٢) صفة جزيرة العرب، الحسن بن أحمد الهمداني، ص ٥٦، تحقيق محمد الأكوغ، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٤.

(٣) مرآة جزيرة العرب، أيوب صبري باشا، ص ٢٩.

العرب البائدة وخامها لكن بسبب الكوارث الطبيعية والتشتت والاندماج بالقبائل الأخرى، هلكت العرب البائدة ولم يبق منهم غير آثار وذكريات^(١).

٢- العرب العاربة: تنتهي هذه الطبقة إلى قحطان بن عامر بن شالح بن أرفخشذ بن سام، وعندما اختلط بهم بعض أفراد العرب البائدة، تعلموا العربية منهم، وقد قويت شوكتهم في زمن يعرب بن قحطان، الذي أسس دولة عظيمة في الوقت الذي اضمحلت فيه طبقة العرب البائدة، حتى زالت، فزادت قوة العرب العاربة، ونمت سطوتهم، وتكاثرت شعوبهم وقبائلهم^(٢).

٣- العرب المستعربة: هم من صلب سيدنا إسماعيل عليه السلام، وسلسلة أنسابهم مرتبطة بـ (عدنان ونزار) ويعود سبب تسميتهم بالعرب المستعربة، لانضمامهم للعرب العاربة، فأخذوا العربية منهم^(٣).

٤- العرب المستعجمة: ظهرت هذه الطبقة بعد انتشار الإسلام، وبعد أن توسعت رقعة الفتوحات الإسلامية، حيث استولت القبائل العربية على مناطق شاسعة من أرجاء المعمورة، فكثرت التنقل بين البلاد العربية وغيرها، وانفتحت الشعوب على بعضها، فاختلط العرب بغيرهم، مما ولد عجمة في اللسان عند بعض العرب، فسموا بالعرب المستعجمة^(٤).

هذه التقسيمات للعرب من حيث القدم، لكن هناك تقسيم من ناحية أخرى وهو النسب، فالعرب نسباً - وكما ذكرت آنفاً - من قحطان أو عدنان، فأما قحطان فأبو اليمن وأما عدنان فأبو سائر العرب وهم يرجعون إلى بني نزار، مضر وربيعة.

ومع أن هذا التقسيم هو الشائع والمعروف لدى النسابين وعليه جرت أنسابهم، لكن مشكلات عديدة سرعان ما تبرز للمتبع في خلال تفصيه لهذا الأمر، فعدم الدقة في ضبط أسماء القبائل وتذبذبها بالنسبة لأصولها الرئيسية، من أبرز تلك المشكلات وأكثرها تعقيداً، فقد أرجع بعض النسابين - كما سيأتي -

(١) جواد علي، ج ١، ص ٣٥٣.

(٢) انظر مرآة جزيرة العرب، أيوب صبري باشا، ص ٣١، ٣٢.

(٣) انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ٣٧٥، ومرآة جزيرة العرب أيوب صبري باشا، ص ٣٣.

(٤) مرآة جزيرة العرب، أيوب صبري باشا، ص ٣٣، ٣٤.

«قضاة» إلى معد بن عدنان في حين جعله آخرون من اليمن، فقالوا هو قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير، وقد جعلها بعض النسابين كتلة قائمة بذاتها حين قسموا العرب ثلاثة: نزار، اليمن، قضاة.

كذلك الحال بالنسبة لعك، فكل من بالمشرق من «عك» ينتسبون إلى الأزدي على حين يجعلون سائر «عك» في البلاد وفي اليمن ينتسبون إلى عدنان بن أدد. فمن أجل هذا، يلاحظ أنه من الصعوبة بمكان الاعتماد على الأنساب - التي سترد - بشكل قاطع، وإغفال العوامل الشخصية والسياسية التي أدت دوراً مهماً في تصنيفها، كما لا يصح تجاهل طبيعة المصالح الاقتصادية المشتركة التي كانت قائمة بين هذه القبائل.

وقبل البدء بذكر القبائل، لابد من توضيح لبعض المفاهيم المهمة التي اعتمدها بعض النسابين عند تطرقهم لهذا الأمر، وقد عدّها القلقشندي^(١) وهي: الأولى: الشَّعب، وهو النسب الأبعد كعدنان مثلاً^(٢)، وقد ذكر في «اللسان» أن الشعب هو القبيلة العظيمة، وهو أبو القبائل الذي ينتسبون إليه فيجمعهم ويضمهم^(٣).

الثانية: القبيلة، وهي ما يقسم الشعب كربيعة ومضر، وتجمع على قبائل، وقد تسمى «جماجم»^(٤).

الثالثة: العمارة، وهي ما يقسم القبيلة، وتجمع على عمارات وعمائر^(٥).

الرابعة: البطن، ما يقسم العمارة، وهو ما دون القبيلة، وفوق الفخذ، وتجمع على أبطن وبطن^(٦).

(١) هو أحمد بن علي القلقشندي، ولد عام ٧٥٦ من الهجرة في قلقشند. قرب القاهرة، وينتمي إلى قبيلة فزارة، نشأ منذ نعومة أظفاره في دار علم وأدب وعندما تمكن من علمه انبرى لتدريس الحديث الشريف والفقه وغيرهما، توفي عام ٨٢١ من الهجرة، معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ج ١، ص ١٩٦.

(٢) قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، ص ١٤، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط. الأولى، ١٩٦٣.

(٣) ابن منظور، ج ١، ص ٥٠٠.

(٤) قلائد الجمان، القلقشندي، ص ١٤.

(٥) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ٤، ص ٦٠٦، وقلائد الجمان، القلقشندي ص ١٤.

(٦) لسان العرب، ابن منظور، ج ١٣، ص ٥٤.

الخامسة: الفخذ، ما انقسم فيه البطن، كبنى هاشم، وجمعها أفخاذ^(١).

السادسة: الفصيلة، ما يقسم الفخذ.

فالفخذ يجمع الفصائل، والبطن يجمع الأفخاذ، والعمارة تجمع البطون، والقبيلة تجمع العمائر، والشعب يجمع القبائل^(٢).

لا يخفى على أحد أن القبائل العربية كثيرة بطونها وعظيمة شعوبها، لكني سأعرض للقبائل التي لها علاقة مباشرة بهذه الأطروحة دون غيرها، فالكلام على القبائل وأماكن استيطانهم وعاداتهم طويل جداً يصعب احتواؤه في هذه العجالة.

■ أقسام القبائل من حيث النسب:

تنقسم القبائل العربية من حيث النسب إلى شعبين كبيرين تفرعت منهما القبائل العربية، وهما قحطان وعدنان.

إن التسلسل الذي سأنهجه في عرض القبائل يحذو حذو الخليفة الراشدي الثاني عندما سجّل الأنساب ورتبها، فالعرب - كما ذكرت آنفاً - ينقسمون إلى عدنان وقحطان، فقدم - أمير المؤمنين - عدنان على قحطان لأن النبوة فيهم، وعدنان تجمع ربيعة ومضر فقدم مضر على ربيعة لأن النبوة فيهم، ومضر تجمع قريشاً وغيرها، فقدم قريشاً لأن النبوة فيهم، وقريش تجمع آل هاشم وغيرهم فقدم آل هاشم لأن النبوة فيهم، فيكون بنو هاشم هم قطب الترتيب^(٣).

١- عدنان:

لا تتوافر معلومات واضحة عن شخصية عدنان، إلا أنه من ولد إسماعيل عليه السلام، وإليه ينسب العرب العدنانيون من قريش وكنانة وغيرهم، أما آباؤه وأجداده من إبراهيم عليه السلام، فهذا أمر مختلف فيه من جهة الأسماء والعدد أيضاً، فقد ذكر القلقشندي أنه قيل ما بين عدنان وقيدار بن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام نحو أربعين أباً، ومنهم من عدّ عشرين أباً وآخرون عدوا خمسة عشر أباً.

(١) فلائد الجمان، القلقشندي، ص ١٥.

(٢) المرجع السابق، ص ١٥.

(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ج ١، ص ٤٧، دار العلم للملايين، بيروت، ط. الثانية، ١٩٧٦.

أما مواطن بني عدنان فهي نجد، بغض النظر عن القبائل التي تسكن خارج نجد، فقريش مثلاً كانت تقيم بمكة ونجد، وهي من بني عدنان.

كما أن بني عدنان توزعوا بين تهامة الحجاز والعراق والجزيرة، ثم انتشروا بعد الفتوحات الإسلامية في كثير من بقاع الأرض^(١).

وتقسم عدنان إلى قبيلتين عظيمتين هما: مضر وربيعة.

أولاً: مضر بن نزار بن معد بن عدنان: ويقال لهم مضر الحمراء^(٢)، كانت ديارهم بين دجلة والفرات فهم مجاورون للشام. هم أهل القوة والغلبة في الحجاز، وكانت لهم الرئاسة في مكة المكرمة والحرم^(٣)، وتقسم مضر إلى عدة أقسام أهمها:

١- كنانة: ينسبون إلى كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وهم قبيلة عظيمة من العدنانية، كانوا يسكنون بجهات مكة إلا أن فريقاً منهم سكن مصر^(٤) ولكنانة من الولد؛ مالك، عبد مناة، والنضر^(٥).

وولد لمالك: الحارث، وثلعبية، وولد لعبد مناة، عامر، بكر، مرة، الحارث (الأحابيش)^(٦).

(١) انظر نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، احمد بن علي القلقشندي، ص ٣٢٠، ٣٢١، دار الكتب العلمية، بيروت، ومعجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج ٢، ص ٧٦١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الخامسة، ١٩٨٥.

(٢) وذلك لأن نزار بن معد بن عدنان قبل موته جمع أولاده الثلاثة وقال للأول واسمه إياد: «هذه الجارة الشمطاء وما أشبهها لك» وأعطى ربيعة حبلاً سوداء من الشعر، وأعطى مضر قبة حمراء وطلب منهم أن يذهبوا إلى ملك نجران واسمه الأفعى بن الجرهمي، فلما وصلوا وشرحوا له ما حصل مع أبيهم ووصيته لهم، أخبرهم الأفعى أن لإياد الغنم ولأنمار الأرض ولمضر الإبل الحمر، انظر نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، القلقشندي، ص ٣٨٢، ٣٨٣.

(٣) انظر معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج ٣، ص ١١٠٧، ونهاية الأرب، القلقشندي، ص ٣٧٧.

(٤) انظر معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج ٣، ص ٩٦٦.

(٥) نسب قريش، المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري، ص ١٠، تحقيق إ. ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ط. الثالثة.

(٦) انظر سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، محمد أمين البغدادي، ص ٦٢، دار الكتب العلمية، لبنان، ط. الأولى، وقلائد الجمال في التعريف بقبائل عرب الزمان، القلقشندي، ص ١٣٤، وما بعدها.

أما النضر فله من الولد: يخلد ومالك، ومن مالك بن النضر جاءت قريش، فهو قريش بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة^(١).

أ - قريش^(٢): قبيلة غنية عن التعريف، اشتهرت قبل بعثة نبينا عليه الصلاة والسلام، فهي التي تشرف على سدانة البيت العتيق وهي التي ينتمي إليها عدد من التجار الكبار، فهي ذات قوة وسطوة بين كل قبائل العرب. لقد أقام معظم أفراد هذه القبيلة في مكة المكرمة بجوار الحرم، وتفرق بعضهم بحسب مطالب الحياة، فالذين سكنوا مكة المكرمة اختاروا أماكن خاصة بهم كوادي خيف^(٣) والجبال والوديان المحيطة مثل عرفات^(٤) وأخشبان^(٥) وسلاسل الجبال الممتدة بين هذه المناطق أو المحيطة بها.

ويعدّ القريشيون من نسل بني فهر، حيث تفرقوا في زمن كنانة ثم جمعهم بعد ذلك قصي بن كلاب في ظواهر مكة وبطاحها، فأصبح القريشيون بعد هذا الجمع قسامين:

- ١- قريش البطاح: ويشمل بطون بني عبد مناف، وبني زهرة، وعبد العزى بن قصي وعبد الدار بن قصي بن عدي بن كعب وبني عامر بن لؤي.
 - ٢- قريش الظواهر: ويشمل بطون بني معمر بن غالب بن فهر وبني بعيض بن عامر بن لؤي، وبني محارب بن فهر وبني الحارث بن فهر.
- وهناك قبائل أصلها قريشية لكنها لا تدخل ضمن قريش البطاح ولا الظواهر

(١) نسب قريش، المصعب بن عبد الله الزبيري، ص ١١، ١٢.

(٢) كلمة قريش إما أن تكون مأخوذة من التقارش وهو التجارة وهم معروفون بأنهم أهل التجارة وإما أن تكون مأخوذة من القريش وهو الاجتماع، وذلك لاجتماعهم على قصي. انظر قلائد الجمان، الفلقشندي، ص ١٣٧.

(٣) أصل الخيف: هو ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، أما وادي الخيف فهو خيف بني كنانة بمنى، نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم، انظر معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج ٢، ص ٤١٢.

(٤) عرفات: منطقة معروفة في ضواحي مكة، يقف عليها الحجاج قبل عيد الأضحى بيوم، أما حدها فمن الجبل المشرف على بطن عُرنة. وإد بحذاء عرفات. إلى جبال عرفة، انظر معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج ٤، ص ١٠٤.

(٥) الأخشبان: جبلان، تارة يضافان إلى مكة، وتارة إلى منى، الأول اسمه أبو قبيس والثاني فعيقان، ويسميان الجبجيين أيضاً، انظر معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج ١، ص ١٢٢.

وهم بنو الحارث وسعد وعوف وأسامة، فهم من بطن لؤي بن غالب وهو الجد الأكبر.

ومن المشتهر والمعلوم أن قبيلة قريش تتفوق من ناحية القوة والنفوذ، والجميع يسلم لها بالنسب والحسب والأصالة، ومما زاد من شرف هذه القبيلة انتماء نبينا عليه الصلاة والسلام إليها^(١).

ب - بنو هاشم: ينسبون إلى هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر.

والاسم الحقيقي لهاشم هو: «عمرو» وإنما سمي بهاشم لأنه بعدما تسلم سيادة قريش، وأوكلت إليه مهمة الرفادة والسقاية بمكة المكرمة أصبح يجمع ماله وما يكفي من مال قريش ويطعم الحجيج ويهشم لهم الثريد^(٢). ومن خصال بني هاشم: صباحة وفصاحة وسماحة ونجدة وكانت المفخرة على أشدها بين بني هاشم وبني أمية حتى إن الأمر قد يصل إلى القتال فيما بينهم أحياناً^(٣).

٢- هذيل: من مضر، وهم بنو هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان^(٤). وهذيل من القبائل التي أرادت الدفاع عن مكة حين عزم أبرهة على احتلالها، عام ولادة النبي ﷺ.

يقيم أفراد هذه القبيلة في الأماكن الوعرة والقمم المرتفعة.

وقد عبد أفراد قبيلة هذيل «مناة» وذلك بين مكة والمدينة إضافة إلى صنم آخر كانوا يحجون إليه^(٥). ومن أبرز أفراد قبيلة هذيل، الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود^(٦)

(١) انظر معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج ٣، ص ٩٤٧، وما بعدها.

(٢) نهاية الأرب، الفلقشندي، ص ٣٨٦.

(٣) انظر معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج ٣، ص ١٢٠٧.

(٤) انظر المرجع السابق، ج ٣، ص ١٢١٣.

(٥) انظر معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج ٣، ص ١٢١٤.

(٦) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، من مشاهير الصحابة، أسلم بمكة قديماً، وهاجر الهجرتين وشهد بدرأ، وهو أحد الفقهاء السبعة بالمدينة في عصره، ومن الذين جهروا بقراءة القرآن الكريم بمكة في بدء الدعوة، ولي بعد وفاة النبي ﷺ بيت المال بالكوفة، مات سنة ٣٢ هجرية وقيل ٣٣ بالمدينة المنورة، انظر تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ج ٦، ص ٢٧، ٢٨.

رضي الله عنه^(١) أما بطون هذيل فعديدة، أهمها: لحيان، رحم، تيم، وخناعة^(٢).
 - بنو لحيان: هم بنو لحيان بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، أقاموا دولة لهم في المناطق الواقعة شمال الحجاز، وذلك قبل مجيء الإسلام. أما أفراد هذه القبيلة فيسكنون في المناطق الواقعة بين جدة ومكة المكرمة، ولذلك فإن أفراد هذه القبيلة ينقسمون إلى قسمين من ناحية جلب الرزق للمعيشة، فقسم يعتمد على ما يحصل عليه من الحجاج والمسافرين المترددين على هذه الطريق وقسم آخر يعتمد في جلب رزقه على رعي الحيوانات وتربيتها^(٣).

٣- تميم هم بنو تميم بن مر بن أد ابن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وهم كما وصفهم ابن حزم: «قاعدة من أكبر قواعد العرب»^(٤) وبما أن عددهم عظيم فقد استوطنوا نجد وامتدوا نحو البصرة واليمامة حتى اتصلوا بالبحرين، لكن لم يبق أحد منهم هناك لأن غزية من طيء ورثت مناطقهم مع أنهم عرفوا بالشدة والمنعة، فها هو أبو هريرة^(٥) رضي الله عنه، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هم أشد أمتي على الدجال»^{(٦) (٧)}.

(١) انظر تاريخ نجد، محمد شكري الألوسي، ص ٩٤، مكتبة المدبولي، القاهرة، وجمهرة أنساب العرب، علي بن أحمد ابن حزم الأندلسي، ص ١٩٦، ١٩٨، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٩٨٣.

(٢) سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، محمد أمين البغدادي، ص ٢٣.

(٣) انظر معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج ٣، ص ١٠١٠.

(٤) جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص ٢٠٧.

(٥) هو عبد الرحمن بن صخر على الأرجح، الإمام الفقيه المجتهد الحافظ، حمل عن النبي ﷺ وكبار الصحابة علماء كثيراً طيباً حتى قيل إن عدد الذين روى عنهم قد بلغ الثمانمئة، مع أن إسلامه كان في عام خيبر سنة سبع من الهجرة إلا أنه لزم النبي عليه الصلاة والسلام أربع سنين، مما جعله أوفر حظاً من غيره في رواية الأحاديث عنه ﷺ حتى إن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت لأبي هريرة عندما دخل عليها: «أكثرت يا أبا هريرة عن رسول الله ﷺ فقال: إي والله يا أمه، ما كانت تشغلني عنه المرأة، ولا المكحلة ولا الدهن فقلت: لعله». ١. هـ. توفي سنة تسع وخمسين من الهجرة على عمر ناهز الثماني والسبعين سنة، انظر سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ٢٢، ص ٥٧٨، وما بعدها.

(٦) عن أبي هريرة قال: ما زلت أحب بني تميم منذ ثلاث، سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيهم: «هم أشد أمتي على الدجال». قال: وجاءت صدقاتهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذه صدقات قومنا» وكانت سبية منهم عند عائشة فقال: «اعتقها فإنها من ولد إسماعيل». رواه البخاري في صحيحه، ج ٢، ص ٨٤٠، تحقيق مصطفى البغا، دار العلوم الإنسانية، دمشق، ط. الثانية ١٩٩٣، كتاب العتق، حديث رقم ٢٤٠٥.

(٧) انظر معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج ١، ص ١٢٦ وما بعدها.

٤- قيس بن عيلان: بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، والاسم الحقيقي لعيلان؛ الناس أي هو: الناس بن مضر بن نزار، واختلف في عيلان فقيل خادمه وقيل كلبه، وقيل فرسه، ولقد غلب اسم قيس على سائر القبائل العدنانية حتى إنه قد تجعل عرب اليمن مقابل قيس. وقد استوطنت قيس المناطق الواقعة قرب المدينة، ودخل بعضهم إلى المدينة نفسها^(١)، وتقسم قيس إلى عدة أقسام أهمها:

أ - هوازن: وهم بنو هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، كانت منازلهم في نجد، ومن الأودية التي عمروها وادي حنين^{(٢)(٣)} حيث غزاهم رسول الله ﷺ هناك ومعه اثنا عشر ألفاً من المسلمين، وأسر المسلمون عدداً كبيراً من هوازن، عندها أرسلوا الأشراف والسادة من هوازن إلى النبي ﷺ فبايعوه بعد أن أسلموا ثم كلموه بشأن الأسرى، فوعدهم بإرجاع من كان بأيدي بني هاشم، وكلم لهم المسلمين، وتكلم خطباء هوازن فأبلغوا ورغبوا إلى المسلمين في ردّ سبيهم، فرد المسلمون عدداً كبيراً من الأسرى إلى هوازن^(٤).

- سعد بن بكر:

بطن من هوازن، ينسبون إلى سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن

خصفة بن قيس

ابن عيلان، وهم حضنة النبي ﷺ، وقد افترقوا في الإسلام، ولم يبق لهم

حيٌّ فيطرق، وقد عدّ بنو سعد

من أبرز أصحاب الغنم^(٥).

- ثقيف بن منبه:

هم بطن متسع من هوازن، اشتهروا باسم أبيهم كما ذكر القلقشندي^(٦) وهم

(١) انظر المرجع السابق: ج ٣، ص ٩٧٢.

(٢) وإد قريش من الطائف، بينه وبين مكة المكرمة بضعة عشر ميلاً. انظر معجم البلدان، ياقوت

الحموي، ج ٢، ص ٣١٣.

(٣) نهاية الأرب، القلقشندي، ص ٣٩١.

(٤) انظر معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج ٣، ص ١٢٣١، ١٢٣٢.

(٥) معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج ٢، ص ٥١٣، ٥١٤. بتصرف.

(٦) نهاية الأرب، القلقشندي، ص ١٨٦.

بنو ثقيف - واسمه قسيّ - بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور^(١).

يتخذ أفراد هذه القبيلة من الطائف والقرى والجبال المتناثرة على أطرافها مساكن لهم، ويديرون شؤونهم ومستلزماتهم اليومية فيها.

وينتمي أكثر من نصف سكان الطائف إلى هذه القبيلة، ومن أشهر رجالها الحجاج بن يوسف الثقفي^(٢).

- ب - سُلَيْم: وهم من أبناء منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وهم القسم الأكبر من قبائل قيس، والنسبة إليهم سلميّ كانوا يسكنون في عالية نجد قرب خيبر، لكنهم سنة مئة وتسع من الهجرة نزلوا إلى مصر برفقة قبائل أخرى من قيس^(٣).

- ج - غطفان: هم بنو غطفان بن مسعود بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وتُعدُّ غطفان من القبائل الكبيرة، وكانت مواطنها تمتد من حنين إلى شمال المدينة، غير أنهم افترقوا بعد الفتوحات الإسلامية، واستولت على مناطقهم قبائل طيء فصار حالهم كحال تميم، وقد حارب رسول الله ﷺ غطفان في غزوة الخندق - الأحزاب - في السنة الخامسة من الهجرة^(٤). وتقسم غطفان إلى ثلاثة أفخاذ عظيمة، وهي:

- الأولى: عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، كانت منازلهم بنجد، وتعد قبيلة عبس من القبائل المحاربة، فحربهم مشهورة بين العرب يوم داحس والغبراء^(٥).

(١) معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج ١، ص ١٤٨.

(٢) الحجاج بن يوسف: هو من ثقيف، ولد في الطائف سنة ٤١ من الهجرة وقيل ٤٥ هجرية، ولي العراق زمن عبد الملك بن مروان، وبنى مدينة واسط سنة ٨١ هجرية/ ٧٠٠ ميلادية. أول من أعاد كتابة القرآن الكريم بالنقط والشكل، وعزّب الدواوين. عرف بالفصاحة والبلاغة وعدّ أن طاعة الخليفة فرض على الناس في كل ما يأمر به، اتهم في دينه، وقد روي أن عمر بن عبد العزيز قال: (لو جاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم). انظر تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ج ٢، ص ٢١٠ وما بعدها.

(٣) انظر نهاية الأرب، القلقشندي، ص ٢٧١.

(٤) انظر معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج ٣، ص ٨٨٨، ونهاية الأرب، القلقشندي،

ص ٣٤٨.

(٥) وقع بين عبس وفزارة، داحس هي اسم فرس لزهير بن قيس، والغبراء اسم فرس لحذيفة بن بدر =

وإلى هذه القبيلة ينتسب عنتر بن شداد العبسي^(١)، الشاعر المشهور بالشجاعة^(٢).

- الثانية: ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، كانوا يسكنون شرقي المدينة وكان فزارة من أبناء ذبيان^(٣)، فقد استوطنت فزارة منطقة وادي القرى^(٤) ونجد، لكن جيرانهم من طيء نزلوا مكانهم في نجد فترح بنو فزارة إلى مصر وطرابلس الغرب^(٥)، كما أن بني فزارة جاءوا إلى أهل خيبر ليعينوهم ضد المسلمين فأرسل لهم النبي صلى الله عليه وسلم كتاباً يعدهم فيه بخيرات خيبر بعد القتال على ألا يساعدوا يهود خيبر، فأبوا، وبعد أن انتصر المسلمون جاء بنو فزارة إلى النبي ﷺ ليأخذوا ما وعدهم به، فرفض عليه الصلاة والسلام، لعدم تلبيتهم طلبه، وواعدهم بمنطقة جنفاء^(٦) ليقاتلهم، فلما عرفوا ذلك هربوا.^(٧)

- الثالثة: أشجع بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وكانوا هم عرب المدينة المنورة حلفاء للخزرج، وقد قاتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين في السنة الثامنة من

-
- سيد فزارة. تسابقا وتشاحنا، فقتل زهير حذيفة، عندها تقاتلت القبيلتان، ودامت الحروب بينهما أربعين سنة إلى أن انتهت بصلح. نهاية الأرب، القلقشندي، ص ٤٠٥ بتصرف.
- (١) عنتر بن شداد بن عمرو بن معاوية ابن قراد العبسي، من أهل نجد، كان لأمة سوداء عند عمرو بن شداد اسمها زبيبة، وعادة العرب في الجاهلية أنه إذا كان للرجل ولد من أمه استعبده، وعندما أغار قوم من العرب على قوم من عبس، خرج إليهم العبيسون وعنتر فيهم، فقال له عمرو مشجعاً له: كَرَّ وَأَنْتَ حَرٌّ، فَكَرَّ عَنْتَرَةٌ وَقَاتِلْ وَأَبْلَى، فادعاه أبوه بعد ذلك، وألحق به نسبه، انظر أدباء وشعراء العرب، محمد حمّود، ج ١، ص ٢٣، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط. الأولى، ٢٠٠١.
- (٢) انظر قلائد الجمان، القلقشندي، ص ١١٢. ومعجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج ٢، ص ٧٣٨، ٧٣٩، ونهاية الأرب، القلقشندي، ص ٣١٣، ٣١٤.
- (٣) انظر معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج ١، ص ٤٠٢، ٤٠٣، ونهاية الأرب، القلقشندي، ص ٢٣٧، وقلائد الجمان، القلقشندي، ص ١١٣.
- (٤) وادي القرى: وادٍ بين المدينة والشام، من أعمال المدينة، فتحها النبي ﷺ سنة سبع من الهجرة، انظر معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج ٥، ص ٣٤٥.
- (٥) انظر نهاية الأرب، القلقشندي، ص ٣٥٢، وقلائد الجمان، القلقشندي، ص ١١٣، ١١٤.
- (٦) جنفاء: موضع بين خيبر وفيد، انظر معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج ٢، ص ١٧٢.
- (٧) انظر معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج ٣، ص ٩١٨، ٩١٩.

الهجرة، وكان سيدهم الصحابي معقل بن سنان^{(١)(٢)}.

د - عدوان: هم بنو عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، اسمه الحارث، وإنما سمي عدوان، لأنه عدا على أخيه فقتله، سكنوا الطائف ثم خرجوا إلى تهامة عندما أخرجتهم ثقيف^(٣).

وأعراب هذه القبيلة ذاع صيتهم بالشجاعة والكرم بين البطون العربية، ومن أشهر نساء هذه القبيلة أم نبينا عليه الصلاة والسلام من الرضاعة السيدة حليلة السعدية^(٤)، فهي من فضليات نسائها.

■ ثانياً: أما القبيلة الثانية من العدنانية فهم:

- ربیعة: هم ربیعة بن نزار بن معد بن عدنان، هم شعب كبير العدد، فيه قبائل عظام وبطون وأفخاذ، كانوا يقطنون بلاد نجد وتهامة، لكن وقعت حرب بين بني ربیعة أنفسهم، فتفرقوا عن بعضهم، وانتقلت بطونهم إلى بقاع مختلفة فتوزعوا بين البحرين واليمامة^(٥) والعراق^(٦) وكان لربیعة من الأولاد: أسد، ضبیعة، عمرو.

(١) معقل بن سنان الأشجعي: حامل لواء بني أشجع عندما دخل المسلمون مكة فاتحين. حدث عنه الكثير من ثقة الرواة والأئمة، أبرزهم الحسن البصري رضي الله عنه. أسر أبو سنان وذبح صبياً في واقعة يوم الحرة، وله نيف وسبعون سنة من العمر، وذلك في العام الثالث والستين بعد الهجرة، انظر سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ج ٢، ص ٥٧٦، ٥٧٧.

(٢) انظر نهاية الأرب، القلقشندي، ص ٥٠.

(٣) انظر معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج ٢، ص ٧٦٢، ونهاية الأرب، القلقشندي، ص ٣٢١.

(٤) حليلة السعدية: هي بنت أبي ذؤيب واسمه عبد الله ابن الحارث. مرضع من مرضع العرب، قدمت مكة المكرمة مع نسوة تلتمس الرضاعة، فكان النبي ﷺ صغيراً يعرض على النساء فيأبين أخذه بسبب يتمه فهم يرجون المعروف عادة من أب الولد، ولما أرادت النسوة الرجوع إلى بلادهن ومع كل امرأة طفل لترضعه إلا حليلة السعدية، رجعت إلى اليتيم. وهو النبي ﷺ. فأخذته وأرضعته، حتى أكملت رضاعه، فدرّ عليها عملها كثيراً من الخير والبركة، وكان عليه الصلاة والسلام يحترمها ويسقط لها رداءه. انظر أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، عمر رضا كحالة، ج ١، ص ٢٩٠، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الرابعة، ١٩٨٢، وموسوعة حياة الصحابيات، محمد سعيد مبيض، ص ٣٠٠، ٣٠١، مكتبة الغزالي سوريا، ط. الأولى، ١٩٩٠.

(٥) اليمامة: منقول عن اسم طائر يقال له اليمام، واحدته يمامة، وهي معدودة من نجد، كان اسمها جواً ثم سميت باليمامة، وفي السنة الثانية عشرة من الهجرة فتحها سيف الله المسلول. خالد بن الوليد. عنوة ثم صالح أهلها، انظر معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج ٢، ص ٤١٢.

(٦) انظر معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج ٢، ص ٤٢٤، ٤٢٥، ونهاية الأرب، القلقشندي، ص ٢٤٢.

- أسد بن ربيعة: حي من ربيعة بن معد، بطن من العدنانية، وكان لأسد من الأولاد، جديلة، عنزة، وعميرة^(١).

- عَنَزَة: تنسب هذه القبيلة إلى عَنَزَة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان تسكن البادية من جزيرة العرب وخاصة الطرف الشمالي من الأقطار الحجازية، كانوا يقضون صيفهم بالقرب من سوريا، أما شتاؤهم فيقضونه بالتنقل والترحال في المناطق الشمالية من الجزيرة العربية بين الشام وحمص وحلب وبغداد^(٢).

- وائل: بطن من ربيعة، وهم بنو وائل بن قاسط بن هنب بن قصي بن دغمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، ويقسم إلى عدة أفخاذ أشهرها تغلب وبكر^(٣).

تنسب قبيلة تغلب إلى وائل بن قاسط، وتعد من القبائل الدائمة الحروب والقتال مع مختلف القبائل الأخرى، فمن أشهر وأطول حروبها كانت مع قبيلة بكر حيث دامت نيران الخلاف مستعرة أربعين سنة، وقد رفعت تغلب سيوفها بوجه المسلمين في السنة الثانية عشرة بعد الهجرة حين وقفت مع الروم، وبسبب مجاورتها للروم، فقد كانت النصرانية منتشرة بين أفرادها، وقد كانت منازلهم بين بلد بكر وبلد قضاة^(٤).

- أما بكر فهي أيضاً تنسب إلى وائل بن قاسط، ولا تقل شأناً عن تغلب وكما ذكرت آنفاً فالمشكلات بين القبيلتين قائمة باستمرار.

وقد استوطنت بكر اليمامة بعد خروجها من تهامة بسبب الحرب التي قامت بين القبائل هناك، ثم تقدمت نحو العراق، فقطنت على نهر دجلة، وما زالت تلك المنطقة تسمى باسمهم فيدعونها ديار بكر.

وفي السنة التاسعة من الهجرة أسلم عدد كبير من بكر بن وائل^(٥)، وقد كان

(١) انظر نهاية الأرب، القلقشندي، ص ٣٨. ومعجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج ١، ص ٢٤.

(٢) معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج ٢، ص ٨٤٦.

(٣) انظر معجم قبائل العرب، ج ٣، ص ١٢٤٤ ونهاية الأرب، القلقشندي، ص ٣٩٥.

(٤) انظر معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج ١، ص ١٢٠ وما بعدها.

(٥) انظر معجم قبائل العرب، ج ١، ص ٩٣ وما بعدها ونهاية الأرب، القلقشندي ص ١٧٠.

لكبر بن وائل من الولد علي ويشكر وبدن^(١).

- أما القسم الثاني من العرب فهم أبناء:

٢- قحطان:

أقدم القبائل العربية، وأكثرها محافظة على العادات العربية القديمة^(٢)، وهم أصل عرب اليمن^(٣).

وقد اختلف النسابون في أصل قحطان، فالقلقشندي في كتابه «نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب» ذكر أن الجمهور اتفقوا على أنه قحطان بن عابر بن صالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام^(٤). أما ابن حزم^(٥) في كتابه «جمهرة أنساب العرب» فقد نفى كونه من ولد إسماعيل عليه السلام، أو من ولد سام بن نوح أو من ولد هود عليهما السلام، كما أنكر النسب الذي ذكره القلقشندي، وعلل هذا النفي للنسب بأخذه من التوراة، إذ إن التوراة - كما يرى - مزيفة، فقد ذكر: «أنها مصنوعة مولدة، ليست التي أنزل الله تعالى على موسى عليه السلام ألبتة»^(٦).

وفي نظري أنّ قول الجمهور - الذي ذكره القلقشندي - هو الراجح، وبذلك يكون جميع العرب من ولد إسماعيل عليه السلام، لأن عدنان وقحطان يستوعبان بطون العرب القحطانية والعدنانية.

لقد انحدر عرب الجنوب من قحطان، ويذكر النسابون له عدة قبائل، أشهرها:

- أولاً: حَمِير:

من أكبر مجموعات القبائل في اليمن^(٧) وهي قبيلة من بني سبأ من

(١) جمهرة أنساب العرب، علي بن أحمد بن حزم، ص ٣٠٧.

(٢) معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج ٣، ص ٩٣٩.

(٣) نهاية الأرب، القلقشندي، ص ٣٥٥. (٤) انظر المصدر السابق، ص ٣٥٥.

(٥) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، ولد بقرطبة سنة (٣٨٤هـ ٩٩٤م) عالم الأندلس في عصره، شافعي المذهب بداية، ثم انتقل إلى المذهب الظاهري، عرف ببعده عن المصانعة حتى قيل: لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان. توفي سنة (٤٥٦هـ ١٠٦٤م) انظر سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ١٨، ص ١٨٤ وما بعدها.

(٦) جمهرة أنساب العرب، ص ٧، ٨. (٧) جمهرة أنساب العرب، ص ٣٢٩.

القحطانية، ينسبون إلى حمير ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان^(١)، وحمير هذا هو المسمى بالعرنج^(٢)، وملوك اليمن من التبابعة^(٣) كانت كلها من حمير إلا ما ندر^(٤).

أما أولاد حمير فهم: الهميسع، مالك، زيد، عريب، وائل، مسروح، عمير كرب أوس ومرة^(٥) ومن حمير تفرعت عدة بطون، أهمها:

- قضاة: اختلف النسابون في قضاة، فمنهم من قال إنه من القحطانية، ومنهم من قال إنه من العدنانية، فالقلقشندي^(٦) يعدّ أن المشهور كون قضاة من القحطانية، وهم بنو قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ وذهب السهيلي^(٧) إلى ان قضاة من العدنانية، فقال: «فأما قضاة فأكثر النسابين يذهبون إلى أن قضاة هو ابن معد»^(٨).

أما القول الراجح بعد البحث والتقصي، فهو كون قضاة من القحطانية، وذلك لما رواه ابن لهيعة عن عقبة بن عامر الجهني^(٩) رضي الله عنه قال: قلت:

- (١) معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج ١، ص ٣٠٥.
- (٢) جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص ٣٢٩.
- (٣) هم ملوك اليمن، واحدهم تبّع، سموا بذلك لأنه يتبع بعضهم بعضاً، كلما هلك واحد قام مقامه آخر تابعاً له على مثل سيرته، وزادوا الهاء في التبابعة لإرادة النسب انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ٨، ص ٣١.
- (٤) نهاية الأرب، القلقشندي، ص ٢٢٢.
- (٥) جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص ٤٣٢.
- (٦) وتبعه آخرون كهشام بن محمد بن السائب الكلبي وابن اسحاق وغيرهما. انظر نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، القلقشندي، ص ٣٥٨.
- (٧) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي، وذلك نسبة إلى قبيلة كبرى وهي: خثعم بن أنمار، ولد سنة ٥٠٨هـ، ولما بلغ السابعة عشرة من عمره فقد بصره. عالم بالنحو وفنون الأدب والسير، توفي عام ٥٨١ من الهجرة انظر الأعلام، خير الدين الزركلي، ج ٣، ص ٣١٣، دار العلم للملايين بيروت، ط. السابعة ١٩٨٦.
- (٨) الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٣، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٩.
- (٩) عقبة بن عامر بن عيس بن عمرو بن عدي الجهني، كان فقيهاً شاعراً كاتباً فصيح اللسان، وهو أحد الصحابة الذين جمعوا القرآن الكريم، كان يريد سيدنا عمر بن الخطاب أثناء فتح دمشق، شهد معركة صفين وقاتل مع سيدنا معاوية، توفي سنة ثمان وخمسين من الهجرة، انظر الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، ج ٢، ص ٤٨٩، وسير أعلام النبلاء، ج ٢، ص ٤٦٧ وما بعدها.

يا رسول الله، ممن نحن؟ قال: أنتم من قضاة ابن مالك^(١).

كما أن الصحابي الجليل عمرو بن مرة القضاعي^(٢) رضي الله عنه قال:

نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر قضاة بن مالك بن حمير^(٣)

فلو أن النبي عليه الصلاة والسلام لا يعرف نسبهم لما تكلم بذلك، لكنه أخبر بنسب قضاة بوضوح دون لبس، وهذا دليل قوي، وكما أن افتخار الشاعر بانتسابه إلى قضاة بن مالك بن حمير دليل آخر على انتساب قضاة إلى القحطانية.

أما ديار قضاة فانتقلت من الشحر^(٤) إلى نجران ثم إلى الحجاز ثم إلى الشام وبذلك تنقلوا ما بين الشام والحجاز وقد حاربهم النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة السلاسل في السنة السابعة من الهجرة^(٥) وكان لقضاة ولد واحد فقط واسمه الحافي^(٦).

- بهراء بن عمرو بن الحافي بن قضاة:

عددهم كثير وتوزعوا بين منطقة الصعيد - في مصر - وبلاد الحبشة، وقد قدم وفد منهم إلى النبي ﷺ في السنة التاسعة من الهجرة^(٧).

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ج ١، ص ١٢، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ الشلبي، دار القلم، بيروت، والروض الأنف، عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي السهلي، ج ١، ص ٢٣، تحقيق طه سعد، دار الفكر، بيروت.

(٢) عمرو بن مرة بن عبد بن مالك بن المحرث بن مازن بن سعد بن مالك القضاعي أول من ألقب بقضاة باليمن، سكن مصر ثم انتقل إلى دمشق، واختلف في زمن وفاته، فقيل في زمن سيدنا معاوية وقيل أيام خلافة عبد الملك بن مروان والله أعلم، انظر الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، ج ٣، ص ١٥.

(٣) البيت من بحر الرجز، ورد في السيرة النبوية لابن هشام، ج ١، ص ١٢، وكذلك في الروض الأنف، السهلي، ج ١، ص ٢٣. الهجان: الكريم، والأزهر هو المشهور، أما الشاهد فهو افتخار الشاعر بكونه من أبناء حمير.

(٤) الشحر: بكسر أوله وسكون ثانيه، هو شط على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن بين عُمان وعدن. انظر معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج ٣، ص ٣٢٧.

(٥) انظر معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج ٣، ص ٩٥٨.

(٦) جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص ٤٤.

(٧) انظر معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج ١، ص ١١٠، وقلائد الجمان، القلقشندي، ص

- جهينة: هم بنو جهينة بن زيد بن ليث بن سُود بن أسلم بن الحافي بن قضاة، وقد جاء مدحهم من النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: «الأنصار ومزينة وجهينة وغفار، وأشجع، ومن كان من بني عبد الله، مواليّ دون الناس، والله ورسوله مولاهم»^(١).

لقد جاورت جهينة قبيلتي الأوس والخزرج في العصر الجاهلي، هذا من الناحية الجغرافية، أما من الناحية العرقية فهم يجتمعون على أصل قحطاني واحد، لكن جهينة بقيت متمسكة بالتقاليد البدوية عندما تحضرت القبيلتان الأخريان، إلا أنهم جميعاً نالوا المجد والعز بدخولهم الإسلام، وعندما كانت المدينة المنورة ساحة لصراع قوي بين الأوس والخزرج - قبل الإسلام - سارعت القبيلتان إلى التحالف مع القبائل المجاورة، فانبثق تحالف جهينة والخزرج، بعد أن علمت الخزرج قدم وجود جهينة في المدينة المنورة وعراقتهم فيها، فبعض الأسر القريبة النسب إلى جهينة استوطنوا المدينة المنورة قبل الأوس والخزرج. وتعدُّ جهينة من قبائل الحجاز العظيمة^(٢).

- عذرة: ينسبون إلى عذرة بن مسعود بن هذيم بن زيد بن ليث بن سُود بن أسلم بن الحافي بن قضاة، هم المعروفون بشدة العشق، كان منهم جميل بن عبد الله بن عمرو^(٣) جاء وفد منهم إلى النبي ﷺ في السنة التاسعة من الهجرة، فأسلم أفراد الوفد على يديه وتعلموا الفرائض ثم ودعوا الرسول عليه الصلاة والسلام، فأمر لهم بجوائز وانصرفوا عائدين إلى اليمن^(٤).

(١) الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم، ج٧، ص١٧٨، دار المعرفة، بيروت. وينظر نسب جهينة في معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج١، ص٢١٦، ٢١٧.

(٢) انظر المرجع السابق، ج١، ص٢١٦، ٢١٧.

(٣) جميل بن معمر: أحد شعراء بني عذرة، أحب فتاة اسمها بثينة، وعندما طلبها للزواج من والدها رفضه، وذلك بعد ذكر جميل لبثينة في شعره، مما يعده العرب عيباً، فعندما تزوجت بثينة من رجل آخر، بثها جميل في أشعار تفيض حزناً ولوعة، حتى رضيت أن تلقاه، فعلم أهلها بذلك، وتوعدوا جميلاً بالقتل، فترك أهله وعشيرته، وتنقل بين البلاد إلى أن وصل لمصر حيث وافته المنية هناك، انظر معجم الشعراء، محمد بن عمران المرزباني، ص٧٢، مكتبة القدس، القاهرة، ط١٣٥٤هـ، وفي أدب الإسلام، محمد عثمان علي، ص٤٨٨، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط الثالثة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤.

(٤) انظر نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، القلقشندي، ص٣٢٦ ومعجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج٢، ص٧٦٨.

ثانياً: كهلان: هم بنو كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان^(١) بطونهم كثيرة، والمشهور منها سبعة وهم الأزد، طييء، مذحج، همدان، كندة، مراد، وأنمار، وعندما تسلمت قبيلة جَمِير الحكم والسيادة، كان إخوانهم من بني كهلان تحت مملكتهم باليمن، إلى أن بدأ حكم جَمِير يضعف ويتقلص فانقلبت إدارة الأمور والرياسة لبني كهلان^(٢).

- الأزد: هم بنو الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ^(٣)، والأسد - بالسين - أفصح - من الزاي - وهي من أعظم أحياء العرب، تجمع قبائل وعماثر كثيرة في اليمن، قدم وفد منهم في السنة التاسعة من الهجرة إلى رسول الله ﷺ فأسلموا، وأمرهم عليه الصلاة والسلام أن يجاهدوا أهل الشرك، وبعد وفاة النبي ﷺ قاتلت الأزد تحت لواء السيدة عائشة رضي الله عنها، وذلك في السنة السادسة والثلاثين من الهجرة، وقتل منهم ما يناهز الألف مقاتل^(٤) ومن قبيلة الأزد عدة قبائل أهمها:

١- خزاعة: بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة، وقد تسلمت خزاعة ولاية البيت بعد جرحهم، وكانت خزاعة حليفة لقريش^(٥) وذلك بعد تعاهد عقد مع كنانة على التناصر والتعاقد، ودخلوا في عهد رسول الله ﷺ في السنة الثامنة من الهجرة، وقد حاربوا مع سيدنا علي كرم الله وجهه في السنة السابعة والثلاثين من الهجرة^(٦).

٢- الأوس: هم بنو الأوس بن حارثة بن تغلب، والأوس هو أخ للخزرج^(٧)، سكنوا في اليمن بداية ثم انتقلوا إلى يثرب وعاشوا مع الخزرج واليهود، وكانت لهم حروب معهما وعندما قدم النبي ﷺ، إلى المدينة المنورة، اشتركت الأوس في العهد الذي عقد لحماية النبي عليه الصلاة والسلام

- (١) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، الفلقشندي، ص ٣٦٦.
- (٢) معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج ٣، ص ١٠٠٢.
- (٣) جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص ٣٣٠.
- (٤) معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج ١، ص ١٦، ١٧.
- (٥) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، الفلقشندي، ص ٢٢٨.
- (٦) معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج ١، ص ٣٣٩.
- (٧) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، الفلقشندي، ص ٩٥.

وأصحابه^(١)، وآمنوا به ونصروه، هم وإخوانهم من الخزرج فسموا «الأنصار» ورغم انتشارهم في جميع بقاع الأرض شرقاً وغرباً، بقي هذا الاسم يطلق عليهم حيثما حلّوا، ومنهم الصحابي الجليل سعد بن معاذ^{(٢)(٣)}.

٣- الخزرج: بن حارثة بن تغلب بن عمرو بن عامر، ويقال للأوس والخزرج بنو قبيلة^(٤)، ومن أشهر المعارك التي قامت بينهما، بعث^{(٥)(٦)}، وهم إحدى قبيلتي الأنصار - كما ذكرت سابقاً - لهم ملك يثرب قبل الإسلام، ومنهم الصحابي الجليل، سعد بن عبادة^(٧)، وكان للخزرج بن حارثة من الأولاد: عمرو، وعوف، وجشم، وكعب، والحارث^(٨).

٤- عك: اختلف فيه؛ فمن النسابين من يقول هو عك بن عرفان بن الأزد من كهلان، وهو بذلك بطن من القحطانية، ومنهم من يقول إن «عك» هو أخ لمعد بن عدنان - أبي العدنانية -.

- (١) معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج ١، ص ٥٠، ٥١.
- (٢) هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج، سيد الأوس، أسلم على يد مصعب بن عمير، شهد بدرأً وجرح يوم الأحزاب، فدعا ربه عز وجل ألا تخرج روحه إلا بعد أن تقر عينه ببني قريظة، فأجبت دعوته حتى حكم على بني قريظة، ثم انتقض جرحه ومات. انظر الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ج ٢، ص ٣٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت، سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ١، ص ٢٧٩ وما بعدها.
- (٣) قلائد الجمان، القلقشندي، ص ٩٣، ٩٤.
- (٤) هم بطن من الأريزيق من كهلان من القحطانية، انظر نهاية الأرب، القلقشندي، ص ٣٦٢.
- (٥) بعث: بالضم، موضع في نواحي المدينة، كانت به وقائع بين الأوس والخزرج في الجاهلية، وقيل هي من أموال بني قريظة، انظر معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج ١، ص ٤٥١.
- (٦) معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج ١، ص ٣٤٢.
- (٧) سعد بن عبادة بن دُلَيْم بن حارثة بن أبي حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري، سيد الخزرج، اختلف في شهوده بدرأً بين الإثبات وبين النفي بسبب أنه نُهش - من حية - وبعد وفاة النبي ﷺ، أرسل إليه سيدنا أبو بكر رضي الله عنه ليباع كما بايع الآخرون، فرفض ذلك، وتوفي في زمن سيدنا عمر بن الخطاب ببحوران - جنوب دمشق - في السنة السادسة عشرة من الهجرة، انظر الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، ج ٢، ص ٣٠، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ١، ص ٢٧٠ وما بعدها.
- (٨) جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص ٣٤٦.

أما المناطق التي قطن فيها معظم أفراد هذه القبيلة فهي زييد^(١) والكدراء^(٢) وغيرها من مدن اليمن^(٣).

وبما أن أغلب قبائل عك سكنت اليمن فالراجح أن عكاً من القحطانية.

- طيئ: ينسبون إلى طيء بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان، والنسبة إليهم طائي، وإليهم ينسب حاتم الطائي^(٤) المشهور بالكرم.

وقد جاء وفد من قبيلة طيئ إلى النبي ﷺ يرأسهم رجل اسمه زيد الخيل بن مهلهل^(٥)، فعرض النبي ﷺ الإسلام عليهم فأسلموا، فسماه عليه الصلاة والسلام بـ «زيد الخير».

كانوا يسكنون اليمن فخرجوا منه ونزلوا في جوار بني أسد إلى أن غلبوهم على جبلي أجأ وسلمى^(٦)، فسمي بعد ذلك بجبل طيئ واستقروا بهما إلى حين افتراقهم في أول الإسلام زمن الفتوحات^(٧).

- مذحج: واسمه مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن

(١) زييد: بفتح أوله وكسر ثانيه، مدينة مشهورة باليمن شيدت أيام المأمون، في وادٍ، وكان اسمها الحُصيب، إلا أن اسم الوادي غلب عليها فسميت به، انظر معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج٣، ص١٣١.

(٢) كدراء: بالمد، تأنث الأكر، اسم مدينة باليمن، على وادٍ يسمى بوادي سهام، معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج٤، ص٤٤١.

(٣) انظر معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج٢، ص٨٠٢، ونهاية الأرب، القلقشندي، ص٣٣٢.

(٤) هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي، جاهلي من أهل نجد، قدم الشام، كان شاعراً جواداً، فارساً، توفي سنة ٥٧٥م. انظر معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ج١، ص٥١٧.

(٥) هو زيد الخيل بن مهلهل بن زيد بن منهب بن عبد بن أقصى بن المحلس بن ثوب بن كنانة بن مالك الطائي، جاء إلى النبي ﷺ في السنة التاسعة من الهجرة وسماه زيد الخير، وهو شاعر خطيب شجاع كريم، توفي في زمن سيدنا عمر بن الخطاب، انظر الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، ج١، ص٥٧٢ وما بعدها.

(٦) جبلان عن يسار سميراء، عن يمين القاصد لمكة المكرمة، وهما شاهقان، بينهما وبين خيبر خمس ليالٍ، سمي (أجأ) باسم أجأ بن عبد الحي، وسمي الآخر (سلمى) باسم امرأة عشقها أجأ واسمها سلمى، معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج١، ص٩٤، وج٣، ص٢٣٨.

(٧) انظر معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج٢، ص٦٨٩، ٦٩٠، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، القلقشندي، ص٢٩٧، ٢٩٨.

كهلان بن سبأ، سكن أغلبهم في اليمن واستقطنوا منطقة نجران^(١).

بعث لهم النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد^(٢) ليدعوهم إلى الإسلام، فإن قبلوا فهو خير لهم وإن أبوا قاتلهم، لكنهم أسلموا ودخلوا فيما دعوا إليه.

حاربوا مع سيدنا علي - رضي الله عنه - سنة ٣٧هـ، وقاتلوا الحسين سنة ٦٦هـ^(٣).

- زييد: هي بطن من مذحج، أصولها في الجزيرة العربية، ومنها في تهامة^(٤) وبين الحرمين الشريفين، ووردت العراق مع الفتح الإسلامي عندما شاركت به، فقاتلت لأنها ذات شجاعة معروفة، وجزالة موصوفة، هذا مع قلة عددهم.

واستقرت بعض فروع القبيلة في الشام ومصر لكنها تفرعت في العراق إلى زييد الأصغر وزييد الأكبر^(٥).

- همدان: هم بنو همدان بن مالك بن زيد بن أوسيلة بن ربيعة بن الخيار بن

(١) نجران، بالفتح ثم السكون، تقع في مخاليف اليمن من ناحية مكة، سميت بذلك لأن رجلاً اسمه نجران بن زيد بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان هو أول من قطن فيها، بعد أن رأى رؤيا تشاءم منها، فنزل في ذلك الوادي فسميت تلك البقعة باسمه، انظر معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج ٥، ص ٢٦٦.

(٢) هو خالد بن الوليد بن مغيرة بن عبد الله بن عمرو القرشي، فارس الإسلام أسلم بعد الحديبية وشهد مؤتة. سماه رسول الله ﷺ عندها: سيف الله المسلول، شهد الفتح وحينئذ، وكان مشاركاً مع سيدنا أبي بكر الصديق في محاربة المرتدين بعد وفاة النبي ﷺ، عاش ستين سنة وتوفي سنة ٢١ من الهجرة، انظر: تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ج ١، ص ٣٧٦. ٣٧٩، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، ط. الأولى، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ١، ص ٣٦٦ وما بعدها.

(٣) انظر معجم قبائل العرب عمر رضا كحالة، ج ٣، ص ١٠٦٢، وجمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص ٤٠٥. ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، القلقشندي، ص ٣٧٢.

(٤) تهامة: بكسر التاء، من اليمن، وهي ما أصحر من اليمن إلى حد في باديتها وسميت تهامة لشدة حرّها، وركود ريحها، ويقال: تهم الحر: إذا اشتد، ومكة من تهامة، لذلك يقال إذا جاوزت وجرة وغمرة والطائف فقد أتهمت، وإذا أتيت المدينة فقد جلست. انظر معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج ٢، ص ٦٣، ولسان العرب، ابن منظور ج ١٢، ص ٧٢.

(٥) انظر تاريخ واسط، أسلم بن سهل الرزاز الواسطي، ص ٣٢٩، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٦٧، ومعجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج ٢، ص ٤٦٥.

مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ. كانت ديارهم باليمن من الناحية الشرقية، ولما جاء الإسلام بقي فريق في اليمن وتفرق آخرون بين الكوفة ومصر.

قدم وفد منهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلقوه عندما كان راجعاً من تبوك^(١)، في السنة التاسعة من الهجرة، فتكلموا كلاماً فصيحاً، فأعطاهم النبي ﷺ ما طلبوه^(٢).

- جذام: ينسبون إلى جذام بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان^(٣).

والجذام في أصل اللغة، من الداء، معروف لتجذم الأصابع وتقطعها، وهو من الأمراض المعدية وكانت العرب تتطير منه وتتجنبه^(٤).

وجذام هو أول عربي سكن مصر، حين دخلها مع الفتح الإسلامي بقيادة عمرو بن العاص^(٥) رضي الله عنه، وهم أهل شجاعة وإقدام^(٦).

وبذلك أكون قد تعرضت للحديث عن أهم القبائل العربية في الجزيرة العربية - فيما يخص موضوع هذه الرسالة - وما ضرورة هذا المبحث إلا من أجل الفصول اللاحقة، فارتأيت جمع هذه القبائل في مبحث خاص بها، كي لا أفصل وأشرح في الهامش نسب كل قبيلة يمرّ ذكرها.

(١) تبوك: بالفتح ثم الضم، موضع بين وادي القرى والشام، توجه إليه النبي ﷺ في السنة التاسعة من الهجرة لقتال الروم، فوجدهم قد تفرقوا، فلم يلقَ كيداً، انظر معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج ٢، ص ١٤، ١٥.

(٢) انظر معجم قبائل العرب عمر رضا كحالة، ج ٣، ص ١٢٢٥، وجمهرة أنساب العرب، ابن حزم، ص ٣٩٢، ونهاية الأرب، القلقشندي، ص ٣٨٩.

(٣) انظر معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج ١، ص ١٧٤، وجمهرة أنساب العرب، القلقشندي، ص ٤٢٠.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، ج ١٢، ص ٨٧، ٨٨.

(٥) هو أبو عبد الله عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، فاتح مصر، كان في الجاهلية من الأشداء على الإسلام، أسلم في هدنة الحديبية، ولاء سيدنا عمر بن الخطاب فلسطين ثم مصر، حيث مات في القاهرة عام ٤٣ هـ. انظر تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ج ٨، ص ٥٦، ٥٧.

(٦) معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج ١، ص ١٧٤.

نماذج من اللهجات المشتهرة بين القبائل العربية

إن الباحث في غمار اللهجات العربية، لا بُدَّ له أن يجد أجوبة لبعض الأسئلة التي تطرح نفسها في بداية هذا المبحث، وأول ما يخطر بالبال سؤال عفوي، وهو: ما الداعي لنشوء اللهجات؟ ومن ثمَّ ما هي الأسباب التي أدت إلى نشوئها؟ ويا ترى هل العربية التي كانوا يلقون بها أشعارهم من مفاخرة وحماسة ورتاء وغيرها، تكونت من جميع اللهجات، فأخذت من هذه قليلاً ومن الأخرى قليلاً ومن تلك الشيء اليسير وهكذا، أم إن تلك العربية نشأت من لهجة قبيلة واحدة؟

إن لنشأة اللهجات عدة أسباب وكذلك لانتشار أي لهجة واشتهارها بين القبائل عدة مقومات، فهناك الأسباب الجغرافية وهناك عوامل ثقافية أيضاً، ولا يمكن تجاهل الأسباب الاجتماعية من تجاور أو هجرة أو غزو وغيرها.

والمناسبات التي جمعت بين العرب آنذاك عديدة - كموسم الحج وأسواق التجارة ومجالس إلقاء الشعر - ففي خلال الندوات الثقافية في أثناء الحج مثلاً يجتمع العرب وكل يخاطب الآخر بلهجته، لكن ما إن أراد أحدهم أن يمتع أذان جميع الحاضرين، ويجحظ عيون الناظرين، فما عليه إلا التخلي عن الكلام بلهجته الخاصة وإلا سيكون موضعاً لسخريتهم وهزئهم.

وهكذا ظلت كل قبيلة تتمسك بلهجة كلامها في الخطاب اليومي بين أفراد القبيلة بعضهم مع بعض، أما القبائل عامة، فقد كونت لنفسها لغة موحدة أدبية ممتازة، مختارة الألفاظ، يعتمد عليها الشاعر والخطيب كلما عزَّ عليه القول^(١).

أمام كل هذا، فقد اختارت بعض القبائل عدم الاختلاط مع الآخرين،

(١) انظر في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص ٣٢، ٣٣.

وانكبت على تقاليدھا الخاصة، ومن هذه العزلة تولدت اللهجات المختلفة، فالقبائل المجتمعة في حالة تغيير وإثراء وتطوير دائم للهجاتها أما تلك التي اختارت الانزواء والابتعاد عن الآخرين تبقى لهجتها جامدة، وإن تغيرت فبشكل محدود جداً، يتمثل مع كل جيل ناشئ من أبناء تلك القبيلة يولدون لهجتهم الخاصة بهم، فهي تقتبس من لهجة الجيل الذي سبقهم مع تعديل طفيف لما قد يفرضه واقع الحال.

ومن هنا فإن صاحب كتاب «في اللهجات العربية»^(١) عزا اختلاف اللهجات إلى أمرين هما:

١- انزوال القبائل.

٢- التطور المستقل لكلام كل قبيلة.

وقبل الخوض في عرض نماذج من اللهجات المشتهرة بين القبائل لا بد من توضيح لبعض الأمور وهي:

أ - لقد قسم بعض الباحثين لغات العرب إلى قسمين: لغة الحجاز ولغة تميم لكن هذا التقسيم فيه نظر، فالحجاز من الناحية الجغرافية تضم العديد من القبائل التي تختلف لهجاتها جذرياً عن الأخرى، فلهجة قريش تختلف في كثير من مبادئها عن مبادئ لغة أهل الحجاز - كما يطلقها بعضهم - لكن من المعروف أن قريشاً تسكن مكة، ومكة المكرمة تتبع للحجاز.

كما أن تميماً - على اعتبار توحد لهجتها بين جميع أفرادها - منتشرة في كثير من الأماكن حتى في الحجاز، إضافة إلى ذلك فإن كثيراً ممن ينسب إلى تميم لا يكون خالصاً لها، فقد يكون لقيس أو أسد أو غيرها كذلك^(٢).

ولهذا فإن استخدامي للفظ «لغة الحجاز» أو لغة «تميم» في هذا البحث هو على سبيل الإطلاق لا الحصر، وسأحاول جاهداً الابتعاد عن التعبير بهذا التقسيم.

ب - إن كلمة الإبدال مستخدمة عند كل من الصرفيين^(٣) واللغويين،

(١) إبراهيم أنيس، ص ٣٢.

(٢) انظر في اللهجات العربية القديمة، إبراهيم السامرائي، ص ١٢، دار الحدائق، بيروت، ط. الأولى ١٩٩٤.

(٣) الإبدال عند الصرفيين هو: (جعل حرف مكان حرف غيره) شرح شافية ابن الحاجب رضي الدين =

فالصرفيون لهم التعريف الخاص بهم في مجال اختصاصهم. ولكن الإبدال الذي سأتطرق إليه في بعض نماذج هذا المبحث هو ذاك الذي قيل عنه «لغات مختلفة لمعان متفقة تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد حتى لا يختلفا إلا في حرف واحد»^(١).

فكل تبديل حصل لحرف أصلي من حروف الكلمة هو لهجة، ولذلك تفاوتت القبائل في نسبة اللهجات إليها وإن أشهر القبائل في رواية اللهجات ثلاث هي: تميم هذيل، وطيء^(٢)، بينما مدحت قريش فليل عنها «ارتفعت قريش في الفصاحة عن عننة تميم وكشكشة ربيعة وكسكسة هوازن وتضجع قيس وعجرفية ضبة وتلتلة بهراء»^(٣).

ج - سألجأ في هذا المبحث إلى استخدام كلمة «اللغات» بأوسع معانيها لتدخل اللهجات في ذلك.

وفيما يلي أمثلة من اللهجات المشتهرة عند بعض القبائل:

١- العننة: جعل العين بدل الهمزة^(٤)، فيقال: «عن» في موضع «أن» وقد

أنشد أحدهم:

فلا تُلهِكِ الدُّنْيَا عن الدِّينِ واعْتَمِلْ لآخِرَةَ لا بُدَّ عن ستصيرها^(٥)

محمد بن الحسن الاسترابادي، ج ٣، ص ١٩٧، تحقيق محمد الحسن، محمد الزفزاف، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥.

(١) قول أبي الطيب اللغوي نقلاً عن المزهري في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، ج ١، ص ٤٦٠، تحقيق محمد المولى، علي البجاوي محمد إبراهيم، دار الجيل، بيروت.

(٢) في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص ١٤٠.

(٣) مجالس ثعلب، أحمد بن يحيى ثعلب، ج ١، ص ٨٠، ٨١، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر.

(٤) المحيط في اللغة، إسماعيل بن عباد، ج ١، ص ٩٩، تحقيق محمد آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط. الأولى ١٩٩٤.

(٥) البيت من الطويل، وهو ليعقوب بن السكيت، ورد في لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، ج ١٣، ص ٢٩٥. تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي، ج ٣٥، ص ٤٢٠، تحقيق مصطفى حجازي، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ط. الأولى، ٢٠٠١، والشاهد في قوله (عن ستصيرها) يريد أن ستصيرها أي ستصير ومصيرك إليها.

كما أنه يقال سمعنا عن فلاناً فعل كذا. يريدون أن.

وورد في حديث قَيْلَةَ^(١): «تحسب عني نائمة» وهي لغة تميم^(٢).

وأورد ابن السكيت^(٣) في باب العين والهمزة: قال الأصمعي: «آديته على كذا وكذا وأعديته، أي قويته وأعنته، ويقال استأديت الأمير على فلان، في معنى استعديته، كما يقال: كئأ اللبن وكئع وهي الكئأة والكئعة، إذا علا دسمه وخثورته على رأسه في الإناء»^(٤) وقد أنشد:

أعن ترسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم^(٥)

أما سبب إطلاق اسم العنينة على هذه اللهجة فهو كما بينه ابن جني^(٦) حيث

(١) قَيْلَةُ بنت مخزومة، من ربات الفصاحة والبلاغة، قدمت على رسول الله ﷺ وسمعت منه وصلت معه، أما قولها فقد ورد في حديث مطوّل لها، ذكره صاحب أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، عمر رضا كحالة، ج٤، ص٢٢٦.

(٢) انظر الصحابي في فقه اللغة، أحمد بن فارس، ص٥٣، تحقيق مصطفى الشومي، مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر، بيروت، وخزانة الأدب، عبد القادر البغدادي، ج١١، ص٤٦٦، ٤٦٧، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٨٣.

(٣) هو أبو يوسف يعقوب بن السكيت، ولد عام ١٨٦ من الهجرة عالم بالقرآن الكريم ونحو الكوفيين، ومن المبرزين في اللغة والشعر، أخذ عن أبي عمرو والفراء والشيباني، وروى عن الأصمعي، وأخذ عنه أبو سعيد السكري وأبو عكرمة الضبي، ومحمد ابن الفرّج المتمري، عاش زمن المتوكل الذي أمر الأتراك سلّ لسانه وضربه فداوسوا ببطنه ثم حمل إلى داره فمات ببغداد سنة مئتين وأربع وأربعين من الهجرة. انظر الأعلام، خير الدين الزركلي، ج٨، ص١٩٥، دار العلم للملايين، بيروت، ط. العاشرة، ١٩٩٢، ومعجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج٧، ص٢٧٠، ٢٧١، تحقيق عمر الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ط. ١٩٩٩.

(٤) كتاب الإبدال، ص٨٤، تحقيق حسين شرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٧٨.

(٥) البيت من البسيط، وهو لغيلان بن عقبة العدوي الملقب بذئ الرمة، مذكور في ديوانه، ج١، ص٣٧١، تحقيق عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، بيروت، ط. الأولى، ١٩٨٢، وفي خزانة الأدب، البغدادي، ج٢، ص٣٤١، ج٤ ص٣٤٥، ج١٠، ص٢٩٢، ج١١، ص٢٣٥، ٢٣٨، ٤٦٦، وفي الخصائص، عثمان بن جنّي، ج٢، ص١١، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، وفي شرح شواهد المغني، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ج١، ص٤٣٧، لجنة التراث العربي، وورد بلا عزو في شرح المفصل، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش، ج١٠، ص١٦، مكتبة المتنبّي، القاهرة.

والشاهد فيه قوله: (أعن) يريد (أأن) فأبدل الهمزة المفتوحة عيناً.

(٦) أبو الفتح، عثمان بن جنّي إمام العربية، ولد بالموصل وتوفي ببغداد، كان أبوه مملوكاً رومياً سليمان بن فهد الأزدي. يُعَدُّ ابن جنّي من أهدق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف، ولم =

قال: «وقولهم عنعنة مشتق من قولهم: عن عن عن في كثير من المواضع، ومجيء النون في العنعة يدل على أن إبدالهم إياها إنما هو في همزة أن دون غيرها»^(١).

٢- الكشكشة: قال الجوهري^(٢) في الصحاح: «الكشكشة إبدال الشين من

كاف الخطاب للمؤنث

كقولهم عليش وبش، في عليك وبك في موضع المؤنث» وتنسب الكشكشة إلى بني أسد^(٣) أما ابن منظور^(٤) فقد نسبها لربيعة وأشار إلى أنها جعل الشين مكان كاف الخطاب المؤنثة، فيقولون «منش» بدلاً من «منك»، ويُعزى سبب إبدال الكاف محل الشين إلى أن حركة الكسر للكاف تختفي عند الوقوف، فاحتياطاً لزيادة البيان أبدلوا الكاف شيئاً، فإذا وصلوا الكلام حذفت الشين لبيان الحركة، غير أن بعضهم يقي الإبدال في حالة الوصل أيضاً، وأنشدوا للمجنون:

فعيناش عيناها وجيدش جيدها ولكن عَظَمَ الساقِ منشٍ رقيق^(٥)

يكن في شيء من علومه أكمل منه في التصريف، خدم عند عضد الدولة. أبو شجاع فناخسروا بن ركن الدولة. وحضر عند المتنبي في مدينة حلب، لا يستمع إليه بل يناقشه في مسائل النحو، وبالمقابل قال عنه المتنبي إنه رجل لا يعرف قدره كثير من الناس. انظر معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج ٤، ص ٣٨١، وما بعدها، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ١٧، ص ١٧، وما بعدها ومعجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ج ٢، ص ٣٥٨، والأعلام، الزركلي، ج ٤، ص ٢٠٤.

(١) سر صناعة الإعراب، ج ١، ص ٢٣٣، تحقيق حسن هنداوي، دار العلم، دمشق، ط. الأولى ١٩٨٥.

(٢) أبو نصر إسماعيل بن حماد، اللغوي المعروف، تركي من مدينة فاراب، تغرب عن بلده أثناء حياته، سكن الحجاز في بلاد ربيعة ومضر، كما سكن بلاد الشام والعراق ثم استوطن نيسابور حيث قرع وقته ونفسه لتدريس الآخرين، من أساتذته، أبو سعيد السيرافي وأبو علي الفارسي وأبو إبراهيم الفارابي. خاله. توفي رحمه الله سنة ثلاث مئة وثلاث وتسعين. انظر معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ج ١، ص ٣٦٢ وسير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ١٧، ص ٨٠ وما بعدها.

(٣) الصحاح، ج ٣، ص ١٠١٨، تحقيق أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط. الرابعة ١٩٩٠.

(٤) محمد بن مكرم بن علي بن أحمد ابن منظور الأنصاري، ولد بمصر عام ٦٣٠ هـ ولي القضاء في طرابلس الغرب ثم عاد إلى مصر، وتوفي بها سنة ٧١١ هـ، وهو من المبرزين في اللغة والأدب والشعر، وقد روى عن مجموعة من أكابر العلماء كابن الطفيل ويوسف المحيلي وابن المقير وغيرهم. انظر معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ج ٣، ص ٧٣١.

(٥) البيت من الطويل وهو لمجنون ليلي، قيس ابن الملوح، ورد في ديوانه، جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار مصر للطباعة، ص ٢٠٧، وفي خزانة الأدب، البغداد، ج ١١، ص ٤٦٤، وسر =

وزاد بعضهم على الكاف في الوقف شيئاً حرصاً على البيان، فقالوا: بكِشْ.
ويتلخص ما ذكره ابن منظور - فيما يتعلق بالكشكشة - بثلاث نقاط:
- إضافة الشين وحذف كاف الخطاب المؤنثة حالة الوقف كقولهم: عليشْ -
في عليكِ -
- عدم الاقتصار على إبدال الكاف شيئاً حالة الوقف، بل الإبدال أيضاً في
حالة الوصل.

- زيادة الشين بعد الكاف من باب الحرص على بيان اللفظ.
وقد ألحق صاحب «المحيط في اللغة» هذه اللغة بريعة فقال: «لغة لريعة
يقولونها، عند كاف التأنيث نحو: عليكش وبكيش»^(١).
بينما نسب سيبويه^(٢) هذه اللهجة إلى كثير من تميم وناس من أسد، ثم علل
الإبدال بالحرف كون الفصل فيه بين المذكر والمؤنث أقوى من الفصل بالحركة،
أما سبب اختيار الشين فلأن هذا الحرف أقرب الحروف مشابهة للكاف، فكلا
الحرفين مهموس^(٣).

فالكشكشة عزيت إلى مضر^(٤) وتميم وريعة وأسد، ويمكن الجمع بين هذه
الروايات من خلال القول بأن ربيعة قبيلة عظيمة وأسد منها وكذلك مضر قبيلة

صناعة الإعراب، ابن جني، ج ١، ص ٢٠٦.
والشاهد فيه إبدال كاف المؤنث محل الشين في عينك (عيناش) وجيدك (جيدش) ومنك (منش)
وذلك في حالة الوصل.

(١) إسماعيل بن عباد، ج ٦، ص ١٢١.

(٢) عمرو بن عثمان بن قنبر، ولقب بسيبويه لاحمرار وجنتيه فهما كالتفاح حسناً، وقيل لتشبيه رائحته
العطرة التي كان يخرج بها للناس برائحة التفاح الزكية. إمام النحو والأدب، أقبل على الفقه
والحديث بداية ثم انتقل إلى العربية، فكان مرجعاً، أخذ عن كبار العلماء كالخليل ابن أحمد
الفراهيدي، ويونس بن حبيب والأخفش الكبير، بالإضافة إلى ذلك فقد ناقش الكسائي بحضور
يحيى البرمكي. وقد قال الجاحظ يوماً: أردت الخروج إلى محمد بن عبد الملك، ففكرت في
شيء أهديه له، فلم أجد شيئاً أشرف من كتاب سيبويه، توفي رحمه الله سنة مئة وثمانين من
الهجرة. انظر سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ٨، ص ٣٥١، ٣٥٢ ومعجم المؤلفين، عمر رضا
كحالة، ج ٢، ص ٥٨٤.

(٣) انظر الكتاب، ج ٤، ص ١٩٩، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار
الرفاعي بالرياض، ط. الثانية ١٩٨٢، باب الكاف التي هي علامة المضمرة.

(٤) انظر المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، ج ١، ص ٢٢١.

كبيرة وتميم منها. وتميم وأسد من القبائل النجدية، فلعلها اختارت حرف الشين لأنه من حروف التفشي التي توضح الصوت للمستمع دون أي تعب للمتكلم.

٣- الكسكسة: زيادة السين بعد الكاف المؤنثة كقولهم: اعطيتكس ومنكس وهي لغة هوازن^(١). وفي تهذيب اللغة قال «لغة من لغات العرب تقارب الكشكشة»^(٢) وقال صاحب «المحيط في اللغة» هي لغة لبكر^(٣)، أما سيويه فقال: «إن أناساً من العرب يلحقون الكاف السين ليبيّنوا كسرة التانيث، وإنما ألحقوا السين لأنها قد تكون من حروف الزيادة في (استفعل) وذلك (أعطيتكس) و(اكرمتكس) فإذا وصلوا لم يجيئوا بها، لأن الكسرة تبيّن»^(٤).

فقد عدّ سيويه أن إبدال السين في حالة الوقف دون حالة الوصل، إذ لا ضرورة لذكرها حالة الوصل، لأن الكسرة عندئذٍ ستكون مسموعة واضحة ولا مبرر لأن يشك السامع في توجيه الكلام للمؤنث.

وبعد البحث والاستقراء يتبين أن هذه اللهجة قد عزيت إلى كل من تميم^(٥) وربيعة ومضر^(٦). إن المتأمل في القبائل التي اقترنت بها لهجتا الكشكشة والكسكسة يلاحظ أن ثلاثاً من القبائل وهي: تميم، ربيعة ومضر، اشتركت في كلتا اللهجتين مما يوحي بأن الظاهرتين أصلهما واحد، وهي الكشكشة، ثم تحولت إلى كسكسة عند الذين اختلطوا واندمجوا بالحضر.

٤- الاستنطاء: عند البحث في المعجمات اللغوية عن مادة «نطا» يتبين أنهم وضعوا «الإنطاء» هو الإعطاء بلغة أهل اليمن^(٧) وكذلك «أنطى» لغة في «أعطى»^(٨).

(١) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ٦، ص ١٩٦.

(٢) محمد بن أحمد الأزهري، ج ٩، ص ٤٣٠، تحقيق عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

(٣) إسماعيل ابن عباد، ج ٦، ص ١٢٦. (٤) الكتاب، ج ٤، ص ١٩٩.

(٥) انظر تاج العروس، الزبيدي، ج ١٦، ص ٤٤٦.

(٦) انظر المزهري، السيوطي، ج ١، ص ٢٢١.

(٧) الصحاح، الجوهري، ج ٦، ص ٢٥١٢.

(٨) تاج العروس، الزبيدي، ج ١٠، ص ٣٧٢، والقاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ص ١٣٣٩، تحقيق بإشراف دار النشر، مؤسسة الرسالة، ط. السادسة ١٩٩٨.

ومن القبائل اليمنية التي نسبت إليها هذه اللهجة: سعد بن بكر، الأزد، والأنصار. يلقبون النون محل العين الساكنة عند مجاورتها لحرف الطاء^(١). وقد قرأ بعضهم^(٢) «أنطيناك» في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾^(٣) وهي من القراءات المنسوبة للنبي^(٤).

والنبي عليه الصلاة والسلام قد شرف هذه اللغة أيضاً في أحاديثه فقد روي أنه قال: «اللهم لا مانع لما أنطيت»^(٥) أي: أعطيت، كما ورد في حديث آخر: «اليد المنطية خير من اليد السفلى»^(٦)

وكذلك وردت هذه اللهجة في رسائله صلى الله عليه وسلم، فقد جاء في كتابه لتميم الداري^(٧): «هذا ما أنطى رسول الله^(٨) ﷺ»

(١) انظر المزهري، السيوطي، ج ١، ص ٢٢٢.

(٢) وهم الحسن البصري، طلحة، ابن محيصن والزعفراني، انظر تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي، ج ١٠، ص ٥٥٥، ٥٥٦، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢.

(٣) سورة الكوثر، الآية: ١.

(٤) انظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ١٠، ص ٥٥٥، ٥٥٦.

(٥) كتب المغيرة إلى معاوية بن أبي سفيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر كل صلاة إذا سلم: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد» أخرجه البخاري في صحيحه، ج ٤، ص ٢٢٠٠ كتاب الدعوات، باب الدعاء بعد الصلاة، رقم الحديث: ٥٩٧١.

(٦) حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن سماك بن الفضل، عن عروة بن محمد بن عطية عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اليد المعطية خير من اليد السفلى» مسند الإمام أحمد، ج ٢٩، ص ٥٠٣، تحقيق شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد عامر غضبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٩، رقم الحديث ١٧٩٨٣.

(٧) هو تميم بن أوس بن خارجة بن سود بن خزيمة، يكنى بأبي رقية. وهي ابنته. كان نصرانياً ثم أسلم في السنة التاسعة من الهجرة، فحسن إسلامه، عرف عنه كثرة التهجد والخشوع والبكاء أثناء الصلاة، سكن المدينة المنورة ثم أقام بفلسطين، وكان أول من روى الأحاديث في زمن الخليفة عمر بن الخطاب بعد ما أذن له، ثم انتقل أبو رقية إلى الشام بعد مقتل سيدنا عثمان رضي الله عنهم أجمعين. انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن محمد الجوزي المشهور بابن الأثير، ج ١، ص ٤٢٨، ٤٢٩، تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٤، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ٢، ص ٤٤٢.

(٨) تاج العروس، الزبيدي، ج ١٠، ص ٣٧٢.

والتوزيع الجغرافي لمواطن النطق بصيغة (أنطى) قديماً وحديثاً، يبين أنها كانت توجد على طرق القوافل من الجنوب إلى الشمال، ومن ثم فإن احتمال انتقال هذه الصيغة من الجنوب، أي من بلاد اليمن، على طول طريق رحلتي الشتاء والصيف، احتمال مقبول.

٥- العججعة: تحويل الياء إلى جيم عند وجود حرف العين قبل الياء فيقولون: «هذا راعج خرج معج» يريدون هذا راعي خرج معي.

فكما أن العننة مختصة بها تميم فكذلك العججعة اختصت بها قضاة^(١).

وذكر صاحب القاموس في أول باب الجيم أن الجيم قد تحل محل الياء المشددة والمخففة كفقيمج^(٢) وحجتج في فقيمي وحجتي^(٣) فالملحوظ أن صاحب «القاموس» توسع في تحديد لهجة العججعة أكثر من غيره^(٤)، فسواء أكانت الياء مشددة أم لا، وكذلك إن كان قبل الياء حرف عين أو غيره من الحروف.

والمقصود بالياء المشددة، ياء النسب نحو: تميمي، أو ياء من أصل الكلمة كالتي في اسم العلم «علي»، أما الياء المخففة فقد تكون ياء الضمير نحو: حجّتي، غلامي، أو تكون ياءً من أصل الكلمة.

وأشار ابن جنبي إلى أن الجيم إذا كانت بدلاً فمن الياء لا غير، وقد قيل لرجل ممن انت؟ فقال: فقيمج، فقيل من أيهم؟ قال: مرّج، فهو يريد أن يقول فقيمي مريّ، وكذلك يقولون أمسجت وأمسجا، يقصدون أمسيت وأمسيا، فهم يرجعون الكلام إلى أصله، فأصل أمسى هو أمسي^(٥).

وقد نسب سيبويه العججعة إلى سعد^(٦)، وعند النظر في قبائل سعد يتبين أنها تنقسم إلى بكر وهذيل وتميم^(٧) فالأظهر أن المقصود هم بنو تميم وذلك لتسمية

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ٢، ص ٣٢٠، والصحاح، الجوهري، ج ١، ص ٣٢٨ وتاج العروس، الزبيدي، ج ٦، ص ٩٢٠.

(٢) هو المنسوب إلى قبيلة فقيم دارم، انظر القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص ١١٤٦.

(٣) الفيروز آبادي، ص ١٧٩.

(٤) كابن منظور والجوهري والزبيدي، انظر لسان العرب، ج ٢، ص ٣٢٠ والصحاح، ج ١، ص ٣٢٨، وتاج العروس، ج ٦، ص ٩٢٠.

(٥) انظر سر صناعة الإعراب، ج ١، ص ١٧٥ وما بعدها.

(٦) انظر الكتاب، ج ٤، ص ١٨٢.

(٧) معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج ٢، ص ٥١٢ وما بعدها.

شارح الشافية لهم وخصهم بالذكر فقال: «ويبدل ناس من بني تميم الجيم مكان الياء في الوقف فيقول: تميمج وعلج في تميمي وعلي»^(١).

وهنا برزت قبيلتان نسبت إليهما العجعة، وهما قضاة و تميم، فلربما حملت طيء - وهي قضاعية الأصل^(٢) - هذه الظاهرة إلى نجد فنطق بها جيرانها وهم بنو تميم.

وقد يظن المطلع على بعض المعجمات^(٣) أن إبدال الجيم من حرف الياء وقبله حرف العين هي عجعة قضاة وإن لم يكن قبل الياء حرف عين فهي عجعة قبائل أخرى، لكن صاحب «المزهر» وضح ذلك فقال «العجعة في لغة قضاة، يجعلون الياء المشددة جيماً يقولون في تميمي تميمج»^(٤) فالياء في تميمي يسبقها حرف ميم وليس في الكلمة حرف عين أصلاً مما يؤكد أن قضاة في عجععتها تبدل أيّ ياء - مهما كان قبلها من الحروف - وتضع محله حرف الجيم، ولعل هذا التغيير سببه قوة حرف الجيم ووضوحه فعند ما ينادي أحدهم يا علج - بالتشديد - أظهر وأبين من قوله يا علي.

وبعد مراجعة معظم الشواهد التي مثل بها اللغويون للعجعة يمكن تقييد هذه الظاهرة بالوقف دون الوصل، لأن الياء بسبب سكونه يزداد خفاؤه عند الوقف أما في حالة الوصل، فلا حاجة لإبدال الجيم محل الياء لتحركها وقد أشار شارح الشافية إلى ذلك - كما ذكرت سابقاً -.

٦- الطمطمانية: ما في اللغة من الكلمات المنكرة^(٥) تشبيهاً لها بكلام العجم،

ومدحت لغة قريش مقارنة بهذه اللهجة فقيل: «ليس فيها طمطمانية حمير»، فهي خالية من الألفاظ المشابهة لكلام العجم^(٦). وروي أن النمر بن تولب^(٧) قال:

(١) شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن، ج ٢، ص ٢٨٧.

(٢) انظر معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج ٢، ص ٦٨٩، ٦٩٠.

(٣) كلسان العرب لابن منظور، والصحاح للجوهري، وتاج العروس للزبيدي.

(٤) المزهر، السيوطي، ج ١، ص ٢٢٢.

(٥) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص ١١٣٤.

(٦) تاج العروس، الزبيدي، ج ٣٣، ص ٢٧.

(٧) هو النمر بن تولب ابن إلياس بن مضر بن نزار، شاعر مخضرم، فارس مقدم من المعروفين عند العرب بالجوهر والكرم، أسلم فحسن إسلامه، وقد جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام فكتب له =

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس من امبر امصيام في امسفر»^(١) يريد ليس من البر الصيام في السفر، فأبدل الميم محل لام التعريف، وهذا ما يسمى بالطمطممانية. وأورد ابن هشام^(٢) بيتاً من الشعر في معرض الحديث عن «أم» حين تكون للتعريف فقال:

ذاك خليلي وذو يواصلني يرمي ورائي بامسهم وامسليمة^{(٣)(٤)}

ثم عرض بعد ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه النمر بن تولب رضي الله عنه وذكر ما قيل من أن إبدال الميم محل اللام لا يكون إلا في الأحرف القمرية، لكنه سرعان ما ردّ على هذا القول مستدلاً بتحقيق الإبدال في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وفي الشعر أيضاً ما ينقض هذا الزعم، ثم طرح فكرة لتكون موفقة بين القولين: وهي احتمال اختصاص الإبدال بالأحرف القمرية لغة بعضهم وليست لغة الجميع^(٥).

وذكر ابن يعيش^(٦) أن إبدال الميم من حرف اللام هي لغة طيء وعدّ

-
- كتاباً لأهله من بني زهير ليسلموا، وقيل إن النمر رضي الله عنه عمّر طويلاً وتوفي في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فحث المسلمين ليرحموا عليه. كتاب الأغاني، أبي الفرج الأصفهاني، ج ٢٢، ص ٢٨٧، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار الثقافة، بيروت.
- (١) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ في سفر، فرأى زحاماً ورجلاً قد ظلل عليه، فقال: ما هذا؟ فقالوا صائم. فقال: «ليس من البر الصوم في السفر» أخرجه البخاري في صحيحه، ج ١، ص ٦٣٨، كتاب الصوم، رقم الحديث: ٣٥.
- (٢) عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف ابن هشام، من أئمة العربية ولد بمصر سنة ٧٠٨هـ. وذاع صيته وانتشر حتى قال ابن خلدون إنه كان في المغرب وسمع ببروز عالم في العربية أنحى من سيبويه يقال له ابن هشام انظر الأعلام، الزركلي، ج ٤، ص ١٤٧.
- (٣) البيت من المنسرح، وهو لبجير بن غنمة وقد ورد في شرح شواهد المغني، السيوطي، ج ١، ص ١٥٩ ولسان العرب. ابن منظور، ج ١٢، ص ٢٩٧.
- وورد بلا عزو في شرح المفصل، ابن يعيش، ج ٩، ص ١٧.
- (٤) والشاهد فيه قوله: بامسهم وامسليمة، أراد بالسهم والسليمة فأبدل اللام ميماً.
- (٥) السليمة: بفتح الأول وكسر الثاني، واحد السليم. بفتح الأول وكسر الثاني أيضاً. وهي الحجارة. لسان العرب، ابن منظور، ج ١٢، ص ٢٩٧.
- (٥) انظر مغني اللبيب، ص ٧١، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط. الخامسة.
- (٦) موفق الدين ابن يعيش الأسد الموصلية، ويعرف قديماً بابن الصائغ، ولد سنة خمسمئة وثلاث =

الحديث الوارد عن النبي ﷺ بهذا الشأن حديثاً شاذاً لا يقاس عليه^(١).

إن انتساب هذه اللهجة لطيء أو حمير أمر لا إشكال فيه، فكلاهما من قحطان كما أنهما سكنا وتجاورا في اليمن، ولا يخفى على أحد مدى التأثير الذي يحدث بين اللهجات في سكان منطقة واحدة.

أما الحديث النبوي، فقد يكون كلامه عليه الصلاة والسلام بهذه اللهجة لمن كان يفهم أو يعبر بها، وذلك من حكمة دعوته عليه الصلاة والسلام، فهو يخاطب القوم بما يعقلون به، وقد لا يكون كذلك بل إن الراوي لهذا الحديث قد لا ينطق بغير هذا اللهجة أو استسهلها عن غيرها لأنه معتاد عليها، فروى الحديث بهذه اللهجة.

والتفسير الصوتي لهذه الظاهرة هو أن اللام والميم من فصيلة واحدة، وهي فصيلة الأصوات المتوسطة أو المائعة وهي مجموعة اللام والميم والنون والراء، وهذه الأصوات يبدل بعضها من بعض كثيراً في اللغات السامية^(٢).

٧- إحلال الصاد محل السين: علل سيبويه قلب السين إلى صاد، وبيّن الدافع والقائم بهذا الإبدال، واعتمد في شرحه للتغيرات الحاصلة، في هذه الظاهرة، على أسلوب دقيق في وصف المخارج للأصوات وتأثر هذه الأصوات المتجاورة بعضها ببعض. لقد بين كيف أن السين تقلب صاداً إذا أتت بعدها قاف في كلمة واحدة، نحو: صبقت وصقيت في سبقت وسقيت، فلقاف - من الحروف المستعلية - هي التي تقلبها لأنها تصدر من الحنك الأعلى بينما تصدر السين - من حروف الاستفالة - من أقصى اللسان، والجمع بين حرفين أحدهما مستفل والآخر مستعل، يجعل النطق صعباً، فكان لابد من إحضار حرف مشابه للقاف يسهل

وخمسين في مدينة حلب، برع في النحو وصنف التصانيف، ذاع صيته وتخرج من عنده أئمة في النحو، جالس الكندي بدمشق، عرف بصبره على الآخرين وحسن التفاهم، والمزاح الطيب مع حفاظة على الوقار والأتزان، كما اشتهر بطول الباع في النقل، وصف بأنه ثقة علامة، عاش تسعين سنة ثم توفي في المدينة التي ولد فيها، سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ٢٣، ص ١٤٤ وما بعدها. بتصرف..

(١) انظر شرح المفصل، ج ١٠، ص ٣٤.

(٢) فصول في فقه العربية، رمضان عبد التواب، ص ١٢٩، ١٣٠، مكتبة الخانجي ودار الرفاعي، القاهرة والرياض، ط. الثانية، ١٩٨٣.

النطق بالكلام، فاختراروا «الصاد» المنتمي لحروف الإطباق والاستعلاء كالكاف^(١)، غير أنه توجد بعض الكلمات التي أبدلت فيها الصاد محل السين دون وجود المبرر الذي بسطه سيبويه، وذلك مثل كلمة «الصراط» كما أن بعضهم^(٢) قرأ «أصبع» - بالصاد - من قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبِاطِنَهُ﴾^(٣).

أما القبائل التي ورد أنها تكلمت هذه اللهجة فهي: بنو العنبر^{(٤)(٥)} وقريش^(٦).

إلا أن صاحب كتاب «في اللهجات العربية» يشكك في عزو كلمة «الصراط» إلى قریش كونها تأثرت بالبيئة الحضرية التي تنهج منهج التخلص من أصوات الإطباق، كما وجه إلى عدم الاعتماد على ورود الكلمة في القرآن الكريم لئنسبها إلى قریش، فهناك فروق بين لهجة قریش وبين اللهجة النموذجية المشتركة التي نزل بها القرآن الكريم^(٧) ويرى صاحب كتاب «اللهجات العربية في التراث» أن قریشاً اختارت الصاد على السين بسبب العامل الصوتي فقط وهو وجود الطاء في كلمة «الصراط»^(٨) وعلى هذه اللهجة قرأ الجمهور قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^{(٩)(١٠)}.

٨ - إحلال الزاي محل الصاد: لقد تعرض صاحب «الكتاب» لهذه اللهجة تحت باب بعنوان، «الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه»^(١١) وأشار إلى وجود ثلاث لهجات تختص بما اجتمع به حرفا الصاد - الساكنة - وبعدها دال من الكلمات، وهي على الشكل التالي:

- (١) انظر الكتاب، سيبويه، ج ٤، ص ٤٧٩، ٤٨٠.
- (٢) كابن عباس ويحيى ابن عمار، انظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٨، ص ٤١٨.
- (٣) سورة لقمان من الآية: ٢٠.
- (٤) هم بطن من تميم من العدنانية، انظر معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج ٢، ص ٨٤٥.
- (٥) انظر الكتاب، سيبويه، ج ٤، ص ٤٨٠.
- (٦) انظر في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص ١١٧، ١١٨.
- (٧) انظر المرجع السابق، ص ١١٧، ١١٨.
- (٨) انظر أحمد علم الدين الجندي، ج ٢، ص ٤٤٤.
- (٩) سورة الفاتحة، الآية: ٦.
- (١٠) انظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ١، ص ٤٥.
- (١١) انظر سيبويه، ج ٤، ص ٤٧٧.

أ - لهجة تخلص الصاد، وعدّها لغة البيان وهي الأكثر^(١).
 ب - لهجة تضارع^(٢) الصاد لصوت الزاي، فيصبح الصوت مزيجاً، يخرج من مخرج الصاد ومخرج الزاي، ولم يبدلوا زايّاً خالصة كراهية الإجحاف بها.
 وعلى هذه اللهجة قرأ بعضهم^(٣) قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ﴾^(٤).

ج - لهجة أبدلت الزاي محل الصاد لأنها مُطبقة مهموسة رخوة، والبدال نقيضها، فهي مجهورة شديدة غير مُطبقة، بينما توقف الزاي بين الاثنين، فهي تلائم الدال في الجهر، ومخرجها من مخرج الصاد، كما أنهما ينتميان إلى مجموعة أحرف الصفير^(٥)، واللهجة الأولى شاعت بين القبائل الحضرية لما في نطقها من توده، تساعد على إعطاء كل حرف حقه، وهذا ما أشار إليه سيبويه عندما أطلق عليها لغة البيان أما اللهجة الثانية فهي لهجة قيس^(٦)، بينما نسبت اللهجة الثالثة إلى طيء^(٧) وذلك لقول أحد أفرادها^(٨) «هذا فردي أنه»^(٩).

ولابد من الإشارة إلى أن الإشمام والمضارعة في اللهجتين الثانية والثالثة يحصل عندما تكون الصاد ساكنة، أما إذا تحركت الصاد فلا تبدل عندئذ^(١٠)،

-
- (١) المصدر السابق، ج٤، ص٤٧٩.
 (٢) المضارعة: أن تشرب الصاد شيئاً من صوت الزاي، فتصير بين بين، شرح المفصل، موفق الدين ابن يعيش، ج١٠، ص٥٣.
 (٣) وهم حمزة والكسائي وخلف العاشر ورويس، انظر المهدب في القراءات العشر توجيهها من طريق طيبة النشر، محمد سالم محيسن، ج٢، ص٣٣٩، دار الأنوار للطباعة، مصر، ١٩٧٨.
 (٤) سورة الزلزلة، الآية: ٦.
 (٥) انظر شرح المفصل، ابن يعيش، ج١٠، ص٥٣.
 (٦) انظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج١، ص٤٥.
 (٧) انظر شرح المفصل، ابن يعيش، ج١٠، ص٥٢، واللهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجندي، ج٢، ص٢٤٩، ٢٥٠.
 (٨) وهو حاتم الطائي عندما طلب منه فصد إبل لضييف حلّ عنده، فعقرها فقبل له: هلاً فصدتها؟ فقال: (هذا فردي انه) شرح المفصل، ابن يعيش، ج١٠، ص٥٣.
 (٩) فردي: يريد فصدي، والفصد هو معالجة الإبل بدم ثم يؤكل عند الضرورة، والهاء في (أنه) إما أن تكون للسكت وإما بدلاً من الألف في (أنا). انظر لسان العرب، ابن منظور، ج٣، ص٣٣٦، وشرح المفصل، ابن يعيش، ج١٠، ص٥٣.
 (١٠) انظر الكتاب، سيبويه، ج٤، ص٤٧٨.

فيقال: صدر بضاعته خارج الوطن، ولا يقال زدّرها.

٩- التثنية: كسر تاء المضارعة في الفعل «تفعلون»^(١) وروي أن أعرابياً تعلق بأستار الكعبة وبدأ يقول: «ربّ اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم» بكسر تاء - تعلم^(٢) - ولكن من هم هؤلاء العرب؟ وما هي الأفعال؟ وما هي تلك الحروف التي تكسر؟ ولم تكسر؟

لقد نسبت التثنية إلى بهراء^(٣)، وذهب سيبويه إلى أن كسر أحرف المضارعة لغة جميع العرب إلا أهل الحجاز، وفصل في اعتمادهم للكسر:

فإن كان الفعل على «فَعِل» كَشَقِيَّ فَإِن مضارعه أنت «تَشْقِي» - بكسر التاء - وخشيت فأنا «إخشي» - بكسر الهمزة - وعَضِضْتُ فَأَنْتِن «تِعَضِّضْنَ» وأَنْتِ «تِعَضِّضِينَ» وهكذا.....

وإن كان أصل الفعل على وزن فَعَلَ يَفْعَلُ - بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع - فإنهم لا يكسرون حرف المضارعة فيه، مثل: ضرب، تضرب، أضرب، - بفتح الحرف الأول - ثم علل لكسر أوائل حروف المضارعة بأنهم أرادوا جعل حركة أوائل الكلمات في حالة المضارع كحركة العين من «فَعِل» - بكسر العين - وكذلك الحال عندما لم يكسروا حرف المضارعة من الكلمة التي على وزن «فَعَلَ» - بفتح العين - فهم ألزموا الحرف الأول من مضارعه الفتحة، لتكون أوائل الكلمات في المضارع كثنائها في الماضي، فـ «يعلم» - بالكسر - مكسور حرفها الأول كما هي عين «فَعِل»، ويكتب - بالفتح - حركت يأوؤها بالفتحة لتمائل حركتها عين «فَعَلَ»^(٤).

ويفهم من كلام سيبويه أن كل فعل ماضيه على وزن فَعَلَ، يكسر حرف مضارعه سواء أكان الفعل:

- سالماً: كقراءة بعضهم ﴿أَلَمْ نَأْخِذْ بِأَعْيُنِكُمْ رِبَابًا﴾

(١) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ١١، ص ٨٠، ج ١، ص ٦٩٨، والقاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص ٩٧٠، وخزانة الأدب، عبد القادر البغدادي، ج ١١، ص ٤٦٦.

(٢) انظر تاج العروس، الزبيدي، ج ٢٨، ص ١٤٠.

(٣) انظر الخصائص، ابن جني، ج ٢، ص ١١.

(٤) انظر الكتاب، ج ٤، ص ١١٠-١١٣.

الشَّيْطَانُ^ط ﴿١﴾(٢) بكسر همزة «إعهد».

وتلاوة بعض القراء (٣): ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾^(٤) بكسر تاء - تَرَكْنَا -.

- مضعفاً: كقراءة بعضهم لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾^(٥) بكسر تاء «فتمسكم»^(٦).

- أجوف: وذلك كإنشاد أحدهم:

قد كان قومك يحسبونك سيداً وإخال أنك سيد مغبون^(٧)

وورد في لسان العرب أن «إخال» - بالكسر - أفصح وأكثر استعمالاً من

الفتح - الذي يعدّ قياساً^(٨)

- ناقصاً: كقراءة بعضهم «إيسي»^(٩) من قوله تعالى: ﴿كَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ

(١) سورة يس، من الآية: ٦٠.

(٢) انظر تفسير الفخر الرازي، محمد الرازي، ج ٢٦، ص ٩٧، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥.

(٣) وهم يحيى والأعمش وطلحة، انظر المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، عثمان بن جني، ج ١، ص ٣٣٠، تحقيق علي ناصف، عبد الحلیم النجار، عبد الفتاح شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٦هـ.

(٤) سورة هود، من الآية: ١١٣. (٥) سورة هود، من الآية: ١١٣.

(٦) انظر البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٦، ص ٢٢٠.

(٧) البيت من الكامل، وهو لعباس بن مرداس السلمى، ورد في ديوانه، ص ١٥٦، تحقيق يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الأولى، وشرح التصريح على التوضيح، خالد الأزهرى، ج ٢، ص ٣٩٥، تحقيق لجنة من العلماء، دار الفكر، بيروت، وبلا نسبة في الخصائص، ابن جني، ج ١، ص ٢٦، حيث ذكر (يزعمونك) بدل (يحسبونك) كما ورد بلا نسبة في المقتضب، محمد بن يزيد بن المبرد، ج ١، ص ١٠٢، تحقيق محمد عزيمة، عالم الكتب، بيروت، حيث أورد البيت:

نُيِّتُ قومك يزعمونك سيداً وإخال أنك سيد معيون

كما ورد هذا البيت بلا عزو أيضاً في أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، ج ٤، ص ٤٠٤، دار الفكر، بيروت، والشاهد في هذا البيت: كسر همزة (إخال).

تجدد الإشارة إلى أن الفعل (إخال) مضارع للفعل الماضي (خلت) وكسر همزة مضارعه كثيرة، وذلك على غير قياس. انظر حاشية الخضري على ابن عقيل، محمد الخضري، ج ١، ص ١٤٩، دار إحياء الكتب العربية، مصر.

(٨) انظر ابن منظور، ج ١١، ص ٢٢٦، مادة: (خيل).

(٩) ومنهم الأعمش، انظر البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٥، ص ١١٨.

قَوْر كَفْرِون ﴿١﴾.

ويشير سيبويه إلى أن الياء هو الحرف الوحيد الذي لا يكسر من أحرف المضارعة معللاً ذلك بثقل الكسرة على الياء^(٢).

لكن من المعلوم أن الكسرة والياء مخرجهما واحد، كما أن الكسرة تناسب الياء أكثر من الضمة أو الفتحة، لذلك فإن تحقق الاتساق الصوتي والاقتصاد في المجهود العضلي عند النطق بها متوافر بينهما.

وبعد هذا الشرح الموجز لما بسطه صاحب الكتاب يتبين أن التثنية ليست خاصة بحرف التاء فقط، بل هي كسر جميع حروف المضارعة - إلا الياء - وهذا ما ذهب إليه بعض العلماء المحدثين^(٣).

وأما القبائل التي نسبت إليها هذه اللهجة فهي قيس وبهراء وتميم وأسد وربيعة^(٤) فأسد بطن من ربيعة وقيس وتميم جزء نجدية، أما بهراء فكما أورد صاحب كتاب «في اللهجات العربية»: «كانت مساكنهم متاخمة لحدود الشام» فلعلها تأثرت في هذه الظاهرة بمن جاورها من لغات كالآرامية والعبرية اللتين اطردهما كسر حرف المضارعة^(٥).

١٠- حركة فاء الفعل الأجوف - معتل العين - إذا بني للمجهول:

وردت ثلاث لهجات للفعل الثلاثي الأجوف إذا بني للمجهول^(٦) وهي:

١- لهجة تكسر فاء الفعل، ومن ثم تقلب عينه ياءً إن لم تكن كذلك، وذلك ككلمة خاف وقال: فتصبح عند البناء للمجهول: خيف، قيل.

٢- لهجة تشمّ الفاء الضم، والمقصود بالإشمام: إعطاء الفاء حركة بين الضم والكسر فتميل الياء الساكنة بعدها نحو الواو قليلاً إذ هي تابعة لحركة الحرف الذي يسبقها^(٧) وقرأت كلمة «قيل» بلهجة الإشمام، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ

(١) سورة الأعراف، من الآية: ٩٣. (٢) انظر، الكتاب، ج ٤، ص ١١٠.

(٣) ومنهم صاحب كتاب اللهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجندي، ج ١، ص ٣٨٨.

(٤) انظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ١، ص ٤٢.

(٥) إبراهيم أنيس، ص ١٢٧، مطبعة لجنة البيان العربي، ط. الثانية، ١٩٥٢.

(٦) انظر كتاب الكافية في النحو، جمال الدين عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب، شرح رضي الدين محمد بن الحسن الأسترباذي، ج ٢، ص ٢٧٠، ٢٧١، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٧) انظر المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٧٠، ٢٧١.

لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴿١﴾.

٣- لهجة تضم الفاء وتقلب عين الفعل إلى واو إن لم يكن كذلك، وهي لغة هذيل ولكن لم يقرأ بها

أحد من القراء^(٢) كقولهم: بوع، قول، خوف.

وتتفق المصادر الصرفية - بحسب ما وصلت إليه - على تقسيم هذه اللهجات الثلاث ووصف العملية الصوتية وكيفية النطق بكل لهجة منها^(٣).

وقد وصفت اللهجة الأولى بأنها أفصح اللهجات وأشهرها وأجودها كما أنها أسلسها^(٤). بينما اللهجة الثانية والثالثة تعدّان من الدواخل كما قال صاحب «الكتاب»: «وهذه اللغات دواخل على قيل وبيع وخيف وهيب»^(٥).

لكن هذا الكلام فيه نظر عند التمحيص في اللهجة الثالثة، فصيغة «بوع» قريبة من صيغة الفعل الثلاثي الصحيح المبني للمجهول «فُعل» غير أن تغييراً قد حصل وهو إسكان العين، لكن في اللهجة الأولى - عند قول «بيع» - حصل تغييران؛ الأول كسر الفاء، والثاني إسكان العين، والقاعدة أنه كلما ازداد التغيير ازداد البعد عن الأصل.

وقد نسبت اللهجة الأولى إلى قريش ومن جاورهم من بني كنانة^(٦) وعزيت اللهجة الثانية إلى كثير من قيس وأسد^(٧) أما أصحاب اللهجة الثالثة فهم هذيل وبعض تميم^(٨).

(١) سورة البقرة، الآية: ١١.

(٢) انظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ١، ص ١٠٠.

(٣) انظر المنصف، عثمان بن جني، ج ١، ص ٢٤٦-٢٤٨، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، وتسهيل الفوائد، محمد بن مالك، ص ٧٧، ٧٨، تحقيق محمد كامل بركات دار الكاتب العربي، مصر، ١٩٦٧، وشرح المفصل، ابن يعيش، ج ١٠، ص ٧٤.

(٤) انظر شرح الكافية، رضي الدين الاسترأبادي، ج ٢، ص ٢٧٠، وشرح التصريح على التوضيح خالد الأزهرى، ج ١، ص ٢٩٥.

(٥) سيويه، ج ٤، ص ٣٤٢.

(٦) انظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ١، ص ٩٩.

(٧) انظر المرجع السابق، ج ١، ص ١٠٠، والتصريح على التوضيح، خالد الأزهرى، ج ١، ص ٢٩٤.

(٨) انظر التصريح على التوضيح، خالد الأزهرى، ج ١، ص ٢٩٥.

جدول يوضح بعض اللهجات العربية مع ذكر أصحابها :

الرقم	الكلمة	التغيير الحاصل	اسم اللهجة	اسم القبيلة
١	عَنَّ	إبدال العين محل الهمزة	العننة	تميم
٢	منشٍ	إبدال الشين محل الكاف	الكشكشة	مضر، تميم، ربيعة، أسد
	عليكش	إضافة الشين بعد الكاف	الكشكشة	مضر، تميم، ربيعة، أسد
٣	أعطيتكس	إضافة السين بعد الكاف	الكسكة	مضر، تميم، ربيعة، هوازن
٤	انطى	إبدال النون محل العين	الاستطاء	سعد بن بكر، الأزد، الأنصار
٥	تميمج	إبدال الجيم محل الياء	العجمجة	قضاة، تميم
	راعج	إبدال الجيم محل الياء	العجمجة	قضاة، تميم
٦	امتقوى	إبدال الميم محل لام التعريف	الطمطمانية	حمير
٧	أصبغ	إبدال السين محل الصاد		بنو العنبر، قريش
٨	الصبر	لا تغيير - لتحرك حرف الصاد -		لهجة أهل الحضر
	يصدر	مضارعة الصاد لصوت الزاي		قيس
	الزراط	إحلال الزاي محل الصاد		طيء
٩	يَعلم	كسر تاء المضارعة		أسد، ربيعة، قيس، تميم، بهراء
	إعلم	كسر ألف المضارعة		أسد، ربيعة، قيس، تميم، بهراء
	يَعلم	كسر نون المضارعة		أسد، ربيعة، قيس، تميم، بهراء
١٠	قيل (على وزن فَعَل)	قلب العين إلى ياء		قريش، كنانة
	خيف (بالإشمام)	قلب العين إلى ياء وإشمام الفاء الضم		قيس، أسد
	بوع	قلب العين إلى واو		هذيل، بعض تميم.

وبعد تقديم أمثلة عن اللهجات المشتهرة بين العرب، نلاحظ الأمور التالية:

- ١- إن اختلاف لهجة قبيلة عن الأخرى قد يكون بتغيير حرف من حروف الكلمة أو بتغيير حركة من حركات الكلمة وقد برز ذلك جلياً أثناء عرض اللهجات الواردة في حركة فاء الفعل الأجوف إذا بني للمجهول.
- ٢- قد تشترك قبيلتان أو أكثر في لهجة واحدة، ولا غضاضة في ذلك،

فالعوامل الجغرافية المتمثلة بالمجاورة تؤثر أيضاً، فتأخذ كل قبيلة من جارتها، وكذا العوامل الاقتصادية من خلال الرحلات التجارية بين المدن والأمصار، فينقل ما تعلمه التجار من الآخرين إلى أبناء قبيلتهم ومحيطهم، كما أن الحروب لها يد في ذلك، فلغة الغازين غالباً ما تسيطر على السنة المغزوين، وقد يحصل العكس أحياناً، كل ذلك يعتمد على عمق الثقافة لدى أي من القبيلتين.

وفي جميع الحالات، يظهر جلياً أن اختلاف لهجات القبائل لم يكن بعيداً من الواجهة اللغوية بحيث لا يمكن التفاهم بين القبائل المتباعدة، إذ إن أغلبها كان في الأصوات وبعضها كان في البنية.

الفصحى من لهجات العرب

ذهب بعض المستشرقين^(١) إلى أن اللهجات العربية القديمة كلها بمنزلة واحدة، وبذلك يحاولون إلزام الباحث ترك تفضيل لغة على أخرى أو دراسة مميزات لهجة عن أختها، فلا أفضلية للقرب من الفصحى لأي من القبائل، ولم يقف هؤلاء عند هذا القدر من المزاعم، بل ادعوا أن العربية الفصحى التي يعرفها الناس لم تكن يوماً لغة للكلام، حتى إن القواعد النحوية الموضوعية على أساس الفصحى إنما هي من صنع النحاة^(٢).

لكن هذه الأقوال مردودة «فليس العرب متساوين في الفصاحة ولا في إدراك المعاني ولا في نظم الشعر بل فيهم من يكسر الوزن ومن لا ينظم ولا بيتاً واحداً، ومن هو مقلد في النظم، وطباعهم كطباع سائر الأمم في ذلك حتى فحول شعرائهم يتفاوتون في الفصاحة، وينقح الشاعر منهم القصيدة حولاً... فهم مختلفون في ذلك»^(٣).

وكذلك فإن العلماء من أهل اللغة كثيراً ما فاضلوا بين لهجة وأخرى عندما تتحقق أسس المقارنة والمفاضلة من كثرة الانتشار، وموافقة القياس، واعتماد جمهور القراء للهجة ما، عندما تتوافق مع اللغة العربية.

فالذين يشككون في وجود مراتب للفصاحة بين لهجات القبائل العربية، إنما اعتمدوا على القياس والمقارنة بين لغاتهم وبين اللغة العربية، لكن ذلك لا يصلح

(١) منهم نولدكه وجويدي ونليتو وغيرهم، انظر فصول في فقه العربية، رمضان عبد التواب، ص

٧٦، ٧٧، مكتبة الخانجي، القاهرة، ودار الرفاعي، الرياض، ط. الثانية، ١٩٨٣م.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٧٦، ٧٧.

(٣) تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ١، ص ١٨.

مقارنته باللغة العربية، لأن اللغة العربية من أبرز خصوصياتها الثبات والاستقرار في الأصوات والمباني، ودلالات الكلمات مقارنةً باللغات الأخرى التي سرعان ما تتغير، مما يجعل الفرق شاسعاً، والاختلاف كبيراً بينهما.

الفصيح لغة: تشتق كلمة «الفصيح» من الفعل الثلاثي فَصَحَ - بضم الصاد - وبالعودة إلى المعجمات اللغوية يتبين أن الفصيح هو المنطلق اللسان في القول الذي يعرف جيد الكلام من رديئه^(١)، ومشتقات هذا الفعل قد تطلق على أشياء عدة، فيقال: رجل فصيح، وكلام فصيح أي بليغ، ويفصح الرجل القول: إذا تكلم بالفصاحة، أو إذا بين قوله وكشفه، وأفصح الصبي في

منطقه إفصاحاً: إذا أفهم السامع ما يقول في أول ما يتكلم^(٢).

والمفصَّح من اللبِن ما ذهب عنه اللبأ^(٣) وكثر مخضه^(٤).

وفصح اللبِن: إذا أخذت عنه الرغوة^(٥).

وأصل التعبير بكلمة فصح كان يستخدم للبِن ثم انتقل بعد ذلك إلى معانٍ أخرى وهذا ما أشار إليه ابن فارس^(٦) فقال: «الفاء والصاد والحاء، أصل يدل على خلوصٍ في شيء ونقاء من الشوب، من ذلك اللسان الفصيح، الطلق، والكلام الفصيح العربي، والأصل: أفصح اللبِن سكنت رغوته»^(٧). وهذا أيضاً ما

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ٢، ص ٥٤٤، وتاج العروس، الزبيدي، ج ٧، ص ١٨.

(٢) انظر تهذيب اللغة، الأزهرى، ج ٤، ص ٢٥٣.

(٣) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ٢، ص ٥٤٤.

(٤) المحيط في اللغة، إسماعيل بن عباد، ج ٢، ص ٤٦٣.

(٥) تاج العروس، الزبيدي، ج ٧، ص ١٩، ولسان العرب، ابن منظور، ج ٢، ص ٥٤٤.

(٦) أحمد بن فارس ابن زكريا بن محمد بن حبيب. وأورد ياقوت أنه أحمد بن زكريا بن فارس - المعروف بالرازي، أصله من قزوين، كان فقيهاً شافعيّاً ثم صار مالكيّاً أما نحوياً فهو كوفي المذهب، من أئمة اللغة الأعلام، فقله حجة، اشتهر كرمه حتى قيل إنه قد يهب ثيابه وأثاث منزله إذا سئل، والراجح أنه توفي سنة ثلاثمئة وخمس وتسعين بعد الهجرة. انظر سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ٧، ص ١٠٣ وما بعدها، ومعجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج ٢، ص ٥٦ وما بعدها.

(٧) مقاييس اللغة، ج ٤، ص ٥٦، تحقيق عبد السلام هارون، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط. الأولى ١٣٦٩هـ.

ذهب إليه الأصفهاني^(١)(٢).

ويؤيد هذا القول معاشة هذه الدلالة لحياة العرب بشكل يومي، والبداة منهم خاصة فتماس هؤلاء مع حيواناتهم الولود أمر لا يمكن تجاهله.

وهكذا يتبين أن المعاني التي تدل عليها هذه المادة هي البيان والوضوح والنقاء، فهي إذاً تشمل مدلولاً حقيقياً وآخر مجازياً، فأبرز الدلالات الحقيقية، إطلاق لفظ فصّح - بالتشديد - أو أفصح على اللبن الذي خلص مما يشوبه، وأما الدلالات المجازية، فأبرزها ما له صلة بجودة القول.

الفصيح اصطلاحاً: إن إيجاد معنى اصطلاحياً لما هو فصيح، وإيجاد تعريف جامع مانع ليس بالأمر الهين، إذ إن بعض التعريفات المطروحة في بطون العديد من الكتب، قلما تتفق على حدود معينة تحيط بهذا المفهوم، فقد قيل إن الفصاحة «دنو المأخذ وقرع الحجة وقليل من كثير»^(٣) والمفهوم من هذا التعريف أن الفصاحة تكمن في استخدام معانٍ قريبة حاضرة في الأذهان، والاستعانة بالأدلة القوية المقنعة واتخاذ الإيجاز سبيلاً.

وهناك تعريف آخر للفصاحة يصفها بأنها «ملكة نفسانية يقتدر بها الإنسان على تأدية المعنى بخلوصه مما يوجب الخلل المادي والصيغي والمعنوي»^(٤) فهذه الملكة قد تكون فطرية سليقية أو مكتسبة، والغالب تكونها عند الإنسان بعد بلوغ مستوى راقٍ من السماع والتلقي، وتمييز جيد الكلام من رديئه، فتبرز بعد ذلك قدراته النفسية والعقلية ما يؤدّ التعبير عنه بأسلوب فصيح يبعده عن الخطأ في

(١) أبو القاسم، الحسين بن محمد ابن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، أحد الأعلام ومشاهير الفضل، تدل تصانيفه على سعة علمه وتمكنه، فهو مفسر، أديب لغوي، ومن أذكى المتكلمين، حتى إنه يقرن أحياناً بالإمام الغزالي، توفي رحمه الله في السنة الثانية بعد الخمسة من الهجرة، انظر معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ج ١، ص ٦٤٢، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ١٨، ص ١٢٠، ١٢١، والأعلام الزركلي، ج ٢، ص ٢٥٥.

(٢) انظر مفردات ألفاظ القرآن، ص ٦٣٧، تحقيق صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، ط. الأولى، ١٩٩٦.

(٣) تعريف عبد الله بن عتبة للفصاحة نقلاً من البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، ج ٢٢، ص ٣٥، تحقيق وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط. الأولى.

(٤) شرح التلخيص، أكمل الدين البابرّي، ص ١٣٣، تحقيق محمد مصطفى صوفية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس الغرب، ط. الأولى، ١٩٨٣م.

الموضوع الذي يرغب بمحاكاته أمام الآخرين، وكذلك يجعله يتحاشى الخطأ في صياغة المعنى المراد بل يأتي به في أفضل أسلوب لطرحة.

وأقرب تعريف تلتمس به ملامح الفصيح ما أورده صاحب «البرهان في وجوه البيان» فقال:

«هو ما وافق لغة العرب، ولم يخرج عما عليه أهل الأدب، ولتصحيح ذلك وضع النحو، ولجمعه وضعت الكتب في اللغة، وذكر المستعمل منها والشاذ والمهمل، وحق من نشأ في العرب أن يستعمل الاقتداء بلغتهم، ولا يخرج عن جملة ألفاظهم، ولا يقتنع من نفسه بمخالفتهم فيخطئوه ويلحنوه.»^(١) أما أول من تكلم عن الفصاحة بشرح مسهب وواضح فهو عبد الله ابن سنان الخفاجي^(٢) وذلك في كتابه «سر الفصاحة»^(٣).

■ الفرق بين الفصاحة والبلاغة:

لا بُدَّ عند الحديث عن الفصاحة أن أوضح الفرق بينها وبين البلاغة. إن تفصيل ابن سنان الخفاجي لهذا الفرق واضح دقيق فقال: «إن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ، والبلاغة لا تكون إلا للألفاظ مع المعاني»^(٤). وبناء على هذا التوضيح فإنه لا يقال عن أي كلمة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها إنها بليغة وإن كانت هذه الكلمة فصيحة، وذلك لقصورها عن أداء معنى كامل، فكل كلام بليغ هو فصيح بالتأكيد، ولكن ليس كل كلام فصيح هو بليغ^(٥)، لأن الفصاحة آلة إتمام البيان لتعلقها بالألفاظ، بينما تعد البلاغة المعنى إلى القلب لتعلقها بالمعنى^(٦).

(١) إسحاق بن إبراهيم بن وهب الكاتب، ص ٢٠٥، تحقيق جفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، مصر.

(٢) هو عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان، أخذ الأدب عن كثيرين، أبرزهم: أبو العلاء المعري كما أنه شاعر بليغ، توفي مسموماً عام أربع مئة وستة وستين هجرية، ودفن في حلب، انظر الأعلام، الزركلي، ج ٤، ص ١٢٢.

(٣) انظر البلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس، ص ٢١، دار الفرقان، عمان، ط. الثانية ١٩٨٩.

(٤) سر الفصاحة، عبد الله بن سنان الخفاجي، ص ٥٩، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى ١٩٨٢.

(٥) انظر المرجع السابق، ص ٥٩.

(٦) انظر كتاب الصناعتين، أبي هلال العسكري، ص ١٤، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد إبراهيم عيسى الحلبي وشركاه.

ومن الجدير ذكره أن مادة «فصاحة» وردت في قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿وَإِخِي هَكَرْتُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ (١).

وكذلك مادة «بلاغة» وردت في القرآن الكريم في عدة آيات، لكن الآية التي نتحدث عما البحث عنه جارٍ هي قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ (٢).

ومن هذه الآية الكريمة يتضح أن اعتماد الفصل بين الفصاحة والبلاغة هو الراجع، فالقول في الآية قد وصف بالبلاغة. ولذلك يجب أن يكون مؤثراً في النفوس ومحركاً لها، وهذا هو المقصد الأسمى منه، فيفتح القلب، ويهز جوانبه، عندئذ يتحقق المراد من كون البلاغة هي المعنى المؤدي إلى القلب، وبالمقابل فإن الفصاحة تسند إلى اللسان.

لقد قسم ابن سنان شروط الفصاحة إلى قسمين:

الأول: شروط يجب توافرها في اللفظة الواحدة من دون انضمام ألفاظ أخرى إليها، وهي الكلمة المفردة.

الثاني: شروط يجب أن تتوفر في الألفاظ المنظومة بعضها مع بعض (٣).

وهذا التقسيم حسن، فالفصاحة إما أن تكون في المفرد أو في الكلام المركب، وهو ما سأأخذ سبيلاً لذكر شروط الفصاحة، دون أن أخوض في تفصيلات شرحها وذلك لعدم تعلقها بهذا المبحث تعلقاً مباشراً، فالمراد هو تبيين القبائل التي ذاع صيتها ولمع نجمها لاعتمادها لهجة صحيحة قوية تبعدها قدر الإمكان عن انتقادات الآخرين.

وسبب آخر شجعني على عدم الخوض في التفاصيل وهو عدم خلو كتب البلاغة (٤) - غالباً - من شرح هذه النقاط بإسهاب، مما يسر البحث عنها وسهّل

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٣.

(١) سورة القصص، الآية: ٣٤.

(٣) انظر سر الفصاحة، ص ٦٣.

(٤) انظر كتاب عروس الأفراح، بهاء الدين السبكي، ج ١، ص ٥٧ وما بعدها، تحقيق عبد الحميد هنداي، المكتبة العصرية، صيدا، ط. الأولى ٢٠٠٣م، وانظر الوشاح على الشرح المختصر لتلخيص المفتاح، محمد الكرمي، ج ١، ص ١٩ وما بعدها، المطبعة العلمية، قم، ١٣٠١هـ، =

فهم أمثلتها :

■ أولاً : فصاحة الكلمة :

لا بُدَّ لفصاحة الكلمة من شروط عدة، هي :

- ١- عدم تنافر الحروف . ٢- عدم غرابة الكلمة .
 - ٣- عدم مخالفة القياس اللغوي . ٤- أصالة الكلمة في عريبتها .
 - ٥- سلامة الكلمة من الابتذال . ٦- الاعتدال في عدد الحروف .
 - ٧- مصغرة في موضع عبر بها عن شئ لطيف أو خفي أو ما يجري مجرى ذلك .
 - ٨- أن يكون للكلمة حسن ومزية في السمع عن غيرها .
- لم يجمع العلماء على اشتراط جميع هذه الأمور لعدّ الكلمة فصيحة، فبعضهم عدّ ثلاثة من هذه النقاط، وهي الأكثر شهرة بين أهل البلاغة^(١)، وأما الشرط الرابع فقد ذهب إليه صاحب مفتاح العلوم^(٢)، وروي الشرط الخامس عن الشيخ بهاء الدين السبكي^(٣) سواء أكان ابتذال الكلمة سببه تغيير العامة لها إلى غير أصل وضعها أم لسخافة الكلمة في أصل الوضع^(٤).
- أما تقسيم الكلمة من ناحية الابتذال والغرابة فهو بحسب الآتي^(٥):

١ - ما كان استعمال العرب له كثيراً في أشعارهم دون المحدثين، فهذا

حسن فصيح.

وانظر سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص ٦٤، وما بعدها والبلاغة فنونها وأفنانها، فضل

عباس، ص ٢٢ وما بعدها وانظر المزهر، السيوطي، ج ١، ص ١٨٥ وما بعدها.

(١) شروح التلخيص، سعد الدين التفتازاني، ابن يعقوب المغربي، بهاء الدين السبكي، ج ١، ص ٧٦، مطبعة عيسى الحلبي، مصر.

(٢) انظر يوسف بن محمد السكاكي، ص ٥٢٦، تحقيق عبد الحميد هندواوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى ٢٠٠٠م.

(٣) هو أحمد بن علي بن عبد الكافي بهاء الدين السبكي، ولد سنة سبع مئة وتسع عشرة من الهجرة وتولى لمدة سنة واحدة القضاء في الشام، وذلك عام سبع مئة واثنين وستين هجرية، ثم انتقل إلى قضاء العسكر، مما أكثر من رحلاته وتنقلاته، فمات مجاوراً لمكة المكرمة سنة سبع مئة وثلاث وستين بعد الهجرة. انظر الأعلام، الزركلي، ج ١، ص ١٧٦.

(٤) المزهر، السيوطي، ج ١، ص ١٨٩، ١٩٠.

(٥) انظر كتاب عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي، ج ١، ص ٧٠، ٧١،

والمزهر، السيوطي: ج ١، ص ١٩٠، ١٩١.

- ٢ - ما ورد استعمال العرب له بقلة، ولم يحسن تأليفه ولا صوغه، فهذا لا يحسن إيراده.
- ٣ - ما استعمله المحدثون من العرب دون عامتهم، فهذا حسن جداً، لخلوصه من ابتذال العامة.
- ٤ - ما كثر في كلام العرب وبخاصة عامة المحدثين، دون أن ينتشر بين ألسنة العامة، فهذا لا بأس به.
- ٥ - ما كان كسابقه لكنه كثر على ألسنة العامة، وكان لذلك المعنى اسم استغنت به الخاصة عن هذا، فيقبح استعماله لابتذاله.
- ٦ - ما كان لفظاً مشتركاً بين العامة والخاصة لعدم وجود لفظ آخر لاستخدامه من أجل التعبير به، وحاجة استعماله متساوية بين الخاصة والعامة فهو ليس مبتذلاً.
- ٧ - ما كان كالحالة السابقة إلا أن حاجة العامة له أكثر فيتداولونه أكثر من الخاصة فهذا مبتذل.
- ٨ - أن تكون الكلمة كثيرة الاستعمال عند العرب والمحدثين لمعنى، وقد استعملها بعض العرب نادراً لمعنى آخر، فهذا يجب تجنبه.
- ٩ - أن يستعمل العامة الكلمة دون الخاصة من غير تغيير لما نطقت به العرب، فليس ذلك بمبتذل، أما مع التغيير، فهو قبيح مبتذل.
- وبالعودة إلى شروط فصاحة الكلمة، فقد اشترط ابن سنان الخفاجي النقاط الثمانية جميعها لتكون الكلمة فصيحة، وقال: «ومتى تكاملت تلك الشروط فلا مزيد على فصاحة تلك الألفاظ، وبحسب الموجود منها تأخذ القسط من الوصف، وبوجود أصدادها تستحق الإطراح والذم»^(١).

■ ثانياً: فصاحة الكلام:

يشترط لفصاحة المركب عدة أمور يجب توافرها في سياق الكلام، وتتشرك أغلب شروط فصاحة اللفظ المركب مع شروط فصاحة اللفظ المفرد الثمانية^(٢) غير

(١) سر الفصاحة، ص ٦٣.

(٢) انظر سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص ٩٧، وما بعدها.

أن العلماء أضافوا إليها بعض الشروط وهي^(١):

- ١ - الخلوص من ضعف التأليف.
 - ٢ - عدم تنافر الكلمات.
 - ٣ - عدم التعقيد، بل جعل الكلام ظاهر الدلالة من المراد.
 - ٤ - عدم التكرار وعدم تتابع الإضافات.
- وخصص الشرط الرابع بأحوال وهي^(٢):
- يُعدّ تتابع الإضافات من ثلاث فأكثر.
 - ألا يكون واحد من الإضافات جزءاً أو كالجزم.
 - ألا يكون المضاف إليه الأخير ضميراً.
 - ألا يكون في الإضافات إضافة إلى علم.

فإذا تتابع المضاف إليه مرتين من دون أن يكون أحدهما أو كلاهما جزءاً ولا مضافاً إلى علم والمضاف إليه الثاني ليس بضمير فلا بأس في ذلك ومنه قول الشاعر:

على قَدْرِ أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم^(٣)

أما الشروط المشتركة بين فصاحة المفرد وفصاحة الكلام، فقد تحدث عنها ابن سنان في كتابه فقال^(٤):

- اجتناب تكرار الحروف المتقاربة في تأليف الكلام.
- حسن التأليف في السمع بترادف الكلمات المختارة وتواترها.

(١) انظر الوشاح على الشرح المختصر لتلخيص المفتاح، محمد الكرمي، ج ١، ص ٣١ وما بعدها. وكتاب عروس الأفراح، بهاء الدين السبكي، ج ١، ص ٧٤ وما بعدها.

(٢) شروح التلخيص، سعد الدين التفتازاني، ابن يعقوب المغربي، بهاء الدين السبكي، ج ١، ص ١١٦، ١١٧.

(٣) البيت من بحر الطويل، وهو لأبي الطيب المتنبي، ورد في شرح ديوانه، لأبي العلاء المعري، ج ٣، ص ٤٢٠، تحقيق عبد المجيد دياب، دار المعارف، القاهرة. الشاهد فيه تتابع المضاف إليه (أهل العزم) دون أن يكون أحدهما جزءاً من الآخر، ولم يضافا إلى علم، والمضاف إليه الثاني ليس بضمير، وبذلك لم يخلّ تتابع المضاف إليه بالفصاحة.

(٤) انظر سر الفصاحة، ص ٩٧، وما بعدها.

- أن يكون التأليف جارياً على العرف العربي الصحيح.

- اجتناب ترادف الكلمات الطوال وتواترها.

وبعد طرح شروط فصاحة المفرد والكلام، لا بد من الإشارة إلى أن معرفة تحقق كل شرط من هذه الشروط سواء أكان في الكلمة المفردة أم في الكلام المركب إنما اعتماده على ما يجري في كلام الناس وكتبهم - القدماء منهم خاصة -، وهذا ما أشار إليه صاحب كتاب «الفصيح» في مقدمته، فقال: «هذا كتاب اختيار الفصيح مما يجري في كلام الناس وكتبهم، فمنه ما فيه لغة واحدة والناس على خلافها، فأخبرنا بصواب ذلك، ومنه ما فيه لغتان وثلاث وأكثر من ذلك، فاخترنا أفصحهن، ومنه ما فيه لغتان كثرتا واستعملتا، فلم تكن إحداهما أكثر من الأخرى فأخبرنا بهما»^(١).

أما تناولي للفصيح من لهجات العرب، وللآراء الواردة في تقييمها، فسيعتمد على كثرة الاستعمال، وموافقة لغة القرآن الكريم واتفاق جمهور القراء أو عامتهم على سلامة اللهجة من الفساد والعجمة أضف إلى ذلك أكبر قدر ممكن تتعد فيه اللهجة عن العيوب.

■ أولاً: لهجة قريش:

ينقسم المستعرضون للهجة قريش إلى فريقين:

أما الفريق الأول فيرى أن لهجة قريش كغيرها، ولا تفضل باقي اللهجات فصاحة، لأن اللغة لم تؤخذ عن قريش، بل إن قريشاً لم تكن في القرن الثاني من الهجرة أهلاً للثقة في نظر العلماء^(٢) مما يعني أن لهجتها ليست فصيحة. لكن من المعلوم أن قرناً من الزمن يغير كثيراً من حالات الشعوب، فكيف باللهجة التي يتكلم بها القوم كل يوم ليعبروا عن أغراضهم؟

نعم لقد «كان الصدر الأول من أصحاب الرسول ﷺ يعربون طبعاً، حتى

(١) أحمد بن يحيى ثعلب، ص ٢، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الصحابة للتراث، مصر، ط. الأولى ١٩٤٩.

(٢) انظر المستوى اللغوي للفصحى واللهجات وللنثر والشعر، محمد عيد، ص ٥٥، عالم الكتب، القاهرة.

خالطهم العجم ففسدت ألسنتهم، وتغيرت لغاتهم»^(١).

كما إن للإسلام دوراً كبيراً في ذلك، فبعد انتشاره ودخول الناس في دين الله أفواجاً، أصبحت قريش تستقطب الحجاج من كل فج عميق، من العرب وغيرهم، وأهل مكة هم أكثر الناس احتكاكاً بزوارهم على الصعيد الديني والتجاري.

أما الفريق الثاني فيرى قريشاً مَعْدِنِ الفصاحة وأصحاب هذا الرأي كثرة كاثرة^(٢)، بل إن البعض لا يكتفون بفصاحة قريش بل يعدونها مثلاً عالياً للفصاحة، فإذا كان ميدان التفاضل في الفصاحة فإن ذلك يكون بالنظر إلى مشابهتها للغة القرآن الكريم ولللهجة قريش^(٣).

فهي بذلك تعدّ مثلاً يقاس عليه الفصيح من لهجات العرب.

وفي كتاب «الصاحبي» ما يفيد أنه لا مجال للشك في فصاحة قريش، فعلماء هذا الشأن أجمعوا على أن قريشاً أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة، وجاء اختيار الله عز وجل لهم من بين العرب ليقطنوا حرمة، وليكونوا ولاة أمور حرمة، فأليهم يحتكم الآخرون.

يضاف إلى الفصاحة التي نسبت إليهم، اختيارهم أحسن لغات العرب وأشعارهم، وكلامهم إذا ما أنتهم الوفود، وهذا ما جعلهم أفصح العرب على الإطلاق^(٤).

ومما أسهم في إقرار فصاحة قريش بعدها عن بلاد العجم كما ورد في «مقدمة ابن خلدون»: «وكانت لغة قريش أفصح اللغات العربية وأصرحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم»^(٥).

فهم يلتقون مع الحجاج العجم مرة كل عام وفي زمن قصير إذا ما قورنت مع قبائل أخرى كانت مساكنهم مجاورة لبلاد العجم، كتغلب، فإنهم كانوا مجاورين

(١) الفاضل، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، ص ٤، تحقيق عبد العزيز الميمني، دار الكتب المصرية القاهرة، ط. الأولى.

(٢) انظر المزهر، السيوطي: ج ١، ص ٢١١.

(٣) انظر الفاضل، أبو العباس المبرد، ص ١١٣.

(٤) انظر أحمد بن فارس، ص ٥٢.

(٥) عبد الرحمن بن خلدون، ص ٧٦٤، ضبط خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط. الثانية، ١٩٨٨.

لليونان، وبكر التي كانت تجاور الفرس، وكذلك أهل اليمن المجاورين للهند والحبشة، وثقيف الذين يخالطون تجار اليمن المقيمين عندهم^(١) فهؤلاء وغيرهم من سكان البراري الذين جاؤوا الأعاجم لم يؤخذ عنهم لفساد ألسنتهم^(٢) وبالعكس تماماً فكلما قربت القبيلة من بيئة قريش، كانت أقرب إلى الفصاحة وإلى الأخذ بكلامها^(٣).

وفيما يلي أعرض لبعض الأمثلة التي تبين فصاحة لهجة قريش، من خلال مراجعة هذه الكلمات في المعجم اللغوي ومتابعة القراءات القرآنية التي وافقت لهجة قريش:

- **خِطَفٌ** يَخِطِفُ: يكسر القريشيون عين الفعل في الماضي، ويفتحونه في المضارع، وهي اللهجة الأفصح^(٤) لهذه الكلمة الدالة على معنى الأخذ بسرعة واستلاب^(٥).

وقد قرأ الجمهور «يخِطَفُ»^(٦) - بفتح العين - بلهجة قريش في قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخِطِفُ أَبْصَرَهُمْ﴾^(٧).

- **رَكِنٌ** يَرْكُنُ: بكسر عين الفعل في الماضي وفتحها في المضارع، لهجة قريش^(٨)، وهي الأفصح عند إرادة التعبير عن الميل إلى الشيء والاطمئنان إليه^(٩).

وقد قرأ الجمهور^(١٠) كلمة «تركنوا» بلهجة قريش في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمْسِكُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾^(١١).

- (١) انظر المزهر، السيوطي، ج ١، ص ٢١٢، ودراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، ص ١١٣، دار العلم للملايين، بيروت، ط. الرابعة، ١٩٧٠.
- (٢) انظر الخصائص، ابن جني، ج ٢، ص ٥.
- (٣) فصول في فقه العربية، رمضان عبد التواب، ص ١٠٥.
- (٤) انظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ١، ص ١٤٦.
- (٥) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ٩، ص ٧٥، مادة (خطف).
- (٦) انظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ١، ص ١٤٦.
- (٧) سورة البقرة، من الآية: ٢٠.
- (٨) انظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٦، ص ٢٢٠.
- (٩) انظر تهذيب اللغة، الأزهرى، ج ١٠، ص ١٨٩.
- (١٠) انظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٦، ص ٢٢٠.
- (١١) سورة هود، الآية: ١١٣.

- الربوة: يلفظها القرشيون بضم فاء الكلمة، وتسكين العين^(١) - وهو المختار من اللغات - ويريدون بها كل ما ارتفع من الأرض وازداد ارتفاعاً^(٢).

وقد قرأ الجمهور حسب لهجة قريش كلمة «رُبوة»^(٣) من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾^(٤).

وقال صاحب اللسان: «الاختيار من اللغات رُبوة، وهي أكثر اللغات»^(٥). وعلى سبيل الإجمال يمكن القول:

استبانة فصاحة قريش في الظواهر التي نسبت إليها، وقرأ الجمهور بها، وقررت كتب اللغة أنها من أفصح اللغات.

■ ثانياً: لهجة أهل الحجاز:

قبل الحديث عن فصاحة أهل الحجاز، من المفيد أن أبين حدود الحجاز ليسهل الحديث عنه.

تبدأ أراضي الحجاز من تخوم صنعاء جنوباً إلى تخوم الشام، وذلك أن جبل سراة^(٦) - أعظم جبال العرب - أقبل من قعرة اليمن حتى بلغ أطراف بوادي الشام فسمته العرب حجازاً

لأنه حجز بين الغور؛ وهو هابط، وبين نجد؛ وهو ظاهر^(٧).

أما أبرز القبائل التي سكنت الحجاز فهي، أشجع، وأسد، وغطفان، وعذرة، وجهينة، وهوازن، ومزينة، وسُلَيم، وهذيل، وكنانة^(٨).

(١) انظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٧، ص ٥٦٥.

(٢) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ١٤، ص ٣٠٦ مادة (رَبَا).

(٣) انظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٧، ص ٥٦٥.

(٤) سورة المؤمنون، الآية: ٥٠.

(٥) ابن منظور، ج ١٤، ص ٣٠٦.

(٦) جبل السراة: قال الأصمعي جبل مشرف على عرفة، ينقاد إلى صنعاء، يقال له السراة فهو الجبل الذي فيه طرف الطائف إلى بلاد أرمينية، وإنما سمي بذلك لعلوه، وسراة كل شيء ظهره، وفي كتاب الحازمي: السراة الجبال والأرض الحاجزة بين تهامة واليمن ولها سعة. نقلاً عن معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج ٣، ص ٢٣٠.

(٧) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج ٢، ص ٢٥٢ وما بعدها.

(٨) انظر الحجاز في صدر الإسلام، صالح أحمد العلي، ص ١٨١ وما بعدها، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٠.

وبعد هذا الشرح الموجز حول حدود الحجاز وأشهر القبائل التي نزلت به،
أبدأ بعرض أقوال عدد من علماء اللغة والنحو في لغة أهل الحجاز.

فسيبويه غالباً ما يرجح لغة أهل الحجاز إذا تعارضت مع لغة أخرى،
ويصفها بأنها اللغة العربية القديمة الجيدة^(١)، وفي مواضع أخرى يصفها بالحجازية
الجيدة^(٢) أو اللغة الأولى القُدُمى^(٣).

وبذلك تكون لغة الحجاز مقدمة في الفصاحة على غيرها عند سيبويه.

أما الزجاج^(٤) فإنه يستعير ألفاظ سيبويه ليعبر عن فصاحة لغة أهل
الحجاز^(٥).

وأشار أبو جعفر النحاس^(٦) بوضوح إلى فصاحة لغة أهل الحجاز^(٧).
ويرجح ابن خالويه^(٨) لغة أهل الحجاز عند ورود لهجتين لكلمة واحدة وذلك من

(١) الكتاب، ج ٤، ص ٣٧٣. (٢) المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٨٢.

(٣) المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٧٨.

(٤) إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج، البغدادي، سمي بالزجاج لأنه كان يخرطه ثم انتقل
إلى دراسة النحو لإعجابه به، فلازم المبرد على أن يدفع له الزجاج كل يوم ديناراً، وبقي على هذه
الحال حتى توفي المبرد فترك الزجاج علماً في التفسير والنحو واللغة، توفي سنة ثلاثمئة وإحدى
عشرة من الهجرة. انظر سير أعلام النبلاء، الذهبي، م ١٤، ص ٣٦، ومعجم المؤلفين، عمر رضا
كحالة، ج ١، ص ٢٧، ومعجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج ١، ص ١٣١ وما بعدها.

(٥) انظر معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة، ط. الثانية
١٩٩٧، ج ١، ص ١٢٣، ١٢٤، و ج ٣، ص ١٠٧، ١٠٨.

(٦) أحمد بن محمد بن إسماعيل المعروف بالنحاس، ولد في مصر خلال النصف الثاني من القرن
الثالث الهجري، ثم رحل إلى بغداد طالباً للعلم، فأخذ عن المبرد والزجاج والأخفش وغيرهم،
فغداً مفسراً، نحوياً، لغوياً، أديباً وفقياً وكان من أذكى العالم، ثم رجع إلى مصر، فأقام بها
حتى توفي بحدادة حصلت بينما كان جالساً على عامود من رخام وسط بركة على شاطئ النيل
يقطع أبياتاً من الشعر بشكل عروضي فاتاه جاهل ظن أن النحاس يسحر النيل لينقص ماؤه فرمى
النحاس في النيل فغرق فمات، وكان ذلك سنة ثلاثمئة وثمان وثلاثين هجرية. انظر سير أعلام
النبلاء، ج ١٥، ص ٤٠١، ٤٠٢، ومعجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ج ١، ص ٢٥١، ٢٥٢،
ومعجم الأدباء، ج ٢، ص ١٤٩، وما بعدها.

(٧) إعراب القرآن، ج ٣، ص ٣١٣، ٣١٤، تحقيق زهير زاهد، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية،
ط. الثانية ١٩٨٥.

(٨) الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان، أصله من همدان، دخل بغداد لطلب العلم، فقرأ القرآن
الكريم والنحو واللغة والأدب على أيدي كبار أهل العلم، ثم انتقل إلى حلب فسكن فيها وبرز في =

خلال تعبيره بلفظة «الأكثر» - أي استعمالاً - لبعض الكلمات التي تتوافق مع لهجة أهل الحجاز^(١)، والكثرة مرجح بين كلمتين فصيحيتين.

وكذا أبو علي الفارسي^(٢) يوجب الأخذ بلغة أهل الحجاز، معللاً ذلك بنزول القرآن الكريم عليها^(٣).

وبذلك يتضح أن لغة أهل الحجاز هي اللغة العربية القديمة الجيدة، الفصيحة بشهادة كبار أهل اللغة والنحو.

■ ثالثاً: لهجة أهل نجد:

تبدأ حدود نجد مما هو دون جبل السراة في شرقيه من صحاري، إلى أطراف العراق والسماءة^(٤) وتنقسم إلى قسمين: نجد العالية وهي ما ولي الحجاز وتهامة، ونجد السافلة؛ هي ما ولي العراق^(٥)، وقد وصف أهل نجد بأنهم فصحاء وبلغاء^(٦) وها هو أبو تمام^(٧) يقول:

العديد من العلوم حتى صار أحد علماء عصره، وسجلت له عدة مناظرات علمية مع أبي الطيب المتنبي، توفي في حلب سنة ثلاثمئة وسبعين من الهجرة، انظر معجم الأدباء ياقوت الحموي، ج ٣، ص ٤١٣ وما بعدها، ومعجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ج ١، ص ٦٠٢.

(١) انظر الحجة في القراءات السبع، ص ٢١٧، تحقيق عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. السادسة ١٩٩٦.

(٢) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي، ولد بفسا. من مدن بلاد فارس. ثم قدم بغداد فأخذ النحو من كبار علمائه كالزجاج وابن السراج، إمام النحو والصرف، حتى قال بعض تلامذته أن أبا علي فوق المبرد وأعلم منه، تخرج على يدي أبي علي أئمة في اللغة، كابن جني وعلي الربيعي، توفي ببغداد سنة ثلاث مئة وسبع وسبعين هجرية انظر سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ١٦، ص ٣٧٩، ٣٨٠، ومعجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ج ١، ص ٥٣٥، ومعجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج ٣، ص ١٣٨ وما بعدها.

(٣) الحجة للقراء السبعة، ج ٣، ص ٧٩، تحقيق بدر الدين قهوجي وبشير حويجاتي، دار المأمون للتراث، بيروت، ط. الأولى ١٩٨٧.

(٤) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج ٢، ص ٢٥٣، وانظر ج ٥، ص ٣٠٤.

(٥) انظر تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ج ١، ص ١٨١ وما بعدها.

(٦) شروح سقط الزند، يحيى بن علي التبريزي، عبد الله بن محمد البطلبوس، وقاسم بن حسين الخوارزمي، ج ٣، ص ١٣٠٠، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٧.

(٧) هو حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس الطائي، ولد بسورية سنة مئة وتسعين هجرية، ونشأ بمصر، كانت نشأته في المساجد يسقيها، ثم انتقل لمجالسة الأدباء يتلقف أساليبهم وفنهم، =

وَمَنْ شَكَ أَنْ الْبَّاسَ وَالْجُودَ فِيهِمْ كَمَنْ شَكَ فِي أَنَّ الْفَصَاحَةَ فِي نَجْدٍ^(١)

وسأعرض لبعض الظواهر اللغوية التي تثبت فصاحة لهجة أهل نجد وتقدمها على ما يقابلها من اللهجات:

١- ضَلَّ يَضِلُّ: وزن هذا الفعل هو فَعَلَ - بفتح العين في الماضي - وَيَفْعَلُ - بكسر العين - في المضارع، وهذا ما تعتمد لهجة نجد، وهناك لغة أخرى تعتمد وزن فَعَلَ - بكسر العين - في الماضي، أما مضارعه فعلى وزن يَفْعَلُ - بفتح العين -.

لقد اتفق جمهور القراء على تلاوة قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَّكَ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾^(٢) بفتح عين الفعل في الماضي وكسره في المضارع إشارة إلى أنها الأَفْصَحُ^(٣). وهذا ما ذهب إليه أيضاً صاحب إصلاح المنطق حيث قال: «فهذه لغة أهل نجد، وهي الفصيحة»^(٤).

وبذلك يتضح أن لهجة نجد في هذا الفعل هي الفصيحة وعليها قراءة الجمهور.

٢- كثيراً ما يقع الاختلاف بين لهجات القبائل في حركات حروف الكلمات، مما يؤدي إلى الخلاف في نطقها، ومن ذلك الانقسام الحاصل في كلمة «ميسرة»، ففريق يفتح السين وآخر يضمها.

اعتمد جمهور القراء في تلاوتهم فتح السين في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾^(٥) باعتبارها اللغة الأَفْصَحُ والأَكْثَرُ^(٦) وهي لغة أهل

بقصد التعلم، إلى أن سمع به المعتصم، فكتب له أبو تمام قصائد عدة، مما أعجب المعتصم، فقدمه على شعراء عصره، عندئذ انتقل أبو تمام إلى بغداد، وجالس علماءها وأدباءها، إلى أن وافته المنية وهو شاب، وذلك سنة مئتين وواحدة وثلاثين هجرية، انظر معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ج ١، ص ٥٢٤.

(١) ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، ج ٢، ص ١٢٠، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، مصر، ط. الثانية.

(٢) سورة سبأ، من الآية: ٥٠.

(٣) انظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٨، ص ٥٤، وانظر تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمود شاكر، دار المعارف، مصر، ج ١١، ص ٣٩٧.

(٤) يعقوب بن إسحاق، المعروف بابن السكيت، ص ٢٠٦، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر.

(٥) سورة البقرة، من الآية: ٢٨٠.

(٦) انظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٢، ص ٧١٧.

نجد، مع أن اللهجة الثانية - ضم السين - لغة أهل الحجاز لكنها من الشواذ لعدم ورود مفعلة - بضم العين - في كلام العرب إلا حروفاً شاذة قليلة^(١).

ذكر آنفاً مثالان لاختلاف لهجة أهل نجد مع غيرها، ورجحت كفة لهجة أهل نجد، لكن في بعض الحالات تختلف اللهجتان وتتوازي كفة كل منهما، فتعدان فصيحيتين ومثال ذلك:

٣- كلمة السبيل: يذكر أهل نجد هذه الكلمة، بينما يؤنثها أهل الحجاز، وكلا اللهجتين فصيحتان، وكما يقال: بالمثال يتضح المقال، لقد قرأ بعضهم^(٢) تستبين - بالتاء - في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْأَيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾^(٣) وذلك على أساس تأنيث السبيل بينما قرأ آخرون^(٤) «وليستبين» - بالياء - على أساس تذكير السبيل، وكلا القراءتين مستفيضتان مشهورتان لا تفضل إحداها الأخرى، وبذلك لا وجه لاختيار إحداها دون الأخرى^(٥).

ومن الآيات التي نزلت موافقة لبعض لهجات نجد دون غيرها من القبائل، قوله تعالى: ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٦) فنجد تذكر «الطريق» وهو الأجود والأكثر، بينما أهل الحجاز يؤنثونها، فكلامه عز وجل نزل على وفق لهجة أهل نجد في هذه الآية^(٧).

ومما تقدم يتضح أن الفصاحة صفة في لغة أهل نجد، وقد تجلى ذلك في صيغ كانت الفصيحة دون غيرها، وصيغ تساوت مع غيرها في الفصاحة، وفي أخرى نزل القرآن الكريم بلهجتها مع أن اللهجات الأخرى قد تكون مشتهرة.

■ رابعاً: لهجة تميم:

تعدُّ لهجة تميم من اللغات البارزة والمشهورة لدى العرب، فهي من

-
- (١) انظر إعراب القرآن، أحمد بن محمد النحاس، ج ١، ص ٣٤٣.
 (٢) بعض المكين وبعض البصريين، انظر تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، ج ١١، ص ٣٩٥.
 (٣) سورة الأنعام، من الآية: ٥٥.
 (٤) عامة قراءة أهل الكوفة، انظر تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، ج ١١، ص ٣٩٥.
 (٥) المرجع السابق، ج ١١، ص ٣٩٦.
 (٦) سورة الأحقاف، الآية: ٣٠.
 (٧) المذكر والمؤنث، محمد بن القاسم الأنباري، ج ١١، ص ٤٢٠، تحقيق طارق الجنابي، دار الرائد العربي، بيروت، ط. الثانية ١٩٨٦ م.

اللهجات التي نزل بها القرآن الكريم، واعتد اللغويون بها في تسجيل قواعد اللغة. والمؤلفون الذين أفردوا لهجة تميم في كتبهم كثيرون^(١) كل ذلك بسبب فصاحة هذه اللهجة.

إن أبرز النصوص إثباتاً لذلك، ما ورد من أنه «قرأ على رسول الله ﷺ من كل خميس^(٢) رجل فاختلفوا في اللغة، فرضي قراءتهم كلهم، فكان بنو تميم أعرب القوم»^(٣) لذلك قيل «أفصح الناس سافلة قريش وعالية تميم»^(٤) والفصاحة ليست محصورة في رجال تميم دون نسائهم، فهذا هو الأصمعي يقول: «رأيت امرأة من تميم لم أر أفصح منها»^(٥).

وقد سجلت بعض الظواهر اللغوية التي توافقت فيها لهجة تميم مع لهجة القرآن الكريم ومن ذلك:

١- إدغام لام المضعف: وهي لغة تميم، بينما فكّها لغة لأهل الحجاز^(٦)، وقد وردت عدة آيات بلهجة تميم، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَاكِرْ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾^(٧) وكذلك قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ سَدِيدٌ الْعِقَابِ﴾^(٨)

(١) على سبيل المثال لا الحصر، انظر لغة تميم، ضاحي عبد الباقي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية القاهرة، ١٩٨٥ ولهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، فاضل غالب المطلبي، منشورات وزارة الثقافة، العراق.

(٢) يذكر أن أحماس البصرة خمسة وهم: العالية، وبكر بن وائل، وتميم، وعبد القيس والأزد، والخمس. بضم الخاء أو كسرهما وتسكين الميم. تفيد معنى القبيلة، انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ٦، ص ٧٠، ٧١ مادة (خمس).

(٣) تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، ج ١، ص ٤٥، والذي أورد ذلك هو أبو العالية، زُفيع بن مهران الرياحي.

(٤) قال المبرد "حدثني هارون بن نصر بن علي عن الأصمعي قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: أفصح الناس سافلة قريش وعالية تميم". قال: وكنا نسمع أصحابنا يقولون: " أفصح الناس تميم وقيس وأزد السراة وبنو عذرة"، أ.هـ. الفاضل، أبو العباس المبرد، ص ١١٣. ومقارنة مع قول آخر لعمر بن العلاء نفسه حيث يقول (أفصح الناس عليا هوازن وسفلى تميم) المزهر، السيوطي، ج ١، ص ٢١١، فإن النص الأول أقرب إلى الصواب، لسنده، ولرواية الأصمعي له، كما أن المبرد ٢١٠هـ. ٢٨٦هـ أسبق في الزمن من السيوطي ٨٤٩هـ- ٩١١هـ.

(٥) نقلاً عن الفاضل، أبو العباس المبرد، ص ١١٤.

(٦) انظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٢، ص ٧٤١.

(٧) سورة البقرة، من الآية: ٢٨٢. (٨) سورة الحشر، الآية: ٤.

فقراءة الجمهور لـ «يشاق» بالإدغام^(١) كما قرؤوا قوله عزَّ من قائل: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَزِيدَ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾^(٢) بإدغام لام «يرتد»^(٣).

وبهذا يتبين أن الإدغام في لام المضاعف لغة فصيحة لتميم، جاء بها القرآن الكريم.

٢- الإمالة: هي نطق الألف في حالات لغوية محددة نطقاً خاصاً قريباً من نطق الياء، أو كما وصفها القدماء: بأن ينحى بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء^(٤)، وهي من الظواهر الصوتية التي نسبت لتميم^(٥)، ووصفت بأنها لهجة جيدة فصيحة^(٦).

ومن ذلك إمالة كلمة «جاءهم» في قوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا اَلْكِتَابَ اِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ اَلْعِلْمُ بَقِيًّا بَيْنَهُمْ﴾^(٧).

مما سبق يتضح أن الإمالة ظاهرة فصيحة منتشرة بين القبائل، وقد أقرها الفصحاء الذين نزل شيء من القرآن الكريم وفق لغتهم.

٣- لوحظ أن العرب - حتى في أيامنا هذا العصر - يستخدمون بعض الظواهر اللغوية المنسوبة لتميم «فعامة العرب قالوا نعم وبش، بكسر الأول، كأنهم اتفقوا على لغة تميم وأسكنوا الثاني»^(٨) وهذا ما يسمى بالتخفيف، حيث يعمدون إلى حذف إحدى الحركات نتيجة لتواليها سواء أفي الاسم أم الفعل، أفي كلمة أم كلمتين، وهي من خصائص لهجة تميم^(٩).

واستعمال العرب لبعض صيغ لهجات تميم، وانتشارها، ما هو إلا دليل

(١) انظر تفسير البحر المحيط، ج ١٠، ص ١٣٩.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٣) انظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٤، ص ٢٩٧.

(٤) لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، غالب فاضل المطليبي، ص ١٢٧.

(٥) انظر معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السدي الزجاج، ج ١، ص ١٢٤.

(٦) المرجع السابق، ج ١، ص ٣٨٦.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٩.

(٨) المخصص، علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده، ج ١٤، ص ٢١٤، دار الفكر، بيروت،

١٩٧٨.

(٩) لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، غالب فاضل المطليبي، ص ١٤٨ بتصرف.

على قوة هذه اللهجة وفصاحتها.

وختاماً يمكن القول إنه مثلما استطاعت الحجازية أن تؤثر في لغات القبائل الأخرى ولا سيما من خلال القرآن الكريم، فالمسلمون يتعبدون بتلاوته، كذلك فإن لهجة تميم استطاعت أن تحوز على مثل هذا التأثير من خلال بعض ظواهرها اللهجية الفصيحة.

■ خامساً: لهجة أسد:

لقد اعتدَّ اللغويون بلغة أسد عندما عكفوا على تدوين اللغة^(١)، والأزهري^(٢) يصف أحد أعرابهم بالفصاحة فيقول: «سمعت أعرابياً فصيحاً من بني أسد يقول...»^(٣) فلا يمكن وصف الأعرابي بالفصاحة إلا إذا كانت لهجته التي يعبر بها فصيحة.

وقد توافقت لهجة أسد مع غيرها من اللهجات في بعض الظواهر فها هي تتفق مع لهجة أهل الحجاز في كلمة «أمليت عليه» مقابل توافق لهجتي تميم وقيس في كلمة «أمليت»، والقرآن الكريم قد نزل بكلا اللهجتين^(٤)، كما أن لهجة أسد وأهل الحجاز التقتا على تحريك عين الكلمات من الثلث إلى العشر وهذا ما قرأ به الجمهور^(٥) قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْ نِسَاءً فَوْقَ أُمَّتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾^(٦) فالتقت اللهجتان رغم تباعد المنازل فيما بينهما.

وقد قرئت بعض الآيات موافقة للهجة أسد دون غيرها، فمن ذلك تلاوة

(١) المزهر، السيوطي، ج ١، ص ٢١١، ٢١٢.

(٢) محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة بن نوح بن الأزهر بن نوح بن حاتم الأزهر ولد في هراة. بخراسان. قمة في اللغة والفقه، ثقة ثبت، انكبَّ على الفقه بداية فكان شافعي المذهب، وعندما وقع في الأسر عام ثلاثمئة وإحدى عشرة هجرية، أقام مع قوم يتكلمون العربية سليقة دون لحن ولا خطأ فاحش، فاستفاد من الفاظهم، توفي رحمه الله سنة ثلاثمئة وسبعين بعد الهجرة، انظر سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ١٦، ص ٣١٥. ٣١٧ ومعجم المؤلفين عمر رضا كحالة، ج ٣، ص ٤٧، ومعجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج ٦، ص ٣٦٤. ٣٦٦.

(٣) تهذيب اللغة، ج ٦، ص ٤١٨.

(٤) انظر المصدر السابق، ج ١٥، ص ٣٥٢.

(٥) انظر البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٣، ص ٥٣٦.

(٦) سورة النساء، من الآية: ١١.

الجمهور قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَلِيلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾^(١) بكسر الغين في «غلظة»^(٢) وما ذلك إلا دليل على اشتهاار هذه اللهجة وفصاحة بعض ظواهرها .

■ خلاصة المبحث:

بعد كل ما تقدم يمكن إجمال ما سلف ذكره من الفصيح من اللهجات العربية بما يلي:

١- هناك عوامل كثيرة تجعل اللهجة فصيحة و مشهورة مما يرفع شأن قبيلتها فهي غالبا ما يستعملها البلغاء و الأدباء و طبقة المثقفين في أقوالهم و كتاباتهم ومن هذه العوامل :

موافقة لغة القرآن الكريم.

موافقة جمهور القراء أو أغلبهم على ظاهرة من ظواهر اللهجة.

كثرة الاستعمال.

موافقة القياس اللغوي.

السلامة من الفساد والعجمة.

٢- إن أبرز اللهجات الفصيحة قد عزيت إلى قريش وأهل الحجاز وأهل نجد وتميم وأسد ولا يعني ذلك حصر الفصاحة عند هذه القبائل دون غيرها لكن أكثر ظواهر لهجات هذه القبائل كانت منضبطة مع ما تفرضه قواعد الفصحى مقارنة مع غيرها من اللهجات.

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٣.

(٢) تفسير البحر المحيط: ج ٥، ص ٥٢٨.

الضعيف من اللهجات العربية

إن ألفاظ القرآن الكريم هي الرقيب على ما انحرف عن الفصحح في اللسان العربي، وليس العكس لأن القرآن الكريم مجمع الأصول اللسانية الأصيلة في العربية وما شذ عن ألفاظه أو غابت عنه أصالته من لفظ أو أسلوب يُرَدُّ إلى المرجع الأسمى وهو القرآن الكريم وذلك ليقف العرب على أصالته من النبع الصافي لكل فنون القول في العربية.

إن المعاجم^(١) لم تتعرض لمعنى الضعيف في اللهجات العربية بل شرحت الضعف في الجسم، والرأي، والعقل، والخلق، والعمل، والجزاء وغيرها... والمعنى المجمع عليه للضعف أنه ضد^(٢) القوة وخلافها^(٣) أما الضعيف من اللهجات العربية فهو ما «انحط عن درجة الفصحح»^(٤).

إن اشتهاً أي قبيلة بالفصاحة لا يعني خلو لهجتها من الظواهر التي لم تلق استحساناً ولم تنل القبول، فما هو ابن خالويه يتحدث عن لهجة تميم فيقول: «وتميم تقول الحمد لله - بكسر الدال - ولا خير فيها»^(٥) وكذلك صاحب اللسان أشار إلى كلمة من لهجة تميم، وأعطاهها حكم القبح فقال: «وأفلطني الرجل لغة

(١) انظر تاج العروس، الزبيدي، ج ٢٤، ص ٤٨ وما بعدها ولسان العرب، ابن منظور، ج ٩، ص ٢٠٣ وما بعدها، وتهذيب اللغة، الأزهرى، ج ١، ص ٤٨٠ وما بعدها، والقاموس المحيط، الفيروز آبادي، ج ٢، ص ١١٠٥، ١١٠٦، والمحيط في اللغة إسماعيل بن عباد، ج ١، ص ٣١٥، ٣١٦.

(٢) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ج ٢، ص ١١٠٥، وتاج العروس، الزبيدي، ج ٢٤، ص ٤٨.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، ج ٩، ص ٢٠٣.

(٤) المزهر، السيوطي: ج ١، ص ٢١٤.

(٥) نقلاً عن المزهر، السيوطي، ج ١، ص ٢٢٥.

في أفلتني، تميمية قبيحة»^(١). وقد بينت في المبحث السابق فصاحة لهجة تميم، ونزول القرآن الكريم ببعض ظواهر لهجتها، مما يدل على عدم خلو أي لهجة من بعض الظواهر غير الفصيحة، لكن ذلك لا يחדش فصاحة القبيلة إذا كان من النوادر التي قلما تخلو منها لغة من لغات العرب.

تعرضت كتب اللغة^(٢) للفصح والضعيف من لهجات العرب وذلك في بعض المفردات،

منه ما ورد في مختار الصحاح عن كلمة «واساه» لغة ضعيفة^(٣) والمرزاب لغة في الميزاب غير فصيحة^(٤) ولغب - بكسر الغين - لغوباً، لغة ضعيفة^(٥) في لغب - بفتح الغين - يلغب - بضم الغين -

وقد ورد أيضاً «في ديوان الأدب» أمثلة لذلك، منه:

اللهجة: - بتسكين الهاء - لغة ضعيفة في اللهجة^(٦) - بفتح الهاء -

أنبذ: لغة ضعيفة في نبذ^(٧).

انتقع لونه: - للمجهول - لغة ضعيفة في امتقع^(٨).

وبما أن الضعيف هو ما انحط عن درجة الفصح فهو يضم عدة صفات أطلقت على اللهجات، وهي على الشكل التالي:

النوع الأول:

المنكر: واحد المناكير^(٩)، ويطلق على لهجة عندما ينكرها أحد أئمة اللغة ولا يعرفها لأنها خارجة عما هو متعارف عليه من القواعد العربية^(١٠) ولعل المعنى

(١) ابن منظور، ج ٧، ص ٣٧٢.

(٢) انظر ديوان الأدب، إسحاق بن إبراهيم الفارابي، تحقيق أحمد مختار عمر، وإبراهيم أنيس، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ط. الأولى ١٩٧٤. ١٩٧٩، والمزهر، السيوطي وإعراب القرآن، أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، والفصح، أبي العباس ثعلب.

(٣) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، ص ١٧، ترتيب محمود خاطر، دار الحديث، مصر، مادة: (أس ١).

(٤) مختار الصحاح، الرازي، ص ٢٤١. (٥) المرجع السابق، ص ٦٠٠.

(٦) انظر ديوان الأدب، الفارابي، ج ١، ص ١٣٦.

(٧) المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٩٤. (٨) المرجع السابق، ج ٢، ص ٤١١.

(٩) مختار الصحاح، ص ٦٧٩. (١٠) انظر المزهر، السيوطي، ج ١، ص ٢١٤.

الاصطلاحي للمنكر من اللهجات يلتقي في بعض جوانبه مع المعنى اللغوي للنكرة حيث هي «نقيض المعرفة»^(١).

وقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾^(٢) وذلك مبالغة في الذم والشتيمة^(٣).

ومن أمثلة هذا النوع ما أنكره الأصمعي من كلمة الخريع إذا أطلقت على المرأة، فهي تعني الفاجرة^(٤).

وكذلك أنكر القول للمرأة زوجة فلان- وهي لغة بعض أهل الحجاز- فالأجود أن يقال للرجل زوج و للمرأة زوج، فهي من الكلمات التي يستوي فيها المذكر والمؤنث، غير أن الأصمعي لما سمع بيت عبدة بن الطيب^(٥) لم ينكره والبيت هو:

فَبَكَّى بَنَاتِي شَجْوَهُنَّ وَزَوْجَتِي وَالْأَقْرَبُونَ إِلَيَّ ثُمَّ تَصَدَّعُوا^(٦)

وربما كان سبب إنكار الأصمعي لهذه اللفظة يعود إلى تفضيله أجود اللغات وردّ غير ذلك^(٧).

(١) المحيط في اللغة، إسماعيل بن عباد، ج ٦، ص ٢٤٩.

(٢) سورة لقمان، الآية ١٩.

(٣) تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٨، ص ٤١٧.

(٤) نقلاً عن ديوان الأدب، الفارابي، ج ١، ص ٤١٣.

(٥) هو عبدة بن الطيب، والطبيب هو يزيد ابن عمرو بن وعلة بن أنس بن عبد الله بن عبد تيم بن جشم بن عبد شمس، شاعر مخضرم مجيد، ليس بالمنكر، شجاع أسود، أدرك الإسلام فأسلم، وكان سيدنا عمر رضي الله عنه يعجب بشعره، توفي رحمه الله في السنة الخامسة والعشرين من الهجرة.

انظر الإصابة في تمييز الصحابة، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ج ٤، ص ١٨٦، ١٨٧، تحقيق صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، ط. الأولى، ٢٠٠١، وكتاب الأغاني، علي بن الحسين بن محمد القرشي، المعروف بأبي الفرج الأصبهاني، ج ٢٣، ص ٨١٨ وما بعدها، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الشعب، مصر، ١٩٧٢. ومعجم الشعراء المخضرمين والأمويين، عزيزة فوال بابتي، ص ٢٦٩، جروس برس، طرابلس لبنان، ط. الأولى، ١٩٩٨، والأعلام، الزركلي، ج ٤، ص ١٧٢.

(٦) البيت من بحر الكامل، وقد ورد في الخصائص، ابن جني، ج ٣، ص ٢٩٥، وكتاب شعر عبدة بن الطيب، ص ٥٠، تحقيق يحيى الجبوري، دار العربية، بغداد، ١٩٧١.

(٧) انظر كتاب شعر عبدة بن الطيب، ص ٥٠، هامش رقم (٢٤).

والقرآن الكريم نزل بلفظ زوج ولم يرد فيه لفظ زوجة^(١).

وكذلك أنكر الأصمعي كلمة «حوائج» جمع «حاجة»^(٢).

والأصمعي لم يكن وحيداً في إنكار بعض الألفاظ فهذا هو ابن السكيت ينكر كلمة الجلد^(٣).

- بفتحيتين - لغة في الجلد^(٤) - بكسر الجيم و سكون اللام.

النوع الثاني:

المتروك: ترك الشيء - كما قال الراغب - رفضه سواء أكان طواعية واختياراً أم قهراً واضطراراً^(٥).

أما اللهجات المتروكة، فما كان قديماً منها ثم أهمل ولم يستعمل واستعيض عنها بغيرها^(٦) وأمثلة المتروك من لهجات العرب كثيرة منها أسماء الأيام والشهور في الجاهلية. فالسبت كانوا يطلقون عليه شيار - بكسر الأول - والأحد أول، والاثنين أهون وأهود وأوهد، والثلاثاء جبار - بضم أوله - والأربعاء دبار - كذلك بضم الأول منه - والخميس مؤنس والجمعة عروبة - بفتح أوله - وقد تدخل الألف و اللام عليها^(٧) فقد أنشد:

نَفْسِي الْفِدَاءِ لِأَقْوَامٍ هُمْ خَلَطُوا يَوْمَ الْعَرُوبَةِ أَوْزَاداً بِأَوْزَادٍ^(٨)

(١) انظر سورة (النساء): الآية ٢٠، و(الحج) في الآية الخامسة، و(الشعراء) في الآية السابعة، و(لقمان) في الآية العاشرة، و(ق) في الآية السابعة.

(٢) مختار الصحاح، الرازي، ص ١٦٠، ١٦١، مادة [ح وج].

(٣) المرجع السابق، ص ١٠٧، مادة [ج ل د].

(٤) الجلد: بفتحيتين أو بكسر الجيم وسكون اللام، تفيد معنى القوة والشدة والصلابة والجلادة. انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ٣، ص ١٢٥، مادة (جلد).

(٥) نقلاً عن تاج العروس، الزبيدي، ج ٢٧، ص ٩١ مادة [ت رك].

(٦) انظر المزهر، السيوطي، ج ١، ص ٢١٤.

(٧) كتاب جمهرة اللغة، محمد بن الحسن بن دريد، ج ٣، ص ١٣١١، تحقيق رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط. الأولى، ١٩٨٨، بتصرف يسير. وانظر الأيام والليالي والشهور، يحيى بن زياد الفراء، ص ٦، تحقيق إبراهيم الأبياري، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٦.

(٨) البيت من بحر البسيط، وهو لعمر بن شبيب القطامي، ورد في ديوانه، ص ٨٨، تحقيق إبراهيم السامرائي، وأحمد مطلوب، دار الثقافة، بيروت، ط. الأولى، ١٩٦٠. ومعجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، ج ٤، ص ٣٠١ مادة [عرب]، والجمهرة، ابن دريد ج ١، ص ٣٢٠ وج ٣، ص ١٣١٠.

وكذلك تعدُّ أسماء الشهور في الجاهلية من الألفاظ المتروكة في لهجات العرب فمحرم أطلقوا عليه المؤتمر - بكسر الميم الثانية - وصفر ناجِر، وربيع الأول خَوَان - بفتحين وقيل بضم أوله وتشديد ثانيه - وربيع الآخر وَبُصَان - بفتح أو ضم أوله وسكون ثانيه - وجماديا لأولى هو الحنين، وجمادى الآخرة رنى - بضم أوله وتشديد ثانيه - وأصله رَبَى، أما رجب فهو الأصم، وشعبان عاذل، ورمضان ناتق وشوال وعل - بفتح أوله وكسر ثانيه - وذو القعدة هو ورنه - بفتح أوله وسكون ثانيه - وذو الحجة برك - بضم أوله وفتح ثانيه -^(١).

وبعد عرض موجز للمنكر والمتروك من لهجات العرب لا بمن الإشارة إلى أن المنكر يثبت ضعفه من ناحية عدم وروده في أصل اللغة واعتماد ذلك على النقل أما المتروك فإهماله يعود إلى عدم فصاحة اللفظ^(٢).

النوع الثالث:

الرديء: هو المنكر المكروه^(٣) أما الرديء من اللهجات فهو أقبح اللغات وأنزلها درجة^(٤) وأشهر اللهجات من هذا النوع ما ورد في وصف لغة قريش بأنها «ارتفعت في الفصاحة عن عننة تميم وكشكشة ربيعة وكسكسة هوازن وتضعج قيس وعجرفية ضبة وتلتله بهراء»^(٥).

أما الإضْجَاع كما ذكره صاحب اللسان فهو مثل الإمالة والخفض^(٦) لكن لم يورد أحد من العلماء شرحاً للتضْجُع في اللهجات^(٧). وعجرفية ضبة^(٨) هي تقعرهم

(١) جمهرة اللغة، ابن دريد، ج ٣، ص ١٣١١، ١٣١٢، وانظر الأيام والليالي والشهور يحيى بن زياد الفراء، ص ١٧ وما بعدها.

(٢) انظر المزهري، السيوطي، ج ١، ص ٢٢٠.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، ج ١، ص ٨٥، وتاج العروس، الزبيدي، ج ١٠، ص ٢٤٤.

(٤) المزهري، السيوطي، ج ١، ص ٢٢١.

(٥) مجالس ثعلب، أحمد بن يحيى ثعلب، ج ١، ص ٨٠، ٨١.

(٦) ابن منظور، ج ٨، ص ٢٢١، وقد مرّ في مبحث (نماذج من اللهجات العربية) شرح العننة

والكشكشة والكسكسة والتلتله، انظر ص ٣٩-٤٢، ٥٠-٥٢.

(٧) انظر المزهري، السيوطي، ج ١، ص ٢١١، وخزانة الأدب، البغدادي، ج ١١، ص ٤٦٧

والصاحبي، ابن فارس، ص ٥٣ وما بعدها.

(٨) ضبة بن أد بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، سكنوا في الشمال التهامي من نجد، =

في الكلام^(١). ليست هذه الظواهر اللهجية وحدها المذمومة بل هناك لهجات مذمومة أخرى أبرزها :

الفحفة، الوكم، الوهم، العجعة، الإستنطاء، الوتم، الشنشنة، اللخلخانية، والطمطمانية^(٢) وكل هذه اللهجات عرضها صاحب المزهري في باب: «معرفة الردئ المذموم من اللغات»^(٣).

وتجدر الإشارة إلى أن اللهجات الرديئة ليست ممنوعة الاستعمال بل يستحسن التعبير بما هو قوي ومعتمد لدى أرباب اللغة وهذا ما أشار إليه ابن جني فقال: «فإن كان الأمر في اللغة المعول عليها هكذا وعلى هذا فيجب أن يقل استعمالها وأن يتخير ما هو أقوى وأشيع منها إلا أن إنساناً لو استعملها لم يكن مخطئاً لكلام العرب لكنه يكون مخطئاً لأجود اللغتين..... وكيف تصرف الحال فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ وإن كان غير ما جاء به خيراً منه»^(٤).

فكانوا جيراناً لبني تميم، لكن فارقوهم بعد دخول الإسلام، فانتقل بنو ضبة إلى العراق، انظر معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج ٢، ص ٦٦١.

(١) كلام ابن سيده نقلاً عن لسان العرب، ابن منظور ج ٩، ص ٢٣٤ مادة [عجرف].
(٢) الفحفة جعل الحاء عيناً، والوكم كسر ميم عليكم وبكم أو أي كلمة تسبق الكاف فيها ياء أو كسرة، أما الوهم فكسر الميم إن لم يكن قبل الهاء ياء ولا كسرة، مثل منهم وعنهم، والوتم جعل السين تاءً، كقولهم الناء في الناس، والشنشنة جعل الكاف شيئاً مطلقاً كقولهم لبيش اللهم، واللخلخانية قولهم مشا الله يريدون ما شاء الله، انظر المزهري، السيوطي، ج ١، ص ٢٢٢، ٢٢٣.
أما العجعة والاستنطاء والطمطمانية، فقد مرَّ الحديث عنها في مبحث (نماذج من اللهجات العربية)، ص ٤٤-٤٨.

(٣) انظر السيوطي: ج ١، ص ٢٢١ وما بعدها.

(٤) الخصائص، ج ٢، ص ١٢.

الفصل الثاني

اختلاف اللهجات بين القبائل العربية

- المبحث الأول: أسباب اختلاف اللهجات العربية
- المبحث الثاني: أنواع اختلاف اللهجات العربية
- المطلب الأول: اختلاف لهجات القبائل من الناحية الصوتية
- المطلب الثاني: اختلاف لهجات القبائل من الناحية الصرفية
- المطلب الثالث: اختلاف لهجات القبائل في أصل الاشتقاق
- المطلب الرابع: اختلاف لهجات القبائل من الناحية الدلالية

أسباب اختلاف اللهجات العربية

تنتمي اللغة العربية إلى مجموعة اللغات السامية، وهي بدورها تضم عدة لغات إلى جانب العربية فالعبرية والفينيقية والآرامية والآكادية - بقسميها البابلية والآشورية - كلها تنطوي تحت لواء اللغات السامية وقد أطلق عليها هذا الاسم لانحدار معظم الشعوب الناطقة بهذه اللغات من نسل سام بن نوح - عليه السلام -، وبذلك تكون الحدود الجغرافية والعلاقات السياسية قد أسهمت في هذا التقسيم أكثر من التقارب اللغوي بين هذه الشعوب مع أن صلات القرابة بين اللغات السامية وثيقة نوعاً ما فهي تشترك في كثرة الأصول الثلاثية ووجود زمنين رئيسيين لحدوث الفعل وتغير دلالة الكلمة بتغير حركاتها الداخلية، كما أن اللغات السامية تتشابه فيما بينها في أبنية أوزان الأسماء والأفعال كما وتتشابه في صيغ الضمائر وطريقة استعمالها وكل ذلك لا يخلو من المفردات المشتركة بين هذه اللغات، إلا اللغة الآشورية فإنها غير معنية بالخصائص التي تجمع أخواتها من السامية^(١).

وتنقسم اللغات السامية من الناحية الجغرافية إلى قسمين كبيرين :

القسم الشمالي :

أ - تنحدر منه اللغات الشرقية التي تحوي اللغة الآكادية بفرعيها

ب - اللغات الغربية وتضم الفينيقية والعبرية والآرامية

القسم الجنوبي : تنحدر منه اللغة العربية ولغة نقوش بلاد العرب الجنوبية

(١) انظر اللغات السامية، ثيودور نولدكه، ص ٨ وما بعدها، ترجمة رمضان عبد التواب، مكتبة النهضة العربية، القاهرة.

واللغات السامية الموجودة في أثيوبيا^(١).

ومع مرور الزمن أصبح هناك لغات سامية حديثة تخلف اللغة السامية الأصلية ولكن العلم يحقق الصلة بين اللهجتين الحديثة والقديمة كما يظهر التطور من القديم إلى الحديث وبذلك تتحقق صلة القرابة بينهما بغض النظر عن المشابهة في الخصائص فقد تفتقد في بعض المواضع اللغوية.

وتفوز اللغة العربية أمام أخواتها بمحافظتها على قربها من اللغة السامية القديمة ولذلك فإن مقارنة قواعد اللغات السامية يجب أن تبدأ من اللغة العربية^(٢).

وكما أن اللغات السامية انقسمت إلى حديث وقديم فكذلك اللغة العربية لم تفلت من عوامل الزمن المؤدية إلى الانقسام إلى لهجات وهو ما لا بد منه لأي لغة اتسعت رقعتها كاللغة العربية.

فالعربية تنقسم إلى قسمين هما : العربية الجنوبية والعربية الشمالية.

أما الأولى فتعرف عند اللغويين العرب باللغة الحميرية موطنها اليمن وجنوبي الجزيرة العربية وتنقسم إلى قسمين هما : السبئية والمعينية.

وقد وصل إلينا منهما الكثير من النقوش التي يعود تاريخها إلى ما بين القرنين الثاني عشر قبل الميلاد والسادس الميلادي.

أما العربية الشمالية فهي لغة وسط الجزيرة العربية وشمالها وهي التي تسمى في عرفنا باللغة العربية الفصحى وقد كتب لهذه اللغة الخلود بسبب نزول القرآن الكريم بها فانتشرت بذلك انتشارا واسعا^(٣).

ولا يمكن تجاهل الفروق اللغوية الشاسعة بين كل من الفريقين فابن جني قال عن الحميرية: «وبعد فلسنا نشك في بعد لغة حمير ونحوها عن لغة ابني نزار»^(٤) يريد مضر وربيعة.

كما أن العدنانيين يعيرون ولد قحطان بأنهم ليسوا عرباً وذلك بسبب

(١) انظر اللهجات العربية الحديثة في اليمن، مراد كامل، ص ٧، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٨م.

(٢) انظر اللغات السامية، نولدكه، ص ٨ وما بعدها.

(٣) فصول في فقه العربية، رمضان عبد التواب، ص ٣٥.

(٤) الخصائص، ابن جني، ج ١، ص ٣٨٦.

اتخاذهم لهجة حمير لسانا لهم^(١).

ولا يعني ذلك أن لهجة الشمال والجنوب متناقضتان ومتغايرتان دون وجود لأوجه اتفاق وتشابه فالأصل واحد غير أن القبائل الجنوبية عندما هاجرت إلى الشمال حاولت أن توطد نفسها وتكيفها مع بيئة الشمال وهذا أمر لا بد أن يترك آثاره على اللغة فيغيرها وينميها .

ومن هنا تعد لغة الجنوب مهزومة بذوبانها في لغة الشمال وذلك قبل مجئ الإسلام بقليل^(٢) حيث أخذت اللهجات الشمالية تتمتع بسيطرة ونفوذ على سائر لهجات الجزيرة في حين أخذت لهجات اليمن تتدهور وتضمحل وقد ساعد على ذلك التدهور الإقتصادي والسياسي الذي ألم ببلاد اليمن.

إن تعيين التاريخ الذي بدأت به اللهجات تتنوع وتختلف في أي بلد من البلدان ليس في استطاع الباحث أن يصل إليه لأن هذه اللهجات المتشعبة لم تكن شائعة إلا في المحادثات السائرة والمخاطبات العادية بين الأفراد، في مختلف طبقات الشعوب التي تنطق بالعربية، ولم يدون شيء يذكر بهذه اللهجات في الأدب أو العلم في القرون السالفة مقارنة مع اللغة الفصحى لأنها كانت لغة الكتابة والتأليف.

ولا ينبغي أن يغيب عن البال أن من طبيعة اللغات أن تكون دائمة التغير فلا يمكن أن تقف على حال واحد زمنا طويلا فيما أن تتوسع وتنمو وإما أن تنحصر وتنكمش شيئا فشيئا حتى تضعف أو تعود إلى نهضة جديدة.

ولا يقتصر هذا التحول على مادة اللغة الأصلية بل يشمل أيضا كيفية نطق الكلمات ولو لم تكن هناك مؤثرات خارجية فالأسباب الفردية وحدها كفيلا بذلك - كما سيتبين لاحقا -

ومع أن صفات اللهجات العربية القديمة كثيرة و متنوعة إلا أن الفروق بين البعض منها كانت ملاحظة و محدودة فعندما يتحدثن أعرابيان كل واحد منهما بلهجته الخاصة، فإنهما يتفاهمان ولو بالمعنى الإجمالي على الأقل، ولو تعاسرت

(١) انظر الصاحبي، أحمد بن فارس، ص ٥٥.

(٢) العربية خصائصها وسماتها، عبد الغفار حامد هلال، ص ١٩٢، ١٩٣، ط. الرابعة، ١٩٩٥م.

بعض المفردات على الفهم فإن إدراك المعنى العام للمراد قد حصل، وإلا لما كان تعاون بينهم في شق الآبار، والاهتداء بالنجوم والكواكب ليلاً، ومعرفة مواضع الرعي والكلأ في المواسم المتعاقبة، وغيرها من الأمور التي لا بد من أن يساعد فيها أهل البادية بعضهم بعضاً لإتمام مسيرة حياتهم^(١).

بعد مجئ الإسلام وتعاون القبائل فيما بينها لنشر دين الله عز وجل و بزوغ مشاعر النفس الواحدة والهدف المشترك بين المسلمين، في هذا الوقت كانت اللهجات لا بد لها أن تخضع لما يمارسه أصحابها فتقربت اللهجات وانعزلت - نوعاً ما - الصفات الخاصة التي اشتهرت بها بعض القبائل كما أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حرم على المسلمين امتلاك الضياع المتاخمة للمدن المفتوحة على بلاد غير العرب و جمعهم في معسكرات أصبحت مع مرور الزمن مدناً إسلامية كبرى لا تزال تحتفظ بشهرتها حتى وقتنا الحاضر كالبصرة والكوفة والفسطاط عواصم العلم والعلماء^(٢).

فمنذ دخول العرب في الإسلام و خضوعهم لدولة واحدة و تكوين مجتمع إنساني متماسك يعتمد على كل العرب وليس على القبيلة الواحدة، منذ ذلك الحين أصبح تطور اللهجات و استقلالها أمراً أكثر صعوبة مما كان عليه من قبل. ولا يعني ذلك أن العرب جميعهم أصبحوا يتكلمون بلهجة عربية واحدة فهذا محال، ولكن ذلك كان له أثر في قطع الطريق أمام اللهجات العربية لتذوب مع غيرها من اللغات الأجنبية، فتصبح لغة عربية بقواعد وتراكيب غير عربية، خاصة عندما ظهرت حاجة المسلمين إلى الأعاجم في كثير من شؤون الحياة، كالخدمة وغيرها، فأصبحت لغة الأعاجم لهجة عربية جديدة ممسوخة، وهي النتيجة الطبيعية للمشقة التي تعرضوا لها عند تعلم العربية^(٣).

مما سبق يتضح أن الأصل في تشعب اللهجات مرده إلى تشعب الجماعات. فالكلام إلهام مخلوق في فطرة الإنسان، واللهجات أعمال صناعية تنبثق تبعاً لحالة

(١) انظر محاضرات عن مستقبل اللغة العربية المشتركة، إبراهيم أنيس، ص ٢٠، ٢١، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٢٢.

(٣) انظر محاضرات عن مستقبل اللغة العربية المشتركة، إبراهيم أنيس، ص ٢٣.

المجتمع لتتكيف معه كما هو شأن العادات والتقاليد الاجتماعية حيث تتبلور مما يناسب ويلائم مجتمعها^(١).

ولذلك فإن من معاني اللغة أنها مجموع العادات الخاصة بطائفة من طوائف الاجتماع^(٢).

إن المتتبع لأسباب اختلاف اللهجات يلاحظ إمكان تقسيم أسباب اختلاف اللهجات إلى قسمين :

الأول : يتعلق باللهجات عامة عربية كانت أم غير عربية.

الثاني : يتعلق باللهجات القبائل العربية

وقد تشترك بعض الأسباب بين القسمين الأول والثاني.

■ أسباب اختلاف اللهجات عامة :

أبدأ بالحديث عن القسم الأول، فأني لهجة من لهجات لغة ما، تتكون من أحد العوامل التالية :

أ - المغايرة الفردية

ب- السفر خارج الوطن لفترة طويلة

ج- احتكاك لغة أو لهجة بأخرى

وأوجز القول في كل من هذه العوامل :

أ - المغايرة الفردية: كل فرد من أفراد المجتمع له طريقة وصوت معين في إخراج الكلمات المنطوقة، ومن باب التجاوز يمكن القول: «إن هناك لهجات في اللغة بقدر ما هناك من أفراد يتكلمون هذه اللغة»^(٣)، وهذا ما أثبتته المعامل الصوتية بآلات دقيقة تفوق قدرة الإنسان في تمييز الأصوات.

وهذا التغيير الصوتي في الشدة واللين والنبهة وغيرها، هو أمر لا إرادي يصعب على الإنسان التحكم به، وبعد مرور عدة أجيال متعاقبة يترك ذلك أثره في

(١) انظر تاريخ آداب العرب، مصطفى الرافعي، ج ١، ص ٦٥، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. الرابعة ١٩٧٤.

(٢) المرجع السابق، ج ١، ص ٦٥.

(٣) اللهجات وأسلوب دراستها، أنيس فريحة، ص ٨٦، دار الجيل، بيروت، ط. الأولى، ١٩٨٩.

اللهجات السابقة، فلهجة الأحفاد تختلف في بعض المفردات عن لهجة أجدادهم أو آباء أجدادهم، وذلك على الصعيد الصوتي، فكيف سيكون ذلك التغيير على المعاني؟

إنه سيؤدي بالطبع إلى تغيير في معاني بعض المفردات، لكن لا بد من الإشارة إلى وجود قياس عام مشترك يتفق عليه المجتمع للرجوع إليه، وذلك عن طريق العفوية لا القصد، وإلا لتعددت اللهجات بعد جيل أو جيلين بشكل يصعب إحصاؤه أو حصره.

ولذلك فإن أي لهجة من اللهجات لا بد من وجود قوتين فيها الأولى تدفع نحو المغايرة الفردية والثانية تسحب نحو القياس العام المشترك للمجتمع، مما يبقى نوعاً من التوازن قائماً في اللهجة ذاتها^(١).

ب - السفر خارج الوطن لفترة طويلة: كما أن لكل لغة تراكيبها ومميزاتها وفروقاتها الخاصة فكذلك اللهجات، وهذا ما يلاقيه المهاجر من وطنه إلى بلد آخر، عندها تظهر لديه الفروقات اللغوية بوضوح، فتلفت نظره، مما يستدعي تدقيقه في كيفية التلفظ أكثر من موطنه الأول الذي كان متسقاً فيه مع أهله ومجتمعه، فيحتفظ في الوطن الجديد بمميزات لغوية قديمة تتلاشى مع الأيام في الموطن القديم، مما يؤدي إلى تشعب مجرى الكلام، وتجزئته إلى مجار صغيرة مختلفة^(٢).

ج - احتكاك لغة بأخرى: إن التقاء لغتين من اللغات في مساحة جغرافية محدودة ينتج عنه أحد الأمرين:

إما أن تسيطر إحداها على الأخرى، وذلك بناء على تقدم الحضارة والثقافة في اللغة المسيطرة، وإما أن تتساوى اللغتان إذا كانت مقومات السيطرة متساوية ومتعادلة لدى كليهما، وعندئذ تقتبس اللغتان بعضهما من بعض، مما يؤدي إلى تشارك ثقافي ومعرفي وعلمي بينهما، وفي كلا الحالتين يطرأ تغيير على اللغتين، وأفضل مثال لذلك يمثله التقاء كل من اللغتين العربية والفارسية، فقد اقتبست كل

(١) انظر المرجع السابق، ص ٨٦، ٨٧، ٨٨.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٨٨، ٨٩.

منهما العديد من المفردات عن الأخرى مما يبين نوع التفاعل بين اللغتين، فإن العربية أخذت عن الفارسية الكلمات التي لها علاقة بالدواوين الرسمية والحكومية والأنظمة الاقتصادية والعسكرية، وبالمقابل أخذت الفارسية عن العربية كثيرا من المفردات الفلسفية والدينية^(١) وبالتالي يلحق هذا التأثير لهجات كل من اللغتين لوجود الخصوص والعموم بين اللغة واللهجة - كما بينت ذلك سابقا^(٢) - فاللغة المتناسكة بقواعد والمنضبطة بأسس متينة تتأثر باحتكاكها مع غيرها، فإنه من الممكن أن تتأثر اللهجة بذلك، وبخاصة أن اللهجة قد تتأثر بما هو أبسط من هذا العامل، كما سيمر في أسباب تعدد اللهجات العربية واختلافها.

ويعود الفضل في إثراء اللغتين إلى الإسلام الذي لم يتوقف عند الجمع بين اللغات وحسب بل إن هدفه الأسمى جمع شمل الناس تحت راية واحدة.

هذه هي العوامل الأساسية في نشوء اللهجات سواء أكان ذلك في العربية أم في غيرها أضف إلى ذلك عوامل أخرى لها التأثير لكنه ليس بالمباشر ودون الفعالية التي تؤديها العوامل المذكورة آنفاً، فالمناخ الذي يحيط بالإنسان والطعام الذي يتقوى به وغير ذلك من العناصر الإنسانية لها أثرها المتواضع أمام المغايرة الفردية والسفر خارج الوطن واحتكاك اللغات ببعضها^(٣).

■ أسباب اختلاف اللهجات العربية:

أما اللغة العربية تحديداً، فتعدّ من أهم اللغات التي بسطت نفوذها على مساحة كبيرة من الأرض، ولهجاتها أنشأتها مقومات متنوعة، وكذلك كان لاختلافها أسباب عدة، وأعني باللهجات ما رأى النحاة قبولها والأخذ بها، فهناك أسباب جغرافية وأخرى اجتماعية، وكذلك احتكاك اللغات واللهجات واختلاطها كان له أثر في ذلك، إضافة إلى الأسباب الفردية.

وسأفصل القول في كل واحدة منها على الشكل التالي:

أولاً: الأسباب الجغرافية: إن حقيقة تأثير هذا السبب لم تكن لتوجد لولا

(١) انظر اللهجات وأسلوب دراستها، أنيس فريحة، ص ٨٩، ٩٠.

(٢) انظر التمهيد من هذه الأطروحة تحت عنوان (الفرق بين اللغة واللهجة)، ص ٤-٦.

(٣) انظر اللهجات وأسلوب دراستها، أنيس فريحة، ص ٩٠.

التفاعل الحاصل بين طبيعة أرض الجزيرة العربية وبين سكانها، فمن المعروف أن الجزيرة العربية ذات طبيعة منبسطة، تكاد تفتقد فيها الحواجز الطبيعية كالجبال المرتفعة، والأودية السحيقة، والأنهار العظيمة التي تسد الطريق أمام العابرين وكذلك سكانها هم أهل تنقل وترحال، وطبيعة مناطقهم ساعدتهم على ذلك، فشمال الجزيرة مثلا لم يكن موطناً لأهل تلك المناطق فقط، بل إن قبائل جنوبية كثيرا ما كانت تنتقل شمالا والعكس صحيح، ولو كان بنسبة أقل، فكل قبيلة حملت لهجتها واللهجة التي اقتبستها من القبيلة المجاورة لها^(١).

فصحيح أن التجاور والتقارب يكسر القيود والحواجز أمام اختلاف اللهجات، لكنه يحمل في طياته التأثير في اللهجة، فيولد فيها مفردات ذات دلالات جديدة، وقد يولد لهجة كاملة يصطلح عليها متكلموها من كلا القبيلتين، وذلك إن لم يكن هذا التجاور مضبوطا، فعندما اجتمع المسلمون من قبائل مختلفة، وتفاهموا فيما بينهم على لهجات معينة، كان القرآن الكريم قد نزل جامعاً للهجاتهم مميذا لها، ولكنه لم يجز قراءة القرآن الكريم باللهجات التي لم ترد فيه^(٢)، وهذا هو الضبط الذي أقصده، وإلا لتشعبت اللهجات إلى حد يصعب حصره، وبخاصة إذا أخذنا بعين النظر ما ذكره الجاحظ^(٣) من أن «أهل الأمصار إنما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب ولذلك تجد الاختلاف في ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر»^(٤).

(١) انظر دراسة اللهجات العربية القديمة، داود سلوم، ص ١٠ وما بعدها، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، بيروت، ط. الأولى، ١٩٨٦.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ١٠ وما بعدها.

(٣) هو عمرو بن بحر بن محبوب، الشهير بالجاحظ، ولد في السنة الثالثة والستين بعد المئة الأولى الهجرية في مدينة البصرة، هو كبير أئمة الأدب، شديد الذكاء، حسن الفراسة حر التفكير، واسع العلم بالكلام، حتى إنه ترأس إحدى فرق المعتزلة، عرف بشغفه بالعلم فهو الذي قتلته كتبه عندما وقعت عليه، ورد أنه قال: إذا سمعت الرجل يقول ما ترك الأول للأخر شيئا، فاعلم أنه ما يريد أن يفلح.

توفي في سنة مئتين وخمس وخمسين هجرية، بعد أن أصيب بفالج في آخر حياته، انظر أدباء العرب في الأعصر العباسية، بطرس البستاني، ج ٤، ص ٢٦٠ وما بعدها، دار مارون عبود، ١٩٧٩، ومعجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج ٦، ص ٥٢ وما بعدها، والأعلام، الزركلي، ج ٥، ص ٧٤.

(٤) البيان والتبيين، ج ١، ص ١٨، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر.

ومثالاً على ذلك منطقة الأهواز^(١) التي نزلت فيها قبائل من ربيعة وفيها أيضاً قوم من بني أسد وكذلك في البصرة اجتمعت قبائل من مضر كتميم، بالإضافة إلى قبائل الأزدي من اليمن، أما بين دجلة والفرات فقد اجتمعت قبائل مضر وبكر وقضاة، وهي أيضاً من اليمن التي امتدت آثار قبائلها حتى وصلت إلى الشام ومصر وشمال إفريقيا^(٢) فكان الجميع في حالة أخذ وعطاء ويقابل هذه التنقلات لبعض القبائل، عزلة مارستها قبائل أخرى، فكانت تفضل الاحتفاظ بخصائص لهجتها بعيداً عن أي تبادل لفظي مع الآخرين، وهذا ما سأتناوله ضمن الأسباب الاجتماعية.

■ ثانياً: الأسباب الاجتماعية: تتجزأ الأسباب الاجتماعية إلى قسمين:

فالأول متعلق بمتطلبات الحياة والثاني بانعزال القبائل وأفرادها.

١- كثرة متطلبات الحياة: ابتدأت حياة العرب بسيطة طليقة من الزيادات المعقدة، فخيّمهم مكونة من متاع متواضع، كل ماوى يحتوي على سلاح لحماية العائلة، وقدر للطبخ، ولوح حديدي للخبز، وبضعة ثياب، وما إلى ذلك، فهم من ذوي احتياجات محدودة، وأهم أعمالهم اليومية حلب الشياه والبقر وصنع طعامهم إضافة إلى بعض الغزوات التي تقوم بها القبيلة على قبيلة أخرى وهذا كله ينعكس على أمور في مجريات الحياة اليومية لدى كل فرد.

ومما لا شك فيه أن مظاهر حياة كهذه في البساطة والتشّيف تستدعي لهجة تناسبها دون أن تفوقها ذات مفردات قليلة.

لكن مع مرور الأيام والسنين ازدادت مطالب الحياة، وكثرت التنقلات فتوسعت لذلك اشتقاقات الألفاظ والتصرفات اللغوية، وبدأت لهجات عربية جديدة تظهر في الجزيرة العربية، كان من أبرز مميزات ذلك الابتكار، انبثاقه متوازياً ومتماشياً مع متطلبات الحياة دون تباطؤ أحدهما عن الآخر^(٣) وإلى ذلك

(١) الأهواز: أصله حَوْز. بالفتح ثم التسين. وهي فارسية الأصل، قلبت بعد كثرة استعمالها إلى هوز، وذلك لعدم وجود حرف الحاء المهملة في الكلام الفارسي، ثم أخذ العرب هذا اللفظ من الفرس، وقلبت إلى جمع بسبب كثرة الاستعمال، فأصبحت الأهواز، وهي بين البصرة وفارس، انظر معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج ١، ص ٣٣٨ وما بعدها.

(٢) انظر دراسة اللهجات العربية القديمة، داود سلوم، ص ١٤ وما بعدها.

(٣) انظر العربية خصائصها وسماتها، عبد الغفار حامد هلال، ص ١٧١، ١٧٢.

يشير ابن جنى فيقول: «فإنها لا بد أن يكون وقع في أول الأمر بعضها ثم احتيج إلى الزيادة عليه، لحضور الداعي إليه، فزيد فيها شيئاً فشيئاً، إلا أنه على قياس ما كان سبق منها في حروفه وتأليفه»^(١).

٢- الانعزال : وهو بدوره ينقسم إلى نوعين :

أ - انعزال قبيلة عن أخواتها : كانت القبائل تجتمع كل سنة في موسم الحج، إضافة إلى اجتماعهم في أسواق متعددة لها موعدها المحدد خلال السنة، ومن أبرز الثمرات الثقافية الناتجة عن تلك الحشود، إلقاء الأشعار والخطب، بل والتنافس في سبك العبارات وترتيب النظم^(٢)، وفي ذلك يتجلى القول «الإناء بما فيه ينضح» فبيت من الشعر يجعل قبيلة بأكملها ترفع رأسها فخورة، وربما يجعلها بيت آخر تنكس رأسها، ويدعها في حرج إلى أن يحدث الله أمراً.

أمام كل هذه المؤتمرات الثقافية وتداعياتها فضلت بعض القبائل عدم الاختلاط مع الآخرين، وآثرت الانعزال وبسبب هذه العزلة أصبح كل جيل يتوارث اللهجة عن سبقة، مضيفين إليها ما يناسبهم من الألفاظ بحسب ما تتطلبه حياتهم ومعيشتهم.

ومن هنا يظهر الاختلاف في اللهجات، فلا بد أن يختلف الجديد المستحدث في لهجات القبائل المنعزلة عن القبائل الأخرى، بينما تشترك بعض القبائل المجتمعة في العديد من الألفاظ المستحدثة.

ب - انعزال أفراد القبيلة الواحدة عن بعضهم : تفرض ضرورات الحياة على رب المنزل أن يخرج من بيته صباحاً، ولا يعود إلا عند وقت متأخر من الليل، بغية تحصيل ما يسد به حاجة عائلته وليؤمن لهم حياة كريمة أو ربما فرضت عليه ذلك طبيعة عمله، وبذلك لا يتسنى له رؤية أولاده إلا في أوقات محصورة ومحددة، وكذلك الأم لا تلتقي أولادها إلا في أوقات قليلة من النهار، وفي جميع الحالات لا تتاح فرصة كافية للجيل الناشئ أن يتلقف اللهجة من أهله، فلا يسمع منهم إلا قليلاً ولا يتلقى عنهم إلا نادراً، وبذلك لا يجد من يهديه إلى الكلام

(١) الخصائص، ج ٢، ص ٢٨.

(٢) انظر في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص ٣٢، ٣٣.

الصحيح، فيعتمد على نفسه معتقداً بصحة ما يتلفظ، ولو أخطأ في القياس اللغوي أو البناء للكلمة، أو خرجت الأصوات منه بانحراف، كل ذلك وهو لا يدري باللهجة الجديدة التي يشق طريقها ليعبدها الآخرون.

لقد أنشأ لهجة تنتشر مع أقرانه وجيله، ذات صفات جديدة متميزة، بدأت بخطأ الأطفال وانتهت لهجة معترفاً عليها من قبل متكلميها^(١).

■ ثالثاً: احتكاك اللغات واختلاطها: إما أن يكون ذلك في الحرب أو في

حالة السلم

١- احتكاك اللغات في حالة الحرب :

إن الصراع اللغوي بين اللهجات يُعدُّ من الأسباب المهمة لنشأة اللهجات واختلافها^(٢) وهذا ما يذهب إليه صاحب كتاب «اللغة» فيقول: «تطور اللغة المستمر في معزل عن كل تأثير خارجي يعد أمراً مثالياً لا يكاد يتحقق في أية لغة بل على العكس من ذلك فإن الأثر الذي يقع على لغة ما من لغات مجاورة لها، كثيراً ما يلعب دوراً هاماً في التطور اللغوي»^(٣).

لقد تعددت الآراء في إسهام الغزو بإنشاء لهجات جديدة وتنوعها فكانت الأقوال التالية :

أ- بعد أن تضع الحرب أوزارها يلحظ المتتبع لدقائق الأمور وجود لهجتين في البلد التي فتحت، الأولى لغة السكان والثانية لغة الغازين، لذلك يتوصل إلى أحد الأمرين، إما أن تقضي اللهجة الغازية على المغزوة، أو العكس، وإما أن تنشأ لهجة جديدة مكونة مفرداتها من كلا اللهجتين تنطوي تحتها صفات كل منهما^(٤).

(١) انظر في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص ٣١، ٧٧، ٧٨.

(٢) انظر اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، ص ٣٨، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩.

(٣) جوزيف فندريس، ص ٣٤٨، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، مصر.

(٤) انظر القراءات وأثرها في علوم العربية، محمد سالم محيسن، ج ١، ص ٨٠، دار الاتحاد العربي، مصر، ١٩٨٤م، وفي اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص ٢٠، ٢١.

ب- إن الاختلاف في هذا القول بني على أساس نشأة اللهجات العربية بعد الغزو لبلد ما، وهل كانت من تطور مباشر في العربية أم من غيرها؟
يذهب الرأي الأول إلى أن اللهجات تولدت من اللغة الفصحى بعدما تأثر حاملوها باللغات المحلية في كل مصر من الأمصار الجديدة، بعد دخول الإسلام إليها. وقد اعترض على هذا القول بأن الحاميات العسكرية التي فتحت البلاد مكونة من قبائل مختلفة ذات لهجات متعددة، بقي أصحابها ضمن حدود معسكراتهم ولم يخرجوا إلا لما تقتضيه الضرورة.

من أجل ذلك كان الافتراض القائل بأن هؤلاء الجنود المنتمين لعدة قبائل أنشؤوا لهجة جديدة من خلال المبتكرات اللغوية الشائعة بين الجنود، تربطهم في مختلف البلاد المغزوة، وهذه اللهجة الخاصة، هي التي اختلقت باللهجات الأخرى، فكانت لهجات عربية جديدة^(١).

٢- احتكاك اللهجات في حال السلم وذلك من خلال:

أ - الأسواق: إن مكة المكرمة كانت منذ الجاهلية مركزاً تجارياً هاماً يقصده جُلّ العرب، ففيها البيت الحرام الذي يحجون إليه، إضافة إلى أوثانهم وأصنامهم ومعبوداتهم، وأهل مكة لم يعتمدوا على زائريهم لتصريف بضائعهم وعرض منتوجاتهم وحسب، بل كانوا يجوبون الصحارى من الشمال وحتى الجنوب، من دون إهمال لشرقها أو غربها، يبيعون ما عندهم، ويشترون ما ينقصهم من زيوت وقمح وخمر وثياب وأسلحة وغيرها.

ولم تقتصر تجارة العرب على أهل مكة، بل هناك عدة أسواق أشرعت أبوابها للتجار فهناك سوق دومة الجندل في شمال نجد، وسوق خيبر، وسوق المشقر، وحضرموت، وصنعاء، وعدن، وشحر وعمان^(٢) وغيرها من الأسواق التي تفتح أبوابها في أوقات معلومة للجميع^(٣).

(١) انظر العربية ولهجاتها، عبد الرحمن أيوب، ص ٤٢، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٨.
(٢) انظر اسواق العرب في الجاهلية والإسلام، سعيد الأفغاني، ص ١٩٥، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢١٦، ٢٣٢، ٢٣٩، ٣٠٦، ٣٠٧، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٣٧.
(٣) انظر تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، شوقي ضيف، ج ١، ص ٧٦، ٧٧، دار المعارف، مصر.

فالأسواق التي توفر سبل العيش في تلك البيئة القاسية كانت منتشرة في عدة أماكن مما أدى إلى تعدد في حياتهم اللغوية، فتجار كل بقعة عندهم تعبيراتهم وألفاظهم الخاصة بهم، ولدى احتكاك التجار والباعة تنشأ بعض المفردات ليستطيع كل منهما فهم مراد الآخر، وقد وصف أهل أحد تلك الأسواق - وهم أهل الشحر - بأن «ألسنتهم مستعجمة جدا لا يكاد يوقف عليها»^(١). ولم تنحصر الأسواق في التجارة وحسب بل كانت ثمة أسواق أخرى تقام للخطابة والشعر، وهناك تعرض الألفاظ والمفردات والتراكيب، فقد كان أبناء كل قبيلة يحملون في خلال ممارساتهم الأدبية تعبيرات حيهم ولهجة بلدهم، ومن البدهي أن التفاوت في المفردات واللهجات اللغوية كان يقل ويكثر تبعاً لقوة العلاقات التي تربط بين القبائل وضعفها وتبعاً لاختلاف عوامل المكان والزمان والاجتماع. وكان أعظم ما عرفه العرب من أسواق خطابية سوق عكاظ، وهو خلف عرفة ومجنة، من بلاد الحجاز، قريب من مكة في جنوبها الشرقي، وأصحاب السوق هم قبيلة هوازن حيث تقع الأرض في بلادهم، فما أن يقترب مواعده وهو من أول ذي القعدة إلى العشرين منه حتى يؤمه الشعراء والخطباء من كل حذب وصوب، فهو مجمع هام لحياتهم الفكرية، يعرضون مواعظهم وفلسفتهم، ومنتدى حافل بألوان حياتهم الاجتماعية، وندوة سياسية لإعلان حربهم وصلحهم ومعاهدات الأمن المبرمة بينهم لإشهاد القبائل مما يزيد في احترامها^(٢).

ب- الهجرة : تحت أي ظرف من الظروف الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية يترك الإنسان أرضه ويهاجر إلى مكان آخر سواء أكان ذلك برغبة منه أو رغماً عنه طلباً للرزق وغير ذلك .

والتاريخ يحمل في أحداثه أمثلة كثيرة على ذلك، وظهر مدى تأثير الهجرة على اللغات واللهجات؛ ليس في العربية وحسب، بل في غيرها أيضاً، فعندما هاجر قوم من الساميين إلى بلاد ما بين النهرين وتكونت مملكة البابليين والآشوريين تأثرت بذلك اللغة السامية نفسها، فاختلقت مع أخواتها في عدة جهات، كما أنها

(١) المسالك والممالك، إبراهيم بن محمد الفارسي الأصبخري، ص ٢٧، تحقيق محمد جابر عبد العال دار القلم، ١٩٦١م.

(٢) انظر أسواق العرب، سعيد الأفغاني، ص ٢٤٢ وما بعدها.

أثرت على غيرها فقضت على اللغة السومرية^(١).

■ رابعاً: الأسباب الفردية:

إن أي بلد لو أخرج الغرباء منه وبقي سكانه الأصليون لا بد أن تختلف اللهجات فيه وتعدد، ذلك بتعدد الأفراد الذين يتكلمونها، إذ لا يتكلم شخصان بصورة واحدة لا تفترق^(٢) وهكذا تتطور اللهجات وتولد لهجات أخرى جديدة.

ويمكن بسط هذا السبب من خلال مراقبة كلام الأطفال فبعد اتقانهم للعديد من الكلمات التي اقتبسوها من أهلهم، يُلاحظ أن كلمات أخرى يختلف نطقهم لها عن الكبار، وإذا ما تركوا دون تنبيه أو تصحيح فإن ذلك النطق سيصبح من الظواهر اللهجية^(٣).

ومن أمثلة ذلك نطق حرف الذال بالزاي فيقولون / زهب / بدلا من / ذهب / وكذلك نطق السين بدلا من الشين، وغير ذلك من الأحرف، وقد لوحظت ظاهرة اختلاف اللهجات عند بعض القبائل من خلال تبديل بعض الحروف بأخرى، وكان سبب البعض استخفاف الحروف على اللسان^(٤).

وبعد عرض أسباب اختلاف اللهجات العربية وتعددتها يلحظ توافق العديد من جزئياتها مع الأسباب العامة لنشأة لهجات اللغات الأخرى، كما وتبين آثار اختلاف بيئتين من البيئات العربية، على اختلاف اللهجات، فالمنعزلة لها لهجاتها وكذلك القبائل المتلاقية، وتنعكس أحوال الجزيرة العربية أيضا على اللغة العربية والظروف تحكمت في العديد من النواحي، فكان من اتساع أرجاء هذه الجزيرة والأحوال التي سادت في المجتمعات والتقاء العرب بغيرهم واحتكاك مختلف اللهجات، كل ذلك قوض وحدة اللهجة العربية فانقسمت إلى لهجات عدّة وعزز ذلك أن اللغة لم تكن مدونة في الأصل ليرجع إليها عند الشطط ويحال إليها عند الشذوذ.

(١) انظر في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص ٢٢.

(٢) اللغة، جورج فندريس، ص ٢٩٥.

(٣) انظر اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، ص ٣٨، ٣٩.

(٤) راجع الفصل الأول من هذا البحث، ص ٤٣، ٤٨، ٤٩.

أنواع اختلاف اللهجات العربية

المطلب الأول

اختلاف لهجات القبائل من الناحية الصوتية

الصوت لغة: مصدر للفعل صات يصوت صوتاً فهو صائت كقال يقول^(١)،
الجرس - بالفتح ثم التسكين - والصائت: الصائح^(٢).

أما اصطلاحاً فهو: عرض يخرج من النفس مستطيلاً متصلاً حتى يعرض له
في الحلق والقم والشفيتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما
عرض له حرفاً^(٣).

لقد منح علماء اللغة الصوت اهتماماً بالدراسة وخصّوه بالذكر^(٤)، وذلك
بهدف فهمه وإدراك مخارج الحروف، حتى أن ابن جني شبه جهاز النطق بالناي
ووتر العود فقال: «ولأجل ما ذكرنا من اختلاف الأجراس في حروف المعجم
باختلاف مقاطعها التي هي أسباب تباين أصداؤها ما شبه بعضهم الحلق والقم
بالناي..... ونظير ذلك أيضاً وتر العود فإن الضارب إذا ضربه وهو مرسل
سمعت له صوتاً»^(٥).

ومما يؤكد أهمية الصوت عند ابن جني انعكاس ذلك الاهتمام على تعريفه

(١) تاج العروس، الزبيدي، ج ٤، ص ٥٩٧، بتصرف يسير.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج ٢، ص ٥٧ وتاج العروس، الزبيدي، ج ٤، ص ٥٩٧.

(٣) سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج ١، ص ٦.

(٤) انظر المصدر السابق، ج ١، ص ٦، ٧.

(٥) انظر المصدر السابق، ج ١، ص ٨، ٩.

للغة فقال: «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»^(١).

إن الجهود الجبارة التي بذلها العلماء في دراسة الأصوات لم تجذب إليها دارسين بحجم يكافئ الدراسات التي قدمها الأولون، غير أن الزيادات التي أضيفت على أعمال كبار علماء الأصوات كالخليل وسيبويه وابن جنى ومن بعدهم... وكل التفصيلات والتطبيقات التي ظهرت فيما بعد يرجع الفضل فيها إلى علماء التجويد والقراءات، الذين حملوا عبء هذه الدراسات وتولوا رعايتها من بعد، وتابعوا البحث فيها بما يناسب ويوافق منهجهم العلمي، وبذلك تكون دراسة الظواهر الصوتية قد تعددت بين مخبرين، الأول هو مخبر الميدان اللغوي والآخر مخبر الأداء القرآني.

لقد كان السماع هو المنبع الأول لأخذ اللغة عن الأولين ما قبل الإسلام، وهذا شيء طبيعي متناسب مع الحياة التي عاشها العرب آنذاك.

فقد درجوا على حمل الشعر عن الرواة واشتروا في جمع اللغة وصحتها السماع من أصحابها... وعلى السماع اعتمدوا في نقد عيوب الشعر^(٢) حتى إن صاحب كتاب «دلالة الألفاظ» عدّ أن انتقال الإنتاج الأدبي بين أجيال الجاهليين كان من خلال السماع والمشافهة^(٣)، فبالاعتماد على السماع قعدت القواعد وانبى علم التجويد والقراءات واتخذت بعض معايير الفصاحة وبه قيست لغات القبائل المذمومة ولهجاتها^(٤).

وتتبعاً للهجات العرب من الناحية الصوتية يُلاحظ اختلاف ظاهر بين قسمين من القبائل العربية :

قسم أخذ الصحراء مسكناً له فعاش فيها، يتنقل بين نجادها ووهادها يتكلم بالعراء دون حائل يصد موجات الصوت، فينتشر الصوت قاصداً سبيلاً لا آخر له، مما ساعد أهل الصحراء على الاختصاص بلون مميز في نبرتهم وتلفظهم، وهم المعروفون أنهم أهل شدة وجفاء في الطبع، وانعكس ذلك على سرعة النطق

(١) انظر الخصائص، ج ١، ص ٣٣.

(٢) أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج، مسعود بوبو، ص ١٠٩.

(٣) إبراهيم أنيس، ص ١٩٣.

(٤) أثر الدخيل على العربية الفصحى، مسعود بوبو، ص ١٠٩.

بسلسلة من الأصوات القوية السريعة، فتنسق مع عناصر الحروف ذات الطابع الانفجاري، وأدى إلى معرفة السامع لكلمة ذات لهجة شديدة أن أهل الصحراء هم أصحابها على الأغلب.

قسم آخر عاش في المدن وضواحيها فالتقى بعناصر الحضارة واعتاد على الراحة في تسيير أمور الحياة، أكثر ما يتكلمون بين جدران المنازل، غير محتاجين لرفع الصوت، كل ذلك إضافة إلى ممارسات يومية أخرى اعتادها سكان المدن، أدت إلى اتصاف أهلها بصفات صوتية تخالف أهل الصحراء في كثير من الظواهر الصوتية، وبالمقابل يعثر على بعض الصفات القليلة المشتركة بين الفريقين، تسهل معرفة الأسباب الكامنة وراء هذا الاتفاق بعد تتبع مراحل التنقلات والاتصالات التي تمت بين أصحابها^(١).

إن البحث في اختلاف اللهجات العربية من الناحية الصوتية هو عنوان كبير يحتوي على العديد من الظواهر الصوتية عند بعض القبائل ومن هذه الظواهر: الفتح والإمالة، الإظهار والإدغام، تحقيق الهمزة وتسهيلها، الإبدال، الوقف، الإسكان والتحريك، الإتياع، كسر أحرف المضارع، وغير ذلك.....

وليس من الضرورة أن توجد جميع هذه الظواهر لدى كل قبيلة من القبائل، لكن بعضها اشتهرت بعدد من الظواهر، والبعض الآخر لم يعرف عنه شيء منها، ومعرفة ذلك يعتمد إلى حد كبير على المراجع التراثية فهي التي فصلت القول في ذلك.

وسأكتفي بطرح عدة أمثلة لبعض الظواهر والإشارة إلى فائدتها مع ذكر أصحابها.

■ أولاً: ظاهرة تخفيف الهمزة :

تعددت المواصفات التي وضعت للهمزة فبينما وصفها سيبويه بأنها مجهورة مخرجها أقصى الحلق^(٢) وافقه ابن جني في وصفها بالجهر غير أنه عدَّ مخرجها

(١) انظر في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص ٧٦ وما بعدها.

(٢) انظر الكتاب، ج ٤، ص ٤٣٣، ٤٣٤.

من أسفل الحلق، بالإضافة إلى أنها بعيدة عن الحروف وتحصل طرفاً مما يستدعي تكلفاً في النطق^(١).

أما موفق الدين ابن يعيش فيرى أن الهمزة حرف شديد مستثقل مخرجه أقصى الحلق^(٢).

ولست بصدد مناقشة تعريفات العلماء الثلاثة، لعدم تعلق ذلك تعلقاً مباشراً بما سأتناوله من تحقيق الهمزة أو تخفيفها بين لهجات القبائل، لكن لا بد من الإشارة إلى أن البحث التجريبي قد وصل إلى نتيجة تخص الهمزة وهي أنها صوت صامت حنجري انفجاري يحدث بانسداد الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين أي عند انطباق الوترين انطباقاً تاماً مما يمنع الهواء أن يخرج من الحنجرة إلى أن ينفرج الوتران، عندئذ يخرج الهواء من بينهما فجأة، ليحدث صوتاً شبه بالانفجاري^(٣).

ومن هنا فإن الهمزة تعدّ من الحروف الصعبة في النطق لاجتماع الجهر والشدة فيها، مما ألجأ بعض القبائل إلى تخفيف النطق بها أو تحويلها إلى حرف آخر، وهذا ما أشار إليه سيبويه فقال: «إعلم أن كل همزة مفتوحة كانت قبلها فتحة فإنك تجعلها إذا أردت تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة، وتكون بزنتها محققة غير أنك تضعف الصوت ولا تتمه وتخفي لأنك تقربها من هذه الألف وذلك قولك سال في لغة أهل الحجاز إذا لم تحقق كما يحقق بنو تميم»^(٤).

فأول ما يلفت النظر في لهجة الحجاز من الناحية الصوتية أنها لا تعرف تحقيق الهمز^(٥) فالقبائل الحضرية في شمال الجزيرة وغربيها من أهل الحجاز وهذيل ومكة والمدينة جميعهم لا ينبرون إلا إذا اضطروا^(٦).

(١) انظر سر صناعة الإعراب، ج ١، ص ٦٩-٧١.

(٢) شرح المفصل، ج ٩، ص ١٠٧.

(٣) انظر علم اللغة، محمود السمران، ص ١٥٧، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٨.

(٤) الكتاب، ج ٣، ص ٥٤١، ٥٤٢.

(٥) علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي، ص ٢٢٥، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر، وانظر همع الهوامع شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، ج ٢، ص ٢٣٣، تصحيح محمود النعساني، دار المعرفة، بيروت.

(٦) كلام لأبي زيد الأنصاري، انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ١، ص ٢٢.

بينما كان تخفيف الهمزة من الخصائص البدوية التي تميزت بها قبائل وسط الجزيرة العربية وشرقها وهم تميم ومن جاورهم^(١).

لكن لا يمكن خصُّ أهل الحجاز بالتخفيف وتميم بالتحقيق وعدّ ذلك قاعدة لا يمكن العدول عنها، وذلك لتخفيف الهمزة وتحقيقها لدى بعض قبائل كل من الطرفين^(٢).

فها هو سيبويه يقرر ذلك قائلاً: «وقد بلغنا أن قوماً من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون نبيّ و بريئة وذلك قليل ردي»^(٣).

ويتضح أيضاً خرق هذا الحكم من خلال بعض القراءات القرآنية، فابن كثير المكي^(٤) قرأ قوله تعالى:

﴿وَكُنْتُمْ عَنْ سَاقِيهَا﴾^(٥) سَاقِيهَا - بالهمز - وكان وحيداً في هذه القراءة^(٦).

كما أنه همز كلمة «ضيّزى»^(٧) من قوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾^(٨) مع أن مكة من الحجاز وهم لا يهمزون.

(١) انظر المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، محمد سالم محيسن، ص ٨٤، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٦.

(٢) انظر من أصول اللهجات العربية في السودان، عبد المجيد عابدين، ص ٤٣، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩.

(٣) الكتاب، ج ٣، ص ٥٥٥.

(٤) هو عبد الله بن كثير المكي، يكنى بأبي معبد ويلقب بـ (الداري)، وقيل إنه من قريش من بني عبد الدار، وقيل غير ذلك والصحيح الأول لأنه كان من أبناء فارس الذين بعثهم كسرى للسفر إلى صنعاء فطردوا الحبشة منها، وقد قرأ ابن كثير على عبد الله بن السائب المخزومي ومجاهد ودرباس مولى ابن عباس وغيرهم، أما الذين قرأوا عليه فمنهم: إسماعيل بن عبد الله القط، شبل بن عباد، ومعروف بن مشكان، ووصف بأنه فصيح بليغ مفوّه ولد سنة خمس وأربعين وتوفي سنة مئة وأربعين من الهجرة.

انظر معرفة القراء الكبار، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ج ١، ص ٧١ وما بعدها، تحقيق محمد سيد جاد الحق دار الكتب الحديثة، مصر، ط. الأولى، وغاية النهاية في طبقات القراء، محمد بن محمد ابن الجزري، ج ١، ص ٤٤٣ وما بعدها، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٣٢.

(٥) سورة النمل، من الآية: ٤٤.

(٦) انظر الحجة للقراء السبعة، الحسن بن عبد الغفار الفارسي، ج ٦، ص ٦٨.

(٧) انظر الحجة، الحسن الفارسي، ج ٦، ص ٢٣٤.

(٨) سورة النجم، الآية: ٢٢.

وقد عجب صاحب كتاب «في اللهجات العربية» من عدم تحقيق الهمز عند أهل الحجاز فقال سائلاً: «كيف تأتى أن البيئة الحجازية التي عرفت بالتأني في الأداء، ولم يشتهر عنها إدغام أو إمالة أن تعمل على التخلص من الهمزة في نطقها، إذ التخلص من الهمزة نوع من الميل إلى السهولة والبعد عن التزام التحقيق في النطق بالأصوات»^(١).

والجواب عن ذلك ما ذكرته آنفاً أنه وجد من أهل الحجاز من ينبر أحيانا، بل إن هناك من يؤثر إثبات الهمزة على تسهيلها هذا من جهة، ومن ناحية أخرى فإن التأني في الأداء الذي اشتهر به أهل الحجاز لا يناقض تسهيل الهمزة، خاصة بعد معرفة أنها صوت حنجري انفجاري لا هو بالمجهور ولا بالمهموس ثقيل صعب النطق^(٢).

أما الوسائل التي تمت بها عملية تخفيف الهمزة عند بعض القبائل، فكانت من خلال النقل، أو الإبدال أو التسهيل أو الحذف. وسألخص الشرح عن كل واحدة بما يفي بالمطلوب:

١- النقل: هو لغة تحويل الشيء من موضع إلى موضع^(٣)، وهذا المعنى يتحقق عند تخفيف الهمزة بالنقل، في الحالة التي تجيء فيها الهمزة بعد حرف صحيح ساكن، فتحوّل الحركة التي على الهمزة إلى الحرف الساكن الذي قبلها ثم يصار إلى تسهيل الهمزة قصد التخفيف سواء أكانت حركة الهمزة فتحة نحو قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٤) أو ضمة ﴿قُلْ أَرْجَىٰ إِلَيْكَ أَنَّهُ أَسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾^(٥) أو كسرة ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَّائِنُهَا مِن إِسْتَرْقٍ﴾^(٦).

فقراءة التخفيف في هذه الآيات تكون على الشكل التالي: قَدْ فُلِحَ الْمُؤْمِنُونَ- بفتح الدال وسكون الفاء بعد حذف الهمزة- قُلُوْحِي - بضم اللام

(١) إبراهيم أنيس، ص ٦٦، ٦٧.

(٢) انظر علم اللغة، محمود السعران، ص ١٥٧.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، ج ١١، ص ٦٧٤ وتهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهرى، ج ٩، ص ١٥٠ مادة (نقل).

(٤) سورة المؤمنون، الآية: ١.

(٥) سورة المؤمنون، الآية: ١.

(٦) سورة الرحمن، من الآية: ٥٤.

وسكون الواو بعد حذف الهمزة - مِنْ سْتَبْرِقْ - بكسر النون وسكون السين بعد حذف الهمزة -^(١).

وبذلك يكون قد حذف المقطع الصوتي المغلق من الكلمة إضافة إلى حذف صوت الهمزة.

٢- الإبدال لغة، مصدر لأبدلت الشيء من الشيء إذا أقمته مقامه، والأصل في الإبدال جعل شيء مكان شيء آخر كإبدالك من الواو تاء في تالله^(٢).

أما الإبدال في الإصطلاح فهو: إقامة حرف مكان حرف يقرب منه مخرجاً مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة^(٣)، وذلك مثل كلمتي: قشط وكشط.

مما تقدم يتبين أنه لا فرق بين الإبدال في اللغة والإبدال في اصطلاح علماء العربية إلا من جهة أن الاصطلاح خصه بالحروف، أما في اللغة فقد كان عاماً في الحروف وغيرها.

والإبدال المطلوب لتخفيف الهمزة يأتي في حالة مجيء الهمزة ساكنة بعد فتح نحو: "الهدى اثتنا" أو ضم نحو: "يقول ائذن لي" أو كسر نحو: "الذي ائتمن"، فعندئذ تبدل الهمزة بحرف مد مجانس لحركة الذي قبلها، فإذا كانت حركة الحرف الذي قبلها فتحة فتبدل الهمزة ألفاً، وفي حالة وجود الضمة تبدل واواً، وإذا كانت كسرة تبدل ياءً^(٤).

وبذلك يحل حرف محل الهمز، سواء أكانت الألف أم الواو أم الياء، بحسب حركة الحرف الذي يسبق الهمزة^(٥).

٣- التسهيل: لغة هو التيسير^(٦) أما حدوثه فعند اجتماع همزتين في كلمتين منفصلتين لكن حركة كل منهما متفتتان سواء أكان ذلك في الفتح نحو قوله تعالى:

(١) انظر المقتبس من اللهجات العربية، محمد سالم محيسن، ص ٨٦.

(٢) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ١١، ص ٤٨ مادة (بدل).

(٣) الإبدال في ضوء اللغات السامية، د. ربحي كمال، ص ٥، ١٠٢، جامعة بيروت العربية، ١٩٨٠.

(٤) التيسير في القراءات السبع، عثمان بن سعيد الداني، ص ٣٣، ٣٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. الثانية ١٩٨٤.

(٥) انظر الكشف عن أحكام الوقف والوصل في العربية، محمد سالم محيسن، ص ١٢٠، ١٢١، دار الجيل، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٢.

(٦) لسان العرب، ابن منظور، ج ١١، ص ٣٤٩.

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْزِمُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾^(١) أوفي حالة الضم:
 ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٢) أو كانت الهمزتان مكسورتين
 نحو قوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَنبِيُّونَ بِأَسْمَاءَ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣) فإذا اتفقت
 همزتان متتاليتان في كلمتين منفصلتين، تسهل إحدى الهمزتين، ففي حالة الفتح
 تسهل بين الهمزة والألف، وفي حالة الضم تسهل بين الهمزة والواو أما في حالة
 الكسر فتسهل إحدى الهمزتين بين الهمزة والياء.

وفي هذه الحالات تعدّ الهمزة المسهلة حرفاً فرعياً^(٤).

٤- الحذف: وهو في اللغة مصدر لحذف يحذف - بكسر العين - حذفاً،
 وأصل استعماله لقطع الشيء من طرفه كما يحذف طرف الدابة^(٥).

ويتداخل المعنى اللغوي عند استعمال الحذف كوسيلة لتخفيف الهمزة،
 فعندما تجتمع همزتان في كلمتين منفصلتين لكنهما متفتحتان في الفتحة نحو: "جاء
 أحلكم" أو الضمة نحو: "أولياء أولئك" أو الكسرة نحو: "هؤلاء إن كنتم" تعد
 بعض^(٦) القبائل إلى حذف إحدى الهمزتين، وبذلك يحذف من الكلمة مقطع
 صوتي^(٧).

وبعد هذا الشرح المقتضب للوسائل التي يتم بها تخفيف الهمزة، أذكر بما
 ورد في بداية الكلام عنها بأن تحقيقها اختصت به القبائل البدوية وسط الجزيرة
 العربية وشرقها وهم قبيلة تميم وجيرانهم، بينما اختصت القبائل الحضرية في
 شمال الجزيرة وغربها بالتخفيف، غير أن هناك بعض الاستثناءات التي لا تنفي
 الطابع العام لهذه القبائل فيما يتعلق بالهمزة.

(١) سورة يونس، الآية: ٤٩. (٢) سورة الأحقاف، الآية: ٣٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٣١.

(٤) انظر المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، محمد سالم محيسن، ص ٨٧.

(٥) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ٩، ص ٣٩، وتهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهرى ج ٤،
 ص ٤٦٧ مادة (حذف).

(٦) وهي قبائل الحجاز، ومنهم قبيلة هذيل، انظر من لغات العرب لهجة هذيل، عبد الجواد الطيب،
 ص ٩٤ وما بعدها، منشورات جامعة الفاتح، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية
 العظمى.

(٧) انظر المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، محمد سالم محيسن، ص ٨٧.

أما الهدف من عدم تحقيق الهمزة فهو التخفيف من الجهد العضلي.

■ ثانياً: الفتح والإمالة:

الفتح لغة: مصدر فتح يفتح فتحاً، والأصل فيه ما كان مناقضاً للإغلاق^(١).
أما الفتح كظاهرة من الظواهر الصوتية فهو فتح المتكلم لفيه بلفظ الحرف^(٢).
الإمالة لغة: من الميل وهو العدول إلى الشئ والإقبال عليه وهي التي بين الألف والياء نحو قولك في عالم وخاتم^(٣).
واصطلاحاً: تقريب الألف نحو الياء^(٤) والانحناء بالفتحة التي قبلها نحو الكسرة^(٥).

وقد رسم الإمام ابن الجزري^(٦) حدوداً لكل من الفتح والإمالة فقال: «والفتح عبارة عن فتح القارئ لفيه بلفظ الحرف وهو فيما بعده ألف أظهر، ويقال له أيضاً التفخيم، وربما قيل له النصب، وينقسم إلى فتح شديد وفتح متوسط..... والإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء (كثيراً) وهو المحض، ويقال له الإضجاع، ويقال له البطح وربما قيل له الكسر أيضاً (وقليلاً) وهو بين اللفظين ويقال له أيضاً التقليل والتلطيف، وبين بين، فهي بهذا الاعتبار تنقسم أيضاً إلى قسمين: إمالة شديدة وإمالة متوسطة، وكلاهما جائز في القراءة جار في لغة العرب»^(٧).

- (١) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ٢، ص ٥٣٦ مادة (فتح).
- (٢) المقتبس من اللهجات العربية والقراءة، محمد سالم محيسن، ص ٩٤.
- (٣) لسان العرب، ابن منظور، ج ١١، ص ٦٣٨، وتاج العروس، الزبيدي، ج ٣٠، ص ٤٣٠ مادة (ميل).
- (٤) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكي بن أبي طالب القيسي، ج ١، ص ١٦٨، تحقيق محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، ط. الثالثة.
- (٥) انظر شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الاسترأبادي، ج ٣، ص ٤.
- (٦) هو محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف، ولد في دمشق سنة ٧٥١ هـ، ونشأ فيها إلى أن سافر مع تيمورلنك إلى ما وراء النهر، وتخللت هذه الفترة سفرات إلى عدة بلدان، منها مصر، كما أنه دخل بلاد الروم. كان شيخاً للقراء في عصره، وأنشأ داراً للقرآن الكريم في دمشق، أضف إلى ذلك أنه من حفاظ الحديث، تولى القضاء في شيراز، المدينة التي توفي فيها سنة ٨٣٣ هـ. انظر الأعلام، الزركلي، ج ٧، ص ٤٥.
- (٧) النشر في القراءات العشر، ج ٥٢، ص ٢٩، ٣٠، دار الكتب العلمية، بيروت.

فابن الجزري قد سمى الفتح بالتفخيم كما أطلق عليه اسم النصب، بينما يطلق على الإمالة اسم الإضجاع أو البطح أو الكسر، وكل من الفتح والإمالة يقسم إلى شديد ومتوسط.

أما ابن جنى فذكر أن هناك إمالة من الفتحة إلى الضمة، قال في سر صناعة الإعراب: «وأما ألف التفخيم فهي التي تجدها بين الألف وبين الواو، نحو قولهم: سَلَام عليك وقَام زيد وعلى هذا كتبوا الصلوة والزكوة والحياة بالواو ولأن الألف مالت نحو الواو»^(١).

فالميل كما يكون من الفتحة إلى الكسرة يكون أيضا إلى الضمة غير أن صاحب كتاب: «في اللهجات العربية»، يقرر أن المراد من الإمالة إذا أطلقت في كتب القراءات واللغة إمالة الفتح إلى الكسر^(٢).

وقد اختلف في هاتين الظاهرتين أيهما أصل وأيها فرع؟ فذهب أكثر العلماء^(٣) إلى أن الفتح هو الأصل^(٤) وقيل إن كلاهما أصل قائم بذاته، وإلى هذه الآراء أشار ابن الجزري عندما فصل القول في ذلك فعدهما لغتين فصيحيتين، وقد بينت الشواهد القرآنية أن القرآن الكريم نزل بهما، ورد على الذين قالوا بأصلية الفتح مستندين إلى وجود أسباب للإمالة تدعو إلى الفتح عند فقد هذه الأسباب، رد عليهم بأن وجود السبب لا يشير إلى الأصالة أو الفرعية، وختم قائلاً بأن لكل فريق أدلته التي يدعم بها قوله^(٥).

ولعل الرأي القائل بأن كلا منهما أصل قائم بذاته هو الأصوب، إذ إن لكل ظاهرة منهما متكلموها في الجزيرة العربية كما سيأتي.

■ أسباب الإمالة:

ذكرت آنفا استدلال بعض القائلين بأصالة الفتح، بأن للإمالة أسبابا متى

(١) سر صناعة الإعراب، عثمان بن جنى، ج ١، ص ٥٠.

(٢) انظر إبراهيم أنيس، ص ٥٦.

(٣) انظر الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان، ص ٦٦. وشرح

المفصل، ابن يعيش، ج ٩، ص ٥٤.

(٤) انظر اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، ص ١٣٥.

(٥) انظر النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج ٢، ص ٣١، ٣٢.

فقدت تفتح الكلمات ولا تمال، فما هذه الأسباب؟

لقد جمعت أسباب الإمالة حتى وصلت إلى عشرة أسباب، سبعة منها متعلقة بالكسرة أو الياء، وثلاثة من أجل إمالة سبقت أو الشبه أو الاستعمال، والأسباب هي كما يلي^(١):

١- توسط حرف مفتوح أو أكثر بين الألف وبين حرف آخر مكسور نحو كتاب وحساب.

٢- تقدم حرف الياء على الألف مباشرة نحو أيادي، الحياة، أو الفصل بينهما بحرف نحو شيان.

٣- مجئ حرف مكسور بعد الألف نحو: عابد-عاجز-نادر.

٤- قلب حرف مكسور إلى ألف، نحو: خوف - خاف.

٥- مجئ حرف الياء بعد الألف نحو: مباح - محايد.

٦- قلب ياء في الكلمة إلى ألف نحو: رمى - كوى - أتى.

٧- تعرض فاء الكلمة لكسرة في بعض الحالات - كاتصال ضمير الرفع المتكلم أو المخاطب أو نون النسوة بالكلمة - يعدّ سبباً من أسباب الإمالة.

٨- مجاورة الألف لحرف ممال قبله، لأحد الأسباب السابقة الذكر، ويسمى ذلك إمالة لأجل إمالة نحو إمالة ألف الاثنين من جاء، وكذلك إمالة ألف التنوين من: رأيت عمادا..

٩- إرادة تشبيه كلمة بأخرى من خلال الإمالة وذلك كإمالة ألف الحسنى لتشبيهها بألف الهدى المنقلبة عن ياء وكذلك إمالة ألف موسى وعيسى إلحاقاً بألف التأنيث المشبهة بألف الهدى.

١٠- كثرة استعمال المتكلمين للفظة تؤدي في كثير من الأحيان إلى إمالتها وذلك كقول الناس: «جاء الحجاج من بيت الله» وغيرها من الكلمات المتداولة بين الناس، إما لاشتهارها أو لضرورات الحياة.

وهكذا يتبين أن الأسباب العشرة لإمالة الألف مردها إلى ثلاثة أمور، وهي الكسرة والياء والانسجام بين أصوات اللين^(٢).

(١) انظر النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج ٢، ص ٣٢ وما بعدها.

(٢) انظر في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص ٥٨.

وتجدر الإشارة إلى أن حروف الاستعلاء إذا سبقت الألف تمنع من الإمالة ولو توفرت في الكلمة أحد الأسباب العشرة، وقد أشار سيبويه إلى ذلك فقال: «فالحروف التي تمنعها الإمالة هذه السبعة، الصاد والضاد والطاء والظاء والغين والقاف والخاء، إذا كان حرف منها قبل ألف تليه.....إنما منعت هذه الحروف الإمالة لأنها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى، فلما كانت مع هذه الحروف المستعلية غلبت عليها.....فلما كانت الحروف مستعلية وكانت الألف تستعلي وقربت من الألف، كان العمل من وجه واحد أخف عليهم»^(١).

■ أصحاب الفتح وأهل الإمالة:

يمكن القول إن المشهور عن سكان غرب الجزيرة عامة- بما فيهم أهل الحجاز من قريش وثقيف وهوازن وكنانة- أنهم يفتحون الألف في كلامهم. أما سكان وسط الجزيرة وشرقيها - تميم وقيس وأسد وطي وبكر ابن وائل وتغلب-فإليهم تنسب الإمالة^(٢).

غير أن ابن الجزري قد أضاف هوازن إلى القبائل المميلة^(٣)، وبالعودة إلى مسكن هوازن يتبين أنها سكنت نجد مما يلي اليمن، وتجمع تحتها قبائل بني سعد بن بكر بن هوازن وبني معاوية بن بكر بن هوازن وبني منبه بن بكر بن هوازن^(٤).

والقول بنسبة الإمالة إلى قبائل وسط شبه الجزيرة وشرقيها، والفتح إلى قبائل غرب الجزيرة، هو على سبيل التغليب إذ لا يمكن عده قاعدة لا يُخرج عنها، فقد اخترقتها بعض الحالات ولوحظ من يخرج عن المؤلف من كلا الفريقين، وذكر سيبويه خروج الحجازيين عن قاعدة الفتح فقال: «ومما يميلون ألفه كل شئ كان من بنات الياء والواو مما فيه عين، إذا كان أول فَعَلْتُ مكسوراً نَحَوْنَا نحو الكسر كما نَحَوْنَا نحو الياء فيما كانت ألفه في موضع الياء وهي لغة لبعض أهل

(١) الكتاب، ج٤، ص١٢٨، ١٢٩.

(٢) انظر النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج٢، ص٣٠ وفي اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص٥٠.

(٣) انظر منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ص٦٠، المطبعة الوطنية الإسلامية، القاهرة، ١٣٥٠هـ.

(٤) انظر معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج٣، ص١٢٣١.

الحجاز، فأما العامة فلا يميلون.

ولا يميلون ما كانت الواو فيه عينا إلا ما كان منكسر الأول وذلك خاف وطاب وهاب»^(١).

فهذا يدل على أن الإمالة كانت معروفة في أرجاء شبه الجزيرة العربية كلها، خاصة بعد معرفة أن أهل اليمن يميلون أيضا في أكثر كلامهم^(٢).

وبالانتقال إلى الإمالة عند القراء فقد اشتهر بذلك حمزة^(٣) والكسائي^(٤) - وهما من كبار القراء الكوفيين - وأبو عمرو ابن العلاء^(٥) ومن المكثرين للإمالة، بينما اعتبر نافع^(٦) وعاصم^(٧) من المقلين للإمالة في قراءاتهم^(٨).

(١) الكتاب، ج٤، ص ١٢٠، ١٢١.

(٢) كلام أبي بكر بن مقسم نقلاً عن يوسف بن الحسن الاسترابادي، انظر همع الهوامع شرح جمع الجوامع، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ج٢، ص ٢٠٤.

(٣) هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل التيمي الكوفي الزيات، يكنى أبا عمارة، قرأ القرآن الكريم عرضاً على سليمان الأعمش وحمران بن أعين ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، وجعفر بن محمد الصادق وغيرهم، وتصدر للإقراء مدة، وقرأ عليه عدد كثير، كالكسائي وسليم بن عيسى. وهما أجل أصحابه. وإسحاق بن يوسف الأزرق وعبيد الله بن موسى العبيسي، وغيرهم. ولد سنة ثمانين وتوفي سنة ست وخمسين ومائة للهجرة، انظر معرفة القراء الكبار، الذهبي، ج١، ص ٩٣ وما بعدها وغاية النهاية، ابن الجزري، ج١، ص ٢٦١ وما بعدها.

(٤) هو علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي، الكوفي الكسائي، يكنى أبا الحسن قرأ القرآن الكريم على حمزة الزيات وعيسى بن عمر الهمداني، وأخذ الحروف عن أبي بكر بن عياش وغيره قرأ عليه أبو عمر الدوري وأبو الحارث الليث ونصر بن يوسف الرازي، وقتيبة بن مهران الأصهباني وغيرهم، توفي رحمه الله سنة مئة وتسع وثمانين من الهجرة على الأرجح، انظر معرفة القراء، الذهبي، ج١، ص ١٠٠ وما بعدها، وغاية النهاية ابن الجزري، ج١، ص ٥٣٥ وما بعدها.

(٥) أبو عمرو بن العلاء، هو زيان بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحسين بن الحارث المازني البصري، قرأ بمكة المكرمة والمدنية والكوفة والبصرة على جماعة كثيرة، من أشهرهم يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم، كما قرأ على يديه كثيرون منهم يحيى بن المبارك اليزيدي، وشجاع البلخي. ولد سنة ثمان وستين وقيل سنة سبعين ووافته المنية سنة أربع وخمسين ومئة هجرية.

انظر معرفة القراء، الذهبي، ج١، ص ٨٣ وما بعدها، والنشر في القراءات العشر ابن الجزري، ج١، ص ١٣٣ وما بعدها. وغاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، ج١، ص ٢٨٨ وما بعدها.

(٦) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي المدني يكنى بأبي رويم، وقيل بأبي الحسن، وقيل بأبي عبد الرحمن وقيل غير ذلك. قرأ على طائفة من تابعي أهل المدينة. روي عنه انه قال: =

وربما أمال أهل الكوفة والبصرة تأثراً بقبائل وسط الجزيرة وشرقها التي نزلت عندهم حاملة معها ظاهرة الإمالة^(١).

ولا يخفى أن الفائدة من الإمالة باختصار: هي جعل اللفظ سهلاً في النطق، وللتخفيف من المجهود العضلي أيضاً.

ويبين ابن الجزري الثمرة من الإمالة قائلاً: «وأما فائدة الإمالة فهي سهولة اللفظ وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع»^(٢).

■ ثالثاً: الإظهار والإدغام:

الإظهار لغة: مصدر للفعل أظهر، وقد أظهرته عندما بينته^(٣)، فالإظهار لغة هو البيان.

واصطلاحاً: إخراج كل حرف من مخرجه من غير غنة في الحرف المظهر^(٤).

أما الإدغام في اللغة فهو مصدر للفعل أدغم يدغم، ومعنى استعماله، الإدخال، واستخدام الإدغام للحروف يعني إدخال حرف في حرف^(٥).

«قرأت على سبعين من التابعين» ومن الذين قرأ عندهم، عبد الرحمن بن هرمز الأعرج وشيبة بن نصاح، كما قرأ عنده الإمام مالك بن أنس وإسماعيل بن جعفر وغيرهم. توفي الإمام نافع سنة تسع وستين ومئة للهجرة، وقيل مئة وسبعين وقيل مئة وسبع وستين، والأول أصح. انظر معرفة القراء، الذهبي، ج ١، ص ٨٩ وما بعدها، وغاية النهاية، ابن الجزري، ج ٢، ص ٣٣٠.

(٧) هو عاصم بن بهدلة أبي النجود الأسدي، كوفي، يكنى أبا بكر، قرأ القرآن الكريم على أبي عبد الرحمن السلمي وزر بن حبيش الأسدي، ومن الذين قرؤوا عليه، أبو بكر بن عياش وحفص بن سليمان والأعمش والمفضل بن محمد الضبي وحماد بن شعيب وغيرهم، توفي سنة سبع وعشرين ومئة للهجرة وقيل غير ذلك، انظر معرفة القراء، الذهبي، ج ١، ص ٧٣ وما بعدها، وغاية النهاية، ابن الجزري، ج ١، ص ٣٤٦ وما بعدها.

(٨) انظر اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، ص ١٣٨، ١٣٩.

(١) انظر في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص ٥٠.

(٢) النشر في القراءات العشر، ج ٢، ص ٣٥.

(٣) انظر تاج العروس، الزبيدي، ج ١٢، ص ٤٨٧ ولسان العرب، ابن منظور، ج ٤، ص ٥٢٧ مادة (ظهر).

(٤) مرشد المرید إلى علم التجويد، محمد سالم محيسن، ص ٤، المكتبة الثقافية، بيروت.

(٥) انظر تاج العروس، الزبيدي، ج ٣٢، ص ١٦١ وتهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهری، ج ٨،

ص ٧٨ مادة (دغم).

واصطلاحاً هو «اللفظ بحرفين حرفاً كالثاني مشدداً»^(١).

ومعنى ذلك أن تصل حرفاً ساكناً بحرف مثله متحرك من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف فيصيران لشدة اتصالهما كحرف واحد يرتفع اللسان عنهما رفعة واحدة شديدة فيصير الحرف الأول كالمستهلك لا على حقيقة التداخل والإدغام^(٢).

إن تعريف ابن الجزري للإدغام بكونه لفظ حرفين بحرف واحد مشدد دون حصره بتمائل الحروف إنما القصد من ورائه عدم تخصيص الإدغام بالتمائل من الحروف فالإدغام له ثلاثة أسباب:

١- التماثل وهو اتفاق الحرفين في مخرجهما وفي صفاتهما، فالحرف ذاته يتكرر، الأول ساكن والثاني متحرك^(٣)، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾^(٤).

٢- التجانس، هو اتفاق الحرفين في المخرج غير أنهما يختلفان في صفاتهما من جهر أو همس أو استعلاء^(٥).

وذلك نحو حرف الدال والتاء في قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ بَيَّنَّ الرُّشْدَ مِنَ الْغَيِّ﴾^(٦) فمخرج الدال والتاء مشترك وهو طرف اللسان، أما الصفات فالتاء صفتها الهمس^(٧)، بينما الدال حرف مجهور^(٨).

٣- التقارب: هو أن يتقارب الحرفان في المخرج، ويتفقان في بعض الصفات^(٩) ومثل ذلك التاء والطاء، فالأول حرف مهموس^(١٠) والثاني حرف

(١) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج ١، ص ٢٧٤ وانظر كفاية المرید في علم التجويد، محمد حافظ برانق، ص ٩، دار المنار ومكتبة فياض، مصر ١٩٧٧ وأحكام التجويد، يوسف علي بدوي، ص ١٤، ط. الأولى، ١٩٩١.

(٢) شرح المفصل، يعيش ابن يعيش، ج ١٠، ص ١٢١.

(٣) المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، محمد سالم محيسن، ص ٨٨.

(٤) سورة الفجر، الآية: ١٧.

(٥) المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، محمد سالم محيسن، ص ٨٨.

(٦) سورة البقرة، من الآية: ٢٥٦.

(٧) انظر سر صناعة الإعراب، عثمان بن جني، ج ١، ص ١٤٥.

(٨) المصدر السابق، ج ١، ص ١٨٥.

(٩) المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، محمد سالم محيسن، ص ٨٩.

(١٠) سر صناعة الإعراب، عثمان بن جني، ج ١، ص ١٤٥.

مجهور مستعل^(١)، فعند إدغام كلمة «يتطوع» تصبح «يَطْوَع» لتقارب الحرفين.

وبعد معرفة أسباب الإدغام يميل العقل إلى أصلية الإظهار لعدم احتياجه إلى أسباب توجده، وتبعية الإدغام حيث لا يكون إلا بوجود أحد أسبابه^(٢).

أما عن القبائل التي نسبت إليها كل من الظاهرتين، فيجد المتتبع أن الإدغام عرف لدى قبائل وسط شبه الجزيرة وشرقيها وهم تميم، طييء، أسد، بكر بن وائل، تغلب، وعبد القيس، وأن الإظهار كان منتشرأ بين قبائل غرب الجزيرة العربية وهي:

قريش، ثقيف، كنانة، الأنصار، هذيل^(٣).

وكل قاعدة لها بعض الاستثناءات، فالحجازيون مثلاً يدغمون في حال اتصال المضعف بواو الجمع أو ياء المخاطبة أو نون التوكيد نحو: «ردّوا، ردّي، رُدُّنَّ»^(٤) وبالمقابل فإن المضعف إذا اتصل بضمير رفع، فإن بعضاً^(٥) من قبائل وسط شبه الجزيرة وشرقيها يفكون الإدغام وينحون تجاه القبائل الحجازية من ناحية الإظهار^(٦).

وتبقى القاعدة العامة هي القياس المتبع في أغلب الأحيان - حيث تقتضي طبائع الأمور ذلك - وهي ميل قبائل البادية إلى السرعة في الكلام، بينما القبائل الحجازية المتحضرة تنسم بالتأني في الأداء، وإظهار كل حرف مع إعطائه حقه. أما القراء الذين عرفوا بالإدغام في أغلب قراءاتهم فهم أبو عمرو بن العلاء وحمزة والكسائي وابن عامر^(٧)، وهم يمثلون قراءات البيهتين الكوفية والشامية،

(١) المصدر السابق، ج ١، ص ٢١٧.

(٢) المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، محمد سالم محيسن، ص ٨٨.

(٣) انظر في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص ٦٣.

(٤) انظر شرح التصريح على التوضيح، خالد الأزهرى، ج ٢، ص ٤٠١.

(٥) وهم قبائل تميم وقد روى الخليل أن أناساً من بكر بن وائل وغيرهم لا يفكون الإدغام فيقولون رَدَّنْ وَيَرَدَّنْ، وَرُدَّنْ بالثشديد في الماضي والمضارع والأمر، وعبر السيرافي عن هذه اللغة بأنها رديثة منتشرة بين عوام أهل بغداد، كما نقل في شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الاسترأبادي، ج ٢، ص ٢٤٦.

(٦) المرجع السابق ج ٢، ص ٢٤٦.

(٧) هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم اليحصبي، يكنى بأبي عمران وقيل بأبي عامر وقيل بأبي نعيم، وقيل غير ذلك، أخذ القراءة عرضاً عن أبي الدرداء رضي الله عنه وعن المغيرة بن أبي شهاب =

وأما القراء الذين عرف عنهم الإظهار خلال قراءاتهم فهم: أبو جعفر^(١) ونافع وابن كثير وعاصم ويعقوب^(٢) وهؤلاء الأئمة يمثلون قراءات كل من البيئة الحجازية والكوفية والبصرية^(٣).

ويبقى أن أشير إلى فائدة الإدغام كما ذكرها موفق الدين ابن يعيش بأنه من أجل الخفة على اللسان^(٤) فالتقاء حرفين متماثلين أو متجانسين أو متقاربين يسبب ثقلاً في إظهارها، فيلجأ إلى تقريب الأصوات بعضها إلى بعض وتداخلها^(٥).

■ رابعاً: الإبتاع:

وهو لغة: مصدر للفعل أتبع يتبع - بتسكين التاء - وأتبعه الشيء، جعله له تابعاً^(٦). والإبتاع في الكلام مثل حسن بسن وقبيح شقيح وشيطان ليطان ونحوها^(٧).

أما اصطلاحاً: فهو مماثلة حركة لحركة أخرى مماثلة تامة^(٨).

وتعرض سيبويه لهذه الظاهرة الصوتية من لهجات القبائل العربية. وإبتاع حركة حرف بحركة حرف آخر إما أن يكون من خلال تأثير حركة حرف سابق على

^(١) المخزومي، كما روى القراءة عنه عرضاً أخوه عبد الرحمن بن عامر، وربيعه بن يزيد وجعفر بن ربيعة وغيرهم، ولد سنة ثمان للهجرة، وتوفي سنة ثمان عشرة ومئة من الهجرة. انظر معرفة القراء، الذهبي، ج ١، ص ٦٧ وما بعدها، وغاية النهاية، ابن الجزري، ج ١، ص ٤٢٣ وما بعدها.

(٢) هو يزيد بن القعقاع المدني، قرأ على ابن عباس وأبي هريرة وعبد الله بن عياش عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ، توفي سنة ثلاثين ومئة من الهجرة، انظر معرفة القراء، الذهبي، ج ١، ص ٥٨ وما بعدها.

(٣) يعقوب بن إسحاق الحضرمي، قال عنه ابن الجزري (كان يعقوب إماماً كبيراً وثقة عالماً صالحاً ديناً)، انتهت إليه رئاسة القراءة بعد أبي عمرو بن العلاء وكان إمام جامع البصرة لعدة سنوات توالى، قرأ على سلام بن أبي سليمان الطويل، ومهدي ابن ميمون، وغيرهما بسند صحيح عن النبي ﷺ، توفي سنة مئتين وخمسة من الهجرة.

انظر معرفة القراء، الذهبي، ج ١، ص ١٣٠ وما بعدها، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج ١، ص ١٨٦.

(٤) انظر النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج ٢، ص ٢١٠.

(٥) شرح المفصل، ج ١٠، ص ١٢١. (٥) المرجع السابق، ج ١٠، ص ١٢٤.

(٦) لسان العرب، ابن منظور، ج ٨، ص ٢٧ مادة (تبع).

(٧) تاج العروس، الزبيدي، ج ٢٠، ص ٣٨٠ مادة (تبع).

(٨) علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي، ص ٢٢٩.

لاحق أو العكس.

١- تأثير حركة الحرف اللاحق على ما قبله ومن ذلك:

كسر فاء الكلمة لكسرة العين: وذلك في الكلمات التي جاء وزنها على / فَعِيل / و/ فَعِل / تكسر الفاء إتباعاً لكسر العين إذا كانت الكلمة فعلاً أو اسماً أو صفة، عينها من حروف الحلق فيقال: لِثِيم- سَعِيد- شَهِيد- وَخِم- لِعَب- وَضِحَك. بكسر الفاء والعين لهذه الكلمات. وعلل سيبويه لذلك بتهييء الفاء لكسر العين وللخفة في اللفظ^(١).

غير أن هناك من لم يشترط كون العين من أحرف الحلق فقالوا كبير وكريم وجليل بكسر الفاء والعين^(٢).

أما عن أصحاب هذه الظاهرة فورد أنهم بنو تميم^(٣) وقيل لهجة لهذيل^(٤) وقيل عامة قيس وأسد^(٥) وقيل ربيعة^(٦) وقيل أيضاً سفلى مضر^(٧).

٢- تأثير حركة الحرف السابق على ما بعده، ومن ذلك:

كسر الثاني فيما قبله مكسور: وأكثر أمثلة هذا النوع تأتي في كسر نون حرف الجر «من» وذلك إتباعاً لحرف الميم السابق لها، إذ الأصل في حركة النون السكون، لكن العرب اعتادوا تحريكها بالفتح منعاً لالتقاء الساكنين. والفتح أخف الحركات على اللسان في هذا الموضع، كما هو حال الفتح في «أين» و«كيف». إلا أن الفتحة أبدلت بالكسر بهدف إتباع الثاني (النون) للأول (الميم)^(٨).

(١) الكتاب، ج٤، ص١٠٧، ١٠٨.

(٢) قول الليث نقله الإمام النووي في تحريره، نقلاً عن تاج العروس، الزبيدي، ج٨، ص٢٥٤، مادة (شهد).

(٣) انظر الكتاب، سيبويه، ج٤، ص١٠٧ وشرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الاسترأبادي، ج١، ص٤٠، وكتاب الكافية في النحو، عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب، شرح رضي الدين محمد بن الحسن الاسترأبادي، ج٢، ص٣١٢، ولسان العرب، ابن منظور، ج٤، ص٧١.

(٤) انظر الكتاب، سيبويه، ج٤، ص٤٤٠.

(٥) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج٧، ص٢٢٨ مادة (مخض).

(٦) انظر تاج العروس، الزبيدي، ج٨، ص٢٥٣ مادة (شهد).

(٧) شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، أحمد بن محمد الخفاجي، ص١٩٢، تحقيق محمد كشاش، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٨.

(٨) انظر الكتاب، سيبويه، ج٤، ص١٥٣، ١٥٤.

وأيضاً كسروا في مثل ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ لَكَ وَّلَدٌ وَوَرِثَةٌ أَبَوَاهُ فَلِأُولَئِكَ ثُلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأَيِّهِ السُّدُسُ﴾^(١) كسروا همزة «لامه» وذلك اتباعاً لكسرة اللام التي قبلها^(٢) وهي قراءة حمزة^(٣).

وقد نسبت لهجة كسر الحرف الثاني اتباعاً للحرف الأول، إلى كل من طييء وكتب^(٤) وهوازن وهذيل^(٥) وجميعها سكنت نجد^(٦).

فالإتباع ضرب من ضروب تأثر حركات الحروف المتجاورة بعضها ببعض، وهو بأنواعه مظهر من مظاهر الاتساق الصوتي.

المطلب الثاني

اختلاف لهجات القبائل من الناحية الصرفية

الصرف لغة: مصدر للفعل صَرَفَه يَصْرِفُه - بكسر العين - صرفاً فانصرف، وله معانٍ عدة منها:

الفضل والزيادة^(٧)، التقلب والحيلة^(٨)، والميل^(٩). ولعل المعنى الجامع لكل هذه التفسيرات هو كون أصل استعمال الصرف للتغيير^(١٠) ولرد الشيء عن وجهه^(١١).

أما اصطلاحاً فهو: جعل الكلمة على صيغ مختلفة لضروب من

- (١) سورة النساء، من الآية: ١١.
- (٢) انظر الكتاب، سيبويه، ج ٤، ص ١٤٦.
- (٣) انظر البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٣، ص ٥٤.
- (٤) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ١٣، ص ٤٢٢، وانظر تاج العروس، الزبيدي ج ٣٦، ص ٢١٦.
- (٥) قول الكسائي والفراء نقلاً عن البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٣، ص ٥٤٠.
- (٦) انظر معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، ج ٢، ص ٦٩٠، وج ٣، ص ٩٩١، وص ١٢٣١، ١٢٣٢، وص ١٢١٣، ١٢١٤.
- (٧) المحيط في اللغة، إسماعيل بن عباد، ج ٨، ص ١٢٧ مادة (صرف).
- (٨) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهرى، ج ١٢، ص ١٦١، وانظر تاج العروس، الزبيدي، ج ٢٤، ص ١٢ مادة (صرف).
- (٩) تاج العروس، الزبيدي، ج ٢٤، ص ١٢، مادة (صرف).
- (١٠) شذا العرف في فن الصرف، أحمد الحملاوي، ص ٢٥، تحقيق علاء الدين عطية، دار البيروتي دمشق، ط. الأولى ١٩٩٨.
- (١١) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ٩، ص ١٨٩ مادة (صرف).

المعاني^(١)، فكل كلمة لها أصل واحد يختص به وزنه، فعندما يصار إلى تحويل هذا الأصل إلى أمثلة مختلفة، عندئذ يعتمد إلى تصريفه، سواء لغرض لفظي - كالإبدال والإعلال والإدغام - أو لغرض معنوي كتحويل الكلمة إلى اسم فاعل أو مفعول أو صفة مشبهة أو تغيير المفرد إلى التثنية أو الجمع وهكذا.....

إن كثيراً من الموضوعات التي يدور حولها الصرف تبنى على قوانين صوتية مرجعها ذلك التأثير المتبادل بين الحروف حين تتألف ويتصل بعضها ببعض^(٢) وكما اختلفت لهجات القبائل العربية على الصعيد الصوتي فإنها تختلف على الصعيد الصرفي لبنية الكلمة أيضاً، سواء أكان ذلك في الأسماء والمشتقات أم في الأفعال.

وقد طرحت الكلمات التي سجلت في اختلاف لهجات العرب دون ذكر أوزانها^(٣) فلجأت إلى إيجاد الأوزان وملاحظتها في الأسماء والأفعال، وعزوها إلى أصحابها فيما ذكروا. أما اللهجات التي لم تنسب، فحاولت استنباطها مما يلي:

١- ما أثار عن الفراء^(٤) أنه قال: «ما ورد عليك من باب فَعَلَ يَفْعُلُ وَفَعَلَ يَفْعِلُ ولم تسمع له بمصدر فاجعل مصدره على الفَعْلُ أو على الفَعُول، الفَعْلُ لأهل الحجاز، والفَعُول لأهل نجد»^(٥) وهذا يساعد على نسبة ما جاء من مصادر لَفَعَلَ على فَعَلَ أو فَعُول.

(١) الممتع في التصريف، علي بن مؤمن ابن عصفور الإشبيلي، ج ١، ص ٣١، المطبعة العربية، حلب، ط. الأولى، ١٩٧٠.

(٢) اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، ص ١٥٨.

(٣) انظر المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، محمد سالم محيسن، ص ٧٦ وما بعدها، والقراءات وأثرها في علوم العربية، محمد سالم محيسن، ص ٢٣٧ وما بعدها، واللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، ص ١٥٩ وما بعدها.

(٤) يحيى بن زياد بن عبد الله المشهور بالفراء: ولد سنة مئة وأربع وأربعين هجرية في الكوفة، ثم انتقل إلى بغداد فعهدت إليه تربية ابن المأمون، وصف بأنه أمير المؤمنين في النحو، إضافة لكونه إمام الكوفيين، ومن المبالغات التي قيلت مدحاً فيه: لولا الفراء ما كانت اللغة، ولم يتوقف تبحره عند اللغة وحسب، بل كان فقيهاً متكلماً مائلاً نحو فكر المعتزلة توفي سنة مئتين وسبع هجرية، انظر الأعلام، الزركلي، ج ٨، ص ١٤٥، ١٤٦.

(٥) نقلاً عن ديوان الأدب، الفارابي، ج ٢، ص ١٣٩.

٢- كثرة استعمال القبيلة لصيغة ما ، تساعد على عزو ما جاء عليها إلى تلك القبيلة. فصحيح أن اللهجات لا تعرف الاطراد لكنها عرضة للتأثر والتأثير كما أن تعود اللسان على صيغة وحفاظه عليها يجعل انتفاء صفة من صفات لهجة قبيلة ما بالكامل أمراً صعباً ولو انتفت هذه الصفة عنها في لفظة أو لفظتين لكن لا يمكن انتفاؤها في جميع الألفاظ والأحوال.

٣- محاولة الاستعانة بالأسلوب الذي استعمله سيبويه في إيجاد أصحاب بعض اللهجات، فعلى سبيل المثال يقول: «وقالوا الفُقْر كما الضَّعْف،... وقالوا الفُقْر كما قالوا الضَّعْف»^(١).

فإذا تم التعرف على قائل «الضَّعْف» عُرف من يقول: «الفُقْر».

فهذا الأسلوب يمكن عزو ما لم يرد قائله من اللهجات العربية.

ومن الأمثلة التي رصدتها فيما يتعلق باختلاف لهجات القبائل على الصعيد

الصرفي ما يلي:

■ أولاً: في الأسماء والمشتقات والمصادر:

اختلفت لهجات القبائل على المستوى الصرفي في العديد من الكلمات، فالكلمة الواحدة تنطقها قبيلة على وزن معين، بينما تنطقها الأخرى على وزن مغاير للأول ومن تلك الأوزان:

١- فُعَل - بضم الفاء وسكون العين - فَعَل - بفتح الفاء وسكون العين - يقول سيبويه في ذلك: «قالوا ضَعُفٌ ضَعْفًا وهو ضعيف... ولغة للعرب الضَّعْف، كما قالوا: الظَّرْفُ وظريف والفقير وفقير»^(٢).

يتبين مما سبق أن هناك وزنين لمصدر كل من ضَعُف وفُقْر.

أما عن أصحاب كل لهجة، فقريش^(٣) وأهل الحجاز^(٤) ينطقون بهما على وزن فُعَل - بضم الفاء وسكون العين - أما تميم فتنطق بها على وزن فَعَل - بفتح

(١) الكتاب، ج٤، ص٣٣.

(٢) المصدر السابق، ج٤، ص٣١.

(٣) انظر القراءات وأثرها في علوم العربية، محمد سالم محيسن، ج١، ص٢٥٥، ٢٥٦.

(٤) انظر معاني القرآن، الفراء، ج١، ص٤٤٧.

الفاء وسكون العين^(١) - وقد وافق تميم كل من حمزة وعاصم في قراءتهم لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾^(٢).

٢- فَعَلَ - بفتح الفاء وسكون العين- فَعَلَ - بكسر الفاء وسكون العين- ومثل ذلك كلمة «حج»، فأهل نجد يكسرون فاء الكلمة، بينما يفتحها أهل العالية والحجاز وأسد^(٣) وقد وافقت قراءة كل من أبي جعفر وحمزة والكسائي وخلف^(٤) وحفص^(٥) لغة نجد بينما قرأ الباقر بفتح الفاء^(٦). وسواء بفتح الفاء أو كسرها، فإن هذه الكلمة مصدر لحجَّ يحج^(٧).

٣- فَعَلَ - بفتح الفاء وضم العين - فَعُول: ومن ذلك كلمة «رؤوف» على وزن فعول وهي لهجة أهل الحجاز^(٨).

وقد وافق هذه اللهجة كل من ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم في قراءتهم، بينما قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وعاصم- في رواية أخرى- وابن عامر رؤف على وزن فَعَلَ - بفتح الفاء وضم العين - في كل القرآن الكريم^(٩).

(١) انظر القراءات وأثرها في علوم العربية، محمد سالم محيسن، ج ١، ص ٢٥٥، ٢٥٦.

(٢) سورة الروم، الآية: ٥٤.

(٣) انظر القراءات وأثرها في علوم العربية، محمد سالم محيسن، ج ١، ص ٢٣٧.

(٤) خلف بن هشام بن ثعلب البزار ولد سنة خمسين ومئة، وحفظ القرآن الكريم وهو ابن عشر سنوات، وابتدأ في طلب العلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة، كان إماماً كبيراً وعالمياً فاضلاً عابداً ثقة، قرأ على يعقوب الأعشى، وسعيد بن أويس وغيرهما بسند صحيح عن النبي ﷺ، توفي سنة تسع وعشرين ومئتين من الهجرة، انظر معرفة القراء، الذهبي، ج ١، ص ١٧١ وما بعدها، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج ١، ص ١٩١.

(٥) هو حفص بن سليمان بن المغيرة الكوفي، قرأ على عاصم كثيراً بل لازمه مدة طويلة إذ إنه ابن زوجته، ولد سنة تسعين، وتوفي سنة ثمانين ومئة للهجرة، وصف بضبطه للحروف التي قرأ بها عن عاصم وقد أقرأ الناس دهرأ، أما القراءة التي أخذها عن عاصم، فترتفع إلى سيدنا علي رضي الله عنه. انظر معرفة القراء، الذهبي، ج ١، ص ١١٦، ١١٧، وغاية النهاية، ابن الجزري، ج ١، ص ٢٥٤.

(٦) انظر النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج ٢، ص ٢٤١.

(٧) انظر القراءات وأثرها في علوم العربية، محمد سالم محيسن، ج ١، ص ٢٣٧.

(٨) انظر الحجة للقراء السبعة، أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي، ج ٢، ص ٢٣٠.

(٩) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع وحججها، مكّي بن أبي طالب، ج ١، ص ٢٦٦، =

وقد ذكر صاحب كتاب «اللهجات العربية في القراءات القرآنية» أن ابن كثير ونافع قد قرأ بإثبات الواو بعد الهمزة في بداية حديثه عن قراءات هذا الوزن، غير أنه ذكر بعد ذلك أن ابن كثير ونافع كانت قراءتهما على وزن «فعل»^(١) وبذلك يكونان قد مثلا لهجة بيتهما الحجازية.

ولعل ذلك مرده إلى خلط بين المعلومات، عرفت ذلك بعد الرجوع إلى كتاب «الكشف عن وجوه القراءات السبع» و«النشر في القراءات العشر» فتبين أن قارئ الحرمين كانت تلاوتهما لرؤوف على وزن «فعل»^(٢).
وسواء أكانت كلمة رؤوف على وزن «فعل» أو «فعلول» فإنها من صيغ المبالغة^(٣).

٤ - فعال - بضم الفاء وفتح العين - فعال - بضم الفاء وتشديد العين - وذلك ككلمة «عجاب» و«كبارا» بتشديد العين في كلتا الكلمتين، هي لهجة إحدى القبائل اليمانية^(٤) تسمى بقبيلة أزد شنوءة^(٥)، كما أنها لهجة لبني أسد المنتشرة بين وسط شبه الجزيرة وشرقيها^(٦).

وبالانتقال إلى تلاوة القراء، فالجمهور على تخفيف عين «عجاب» في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾^(٧) بينما شددوا عَيْن «كبارا» في قوله تعالى حكاية عن معاناة سيدنا نوح عليه السلام مع قومه فقال: ﴿وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا كَبِيرًا﴾^(٨) وقد قرأ آخرون بعكس ذلك^(٩) ففاء الكلمة في «عجاب» و«كبارا» مضمومة، ومما لا

واللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، ص ١٧١. والنشر في القراءات العشر،

ابن الجزري، ج ٢، ص ٢٢٣.

(١) انظر عبده الراجحي، ص ١٧١، ١٧٢.

(٢) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع، مكّي بن أبي طالب، ج ١، ص ٢٦٦، والنشر في

القراءات العشر، ابن الجزري، ج ٢، ص ٢٢٣.

(٣) انظر اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، ص ١٧١.

(٤) هو قول عيسى بن عمر نقلاً عن تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ١٠، ص ٢٨٥.

(٥) قول مقاتل نقلاً عن تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٩، ص ١٣٨.

(٦) انظر اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، ص ١٧٢.

(٧) سورة ص، من الآية: ٥. (٨) سورة نوح، الآية: ٢٢.

(٩) قراءة علي والسلمي وعيسى وابن مقسم بتشديد العين في (عُجَاب) بينما قرأ ابن محيصن وأبو

السماط بتخفيف العين في (كباراً) انظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٩،

ص ١٣٨، وج ١٠، ص ٢٨٥.

شك فيه أن فُعَال - بتشديد العين - أبلغ من المخفف^(١).

٥ - فَعَل - بفتح الأول وسكون الثاني - فعول - بفتح الأول وضم الثاني - وقد نسب «ديوان الأدب» هذين الوزنين لأهلها قائلاً: «ما ورد عليك من باب فَعَل يفعل وفَعَل يفعل ولم تسمع له بمصدر فاجعل مصدره على الفَعْل أو الفَعول. الفعل لأهل الحجاز والفعول لأهل نجد»^(٢).

فمصدر كل من سكت ووثب وهدأ:

سَكْتًا، ووثبًا، وهدأ - بسكون فائها - لهجة أهل الحجاز.

سكوتًا - ووثبًا - هدوءًا - لهجة أهل نجد^(٣).

٦ - فُعَل - بضم الفاء و سكون العين - فُعَل - بكسر الفاء و سكون العين -:

يقول سيبويه في كتابه: «وقالوا للمرأة حَصْنَتٌ حُصْنًا وقالوا حِصْنًا كما قالوا علمًا و قالوا حُصْنًا مثل قولهم جنبًا»^(٤).

أما وزن فُعَل - بضم الفاء و سكون العين - ورد أن هذا الوزن لقريش، وأهل الحجاز فأغلب الظن أن حصن - بضم الفاء - تماثل فقر - بضم الفاء أيضا - عند الحجازيين و قريش منهم، أما حصن - بكسر الفاء - فقد أوردتها بعض المعاجم^(٥) لكن دون أن تنسبها إلى أحد من القبائل.

والأرجح أنها لسان القبائل البدوية، وليس ذلك بعيد حيث أوردت آفا وزن فعل - بكسر الفاء و سكون العين - من الصيغ المتداولة بين قبائل نجد.

■ ثانيًا: في الأفعال:

١- تَفَعَّل - بضم الأول وفتح الثاني وتشديد الثالث - تَفَاعَلَ - بضم أوله -:

يقول أهل الحجاز «تصاعر»، بينما تذهب لهجة تميم إلى تشديد العين فينطقونها «تصعر»^(٦) و لعل هذا يؤكد ما مرّ سابقاً من ميل التميميين إلى

(١) انظر المرجع السابق ج ٩، ص ١٣٨، وج ١٠، ص ٢٨٥.

(٢) هو قول الفراء، نقلاً عن إسحاق بن إبراهيم الفارابي، ج ٢، ص ١٣٩.

(٣) انظر الكتاب، سيبويه، ج ٤، ص ٩، ١٥. (٤) الكتاب، ج ٤، ص ٣٦.

(٥) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ١٣، ص ١٢٠. وتاج العروس، الزبيدي، ج ٣٤، ص ٤٣٨ مادة (حصن).

(٦) انظر الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي، ج ٥، ص ٤٥٥.

الإدغام^(١).

أما القراء الذين قرأوا بلهجة تميم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾^(٢) فهم عاصم و ابن عامر و ابن كثير - مع أنه مكّي - بينما قرأ باقي السبعة^(٣) بلهجة أهل الحجاز^(٤) وهي: «ولا تصاعر».

٢- يفعل - بفتح الأول وكسر ما قبل الآخر - يفعل - بفتح الأول وضم ما قبل الآخر - الوزن الأول لهجة أهل الحجاز في كلمة «يبطش» بينما الوزن الثاني لهذه الكلمة هو لهجة تميم^(٥).

وقد وافقت قراءة الجمهور^(٦) لهجة أهل الحجاز في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبِطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْقِمُونَ﴾^(٧) بينما قرأ آخرون بما يتوافق مع تميم^(٨).

٣- فعل - بفتحيتين - فعل - بكسر العين - يمثل الاختلاف في هذين الوزنين كلمة «عرض» فلهجة تميم تنحو نحو الوزن الأول بينما ينطق بها أهل الحجاز على الوزن الثاني^(٩).

٤- قل - بفتح الفاء وحذف العين - افعل :

أمر الفعل الثلاثي / سأل/ عند الحجازيين «سل» بوزن «قل» بينما الأمر لهذا الفعل الثلاثي عند التميميين «إسأل»^(١٠).

٥- فعل - بفتح الأول والثاني - أفعل - بفتح الأول وسكون الثاني وفتح ما قبل الآخر.

(١) انظر الفصل الثاني في هذه الأطروحة ص ١١٥.

(٢) سورة لقمان، من الآية: ١٨

(٣) تجدر الإشارة إلى أن القراء السبعة هم: أبو عمرو بن العلاء، ابن كثير، نافع، ابن عامر، عاصم، حمزة، الكسائي.

(٤) انظر الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي، ج ٥، ص ٤٥٥.

(٥) انظر المزهري، السيوطي، ج ٢، ص ٢٧٥.

(٦) انظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٩، ص ٤٠٠.

(٧) سورة الدخان، الآية: ١٦.

(٨) وهم الحسن وأبو جعفر، انظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٩، ص ٤٠٠.

(٩) انظر المزهري، السيوطي، ج ٢، ص ٢٧٦.

(١٠) انظر المزهري، السيوطي، ج ٢، ص ٢٧٦.

اتخذ لسان أهل الحجاز الوزن الأول في كلمة «فتن»^(١)، بينما نطق كل من أهل نجد^(٢) وربيعة وتميم وقيس^(٣) بالوزن الثاني.

ولعل هذه القبائل اتخذت الوزن أفعل من قبيل تفضيلها صوت الهمزة.

وقد قرأ^(٤) «تفتني» بضم التاء الأولى في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَكْفُرُ أَتَدْنٰ لِي وَلَا نَفْتِنِي﴾^(٥)، وهي من أفتن.

وبعد الاقتصار على بعض الأمثلة من اختلاف لهجات القبائل من حيث المستوى الصرفي تبين أن:

أوزان القبائل الحجازية في الأسماء هي: فُعَل - فَعَلَ - فُعَال.

وأوزانهم في الأفعال: تُفَاعِل - يَفْعِل - فَعَلَ - قَل.

أما النجديون فقد استعملوا الأوزان التالية في الأسماء: فُعَل - فَعَلَ - فُعُول - فُعَال.

وكانت لهم في الأفعال هذه الأوزان: تُفَعَّل - يَفْعُل - فَعِل - إِفْعَل - أَفْعَل.

■ ومن ذلك يتضح أمران:

- عدم اختصاص القبائل الحجازية أو النجدية بوزن من الأوزان ما خلا بعض كلمات معينة، فهم وإن كانوا يشتركون في بعض الأوزان، غير أن ذلك في مفردات وكلمات مختلفة.

- عدم وجود قاعدة مطردة ثابتة تعرف من خلالها التركيبات الصرفية للهجات القبائل غير أن الظاهرة العامة تشير إلى ميل القبائل المتحضرة نحو التاني، وتحقيق الأصوات في الكلام، بينما تسرع القبائل البدوية في نطقها.

(١) انظر معاني القرآن، يحيى بن زياد الفراء، ج ٢، ص ٣٩٤، عالم الكتب، بيروت، ط. الثالثة ١٩٨٣، وتفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٤، ص ٤٨.

(٢) انظر معاني القرآن، الفراء، ج ٢، ص ٣٩٤.

(٣) انظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٤، ص ٤٨.

(٤) قراءة عيسى بن عمرو، وابن السميع، وقد قال ابن مجاهد أن إسماعيل المكي قد قرأ بذلك أيضاً، انظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٥، ص ٤٣١.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٤٩.

المطلب الثالث

اختلاف لهجات القبائل في أصل الاشتقاق

عندما أخذت حاجات الإنسان تتسع تبعاً للتدرج في سلم الحضارة، كان عليه أن يسعى دائماً إلى ابتكار كلمات جديدة ليوفق بين لغته والتطور الذي تشهده حياته ولم تكن عملية الإيجاد والابتكار هذه يسيرة دائماً، لذا كان عليه أن يولد كلمات مقيسة على كلمات مشابهة أو مشتقة منها حين يضطر إلى ذلك. ومن هنا فإن عملية الاشتقاق مرحلة من مراحل نمو اللغة إذ هي حادثة لم تنشأ مع بداية نشأة اللغة.

الاشتقاق في اللغة: لقد وضح المعنى لأصل استخدام هذه الكلمة في معجم مقاييس اللغة عندما قال: «الشين والقاف أصل واحد صحيح، يدل على انصداع في الشيء ثم يحمل عليه ويشق منه على معنى الاستعارة»^(١).

فكان المراد من هذه الكلمات الإخبار بأن للشق معنيين، أحدهما المتصل بالصدع في الأشياء وهو الحقيقي، والثاني خاص بالكلام على سبيل الاستعارة وهو مجازي، وقد تطرقت معاجم اللغة إلى كلا النوعين، فجاء في لسان العرب: «اشتقاق الكلام الأخذ فيه يمينا وشمالا، واشتقاق الحرف من الحرف: أخذه منه، ويقال شقق الكلام إذا أخرجه أحسن مخرج»^(٢).

وورد في تاج العروس الاشتقاق أخذ شق الشيء وهو نصفه كما في العباب والاشتقاق بنیان الشيء من المرتجل^(٣).

وقال في القاموس: «الاشتقاق أخذ شق الشيء، والأخذ في الكلام وفي الخصومة يمينا وشمالا، وأخذ الكلمة من الكلمة»^(٤).

أما الاشتقاق اصطلاحاً فهو كون إحدى الكلمتين مأخوذة من الأخرى أو كونهما مأخوذتين من أصل واحد^(٥).

(١) أحمد بن فارس بن زكريا، ج ٣، ص ١٧٠.

(٢) ابن منظور، ج ١٠، ص ١٨٤ مادة (شقق).

(٣) الزبيدي، ج ٢٥، ص ٥٢٢ مادة (شقق).

(٤) الفيروز آبادي، ج ٢، ص ١١٩٣.

(٥) شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الاسترأبادي، ج ٢، ص ٣٣٤.

ومعنى ذلك وجود مشاركة بين اللفظين في المعنى والحروف والأصول، مع تغيير ما. أما المشاركة في المعنى فلأنهم لا يجعلون الوجد والموجود من باب الاشتقاق، وأما المشاركة في الحروف الأصول فلأنهم لا يقولون أن الكاذب والمائن من أصل واحد، وأما التغيير من وجه فلا بد منه وإلا كان هو إياه^(١). واختصاراً لذلك يمكن القول أن الاشتقاق هو أخذ كلمة من كلمة أو أكثر مع توافق بين المأخوذ منه والمأخوذ في اللفظ والمعنى^(٢).

ومقارنة مع المعنى الاصطلاحي للصرف الذي هو جعل الكلمة على صيغ مختلفة لضروب من المعاني^(٣)، فإن ذلك يعني أن التغيير الذي يحدثه التصريف حاصل في بنية اللفظ بقصد إثراء اللغة ووضع معيار تقاس به ألفاظ على أخرى. وانطلاقاً من ذلك فإن الإشتقاق أعم من الصرف، وأشمل منه، ومن هنا فإن الجامد ليس نقيضاً للمشتق بل نقيض أخص وأضيق من المشتق ألا وهو المتصرف، ودليل ذلك وصف بعض الأفعال المشتقة كعسى^(٤) وليس ودام^(٥) بأنها جامدة.

أنواع الإشتقاق:

ينقسم الإشتقاق إلى أربعة أقسام:

١- الإشتقاق الصغير: يسمى الإشتقاق بالصغير عندما يصار إلى انتزاع كلمة من أخرى مع اتفاق في الأحرف الأصلية وفي ترتيبها، لكن يغير في الصيغة ويبقى التشابه بينهما في المعنى قائم، ومن ذلك اشتقاق ضارب ومضروب ومضرب وتضارب من ضرب وهذا النوع من الإشتقاق هو الذي سأذكر له الأمثلة في الجانب التطبيقي من هذا المبحث، نظراً لقيام القسم الأكبر من متن العربية عليه^(٦).

(١) الأشباه والنظائر في النحو جلال الدين السيوطي، ج ١، ص ١٤٠، تحقيق عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الأولى، ١٩٨٥.

(٢) الإشتقاق، عبد الله أمين، ص ١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط. الأولى ١٩٥٦.

(٣) الممتع في التصريف، ابن عصفور، ج ١، ص ٣١.

(٤) النحو الوافي، عباس حسن، ج ١، ص ٥٦٣، دار المعارف، مصر، ط. الثالثة.

(٥) المرجع السابق، ج ١، ص ٥١٣، ٥١٤.

(٦) انظر فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، ص ١٧٨، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة.

٢- الاشتقاق الكبير: يطلق على الاشتقاق هذا الاسم بعد انتزاع كلمة من أخرى مع اتفاقهما في الأحرف وتشابههما في المعنى إلا أن ترتيب بعض حروف كل من الكلمتين يختلف، ويقابل هذا النوع من الاشتقاق ما يدعى بالقلب اللغوي، تميزا له عن القلب الصرفي القائم على إبدال حروف العلة. وأكثر ما يكون هذا النوع من الاشتقاق في الكلمات الثلاثية الأصول نحو: جذب، وجذب، حمد ومدح.

٣- الاشتقاق الأكبر: يسمى الاشتقاق بالأكبر بعد المقارنة بين الكلمتين، فإذا لوحظ أن تغييرا قد حصل في بعض الحروف وتشابهاً في المعنى قائم بينهما مع اتفاق في الأحرف الثابتة وفي مخارج الأحرف التي اختلفت في الكلمتين أو في صفاتهما أو فيهما معاً، فعندئذ يطلق عليه الاشتقاق الأكبر، ويقابل هذا النوع من الاشتقاق الإبدال اللغوي، وذلك مثل الرجز والرجس.

٤- الاشتقاق الكُبَّار: يتميز هذا النوع عما سبقه بكونه أخذ كلمة من كلمتين أو أكثر، مع تناسب بين المشتق والمشتق منه في اللفظ والمعنى، ويعدّ النحت هو المقابل لهذا النوع من الاشتقاق وذلك نحو، الحوقلة من لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، الحيهلة من حي على الفلاح.

واختلف في تسمية هذه الأنواع من الاشتقاقات، فمنهم من يسمي الصغير بالأصغر^(١) والأكبر بالكبير^(٢) والكُبَّار بالكُبَّار^(٣).

لكن هذه الأسماء هي الأكثر شيوعاً في بطون أغلب الكتب التي تناولت هذا الموضوع^(٤).

(١) انظر البلغة في أصول اللغة، محمد صديق حسن خان القنوجي، ص ١٩٨، تحقيق نذير مكتبي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط. الأولى، ١٩٨٨، والمزهر، السيوطي، ج ١، ص ٣٤٧.

(٢) المصدران السابقان.

(٣) الاشتقاق، عبد الله أمين، ص ٢.

(٤) انظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن محمد المعروف بابن الأثير، ج ٢، ص ٣١٩، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٩٠، ومفتاح العلوم، يوسف بن محمد بن علي السكاكي، ص ٤٨، ٤٩. وفقه اللغة، محمد المبارك، ص ٦٧. ٩١، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، وفقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، ص ١٨٠، والاشتقاق، عبد الله أمين، ص ١، ٢، ودراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، ص ١٨٦.

لقد حصر صاحب المزهرة التغييرات التي تتم بين المشتق والمشتق منه بخمسة عشر تغييراً، وهي على أنواع^(١):

أولاً: حصول زيادة بينهما دون نقصان، والزيادات هي:

١- زيادة حركة نحو: عَلِمَ- بفتح الفاء وكسر العين- وَعِلْمٌ- بكسر الفاء وسكون العين- ولعله لو أطلق تغيير حركة كان أكثر دقة من إطلاق زيادة حركة، لأن الحركة دائماً تكون ملازمة للحرف، ولا زيادة لحرف في المثل المطروح ليقال بزيادة الحركة.

٢- زيادة مادة: كطالب- بفتح العين- وطلب- بفتح الفاء والعين- فزيادة الألف ظاهرة بيّنة.

٣- زيادة مادة وحركة وذلك مثل ضارب- بكسر العين- وضرب- بسكون العين- فالألف في الفاعل قد زيدت كما أن الكسرة قد زيدت على عين الكلمة.

ثانياً: حصول نقصان بين المشتق والمشتق منه دون زيادة:

١- نقصان حركة: وذلك نحو الغُرس- بسكون العين- والغرس- بفتح الفاء والعين^(٢).

٢- نقصان مادة: من ذلك نقصان حرف الألف من ثبت مقابل كلمة ثبات.

٣- نقصان مادة وحركة: نحو نَزَوُ نَزَوَان.

ثالثاً: زيادة مع نقصان: وذلك كزيادة مادة وحركة في مواضع وحذفها في مواضع أخرى، كما حدث في كلمة استنوق من الناقة.

رابعاً: تغاير حركتين نحو بطر- بفتح الفاء وكسر العين - بطراً- بفتح الفاء والعين-.

خامساً: نقصان وزيادة، ويتنوع هذا القسم في تناوب كل الحروف والحركات بين النقص والزيادة:

١- نقصان حركة وزيادة مادة: ومن ذلك غَضَبِي - على وزن فَعْلِي - بفتح

(١) انظر السيوطي، ج ١، ص ٣٤٨، ٣٤٩.

(٢) الغُرس: بفتح عين الكلمة أو تسكينها، ما يدل على الثبات والاستقرار ومنه غرس الشجر أي تشييته في التراب، انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ٦، ص ١٥٤ مادة (غرس).

الحاء وسكون العين- وغضِب - بكسر العين -.

٢- نقص مادة وزيادة حركة: نحو حرم-بفتح الفاء والعين- وحرمان-بكسر الفاء وسكون العين-.

٣- نقصان حركة وزيادة حرف وحركة: وذلك في أمر الثلاثي الصحيح نحو: ادرس واكتب من درس وكتب.

٤- نقصان مادة وزيادة أخرى: من ذلك راضع- على وزن فاعل- والرضاعة.

٥- نقص مادة مع زيادة حرف وحركة: ومن ذلك، قال من القول.

٦- نقص حركة وحرف لكن التعويض بحركة وحسب، نحو جد- بحذف الفاء وكسر العين- من وجد.

٧- نقصان حركة وحرف، والتعويض بحرف كفاخر- بفتح العين- من الفخار- بفتح الفاء والعين- فقد نقصت ألف وزيدت ألف وفتحة.

وقبل الانتقال إلى الجانب التطبيقي من هذا المبحث، أشير إلى أن الصرفيين حددوا ستة أبواب، تأتي الأفعال الثلاثية على وزن واحدة من هذه الأبواب، وحددوا لكل واحد خصائصه وطرائقه، وكان ترتيبها بحسب كثرتها في الكلمات على الشكل التالي^(١):

١- فَعَل يفعل نحو: نصر ينصر.

٢- فَعَلَ يفعل نحو: ضرب يضرب.

٣- فَعَلَ يفعل نحو: فتح يفتح.

٤- فَعِل يفعل نحو: فرح يفرح.

٥- فَعُل يفعل نحو: كرم يكرم.

٦- فَعِل يفعل نحو: حسب يحسب.

إلا أنه قد وردت بعض الأفعال التي لا تنطوي تحت هذه الأبواب، فوصفت بأنها أفعال ذات صيغ شاذة أحياناً أو أفعال ذات لهجات لها طابعها اللساني الخاص بها.

(١) انظر شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الاسترأبادي، ج ١، ص ١٣٧ وما بعدها، والممتع في التصريف، علي بن مؤمن بن عصفور، ج ١، ص ١٧٣ وما بعدها.

وبالانتقال إلى الجانب التطبيقي لهذا المبحث، سأعرض بعضاً من الكلمات التي سجل اختلاف اللهجات فيها على المستوى الاشتقائي، ذاكراً أصحاب هذه اللهجات ومن ثم أحاول إيجاد الأصل الاشتقائي لكل منها:

١- يعكف: لهجة أسد تكسر عين الفعل بينما تفتحها لهجات باقي القبائل العربية، ويرجع منشأ هذا الخلاف إلى أصل اشتقاق الفعل، فبنو أسد يقولون عكف يعكف- بفتح العين في الماضي وكسرهما في المضارع- من باب ضرب، بينما أصله عند باقي العرب من عكف يعكف - بفتح العين في الماضي وضمها في المضارع - من باب نصر^(١)، وعكف يعكف ويعكف

عكفاً وعكوفاً: الإقبال على الشيء ولزومه دون صرف الوجه عنه^(٢).

وقد انعكس هذا الخلاف على تلاوة القراء، فحمزة والكسائي وأبو عمرو في رواية، قرأوا بكسر الكاف، بينما تلا ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر بضم الكاف^(٣) في قوله تعالى: ﴿وَجَنُوزًا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَانِ لُهُمْ^(٤)﴾.

٢- يسحت: تمثل الخلاف في هذه الكلمة بين لهجتين، الأولى تضم الياء وتكسر العين، وقد نطق بذلك لسان نجد وتميم، والثانية تفتح الياء والعين- وهي لهجة الحجازيين- وبعد البحث عن منشأ هذا الاختلاف، تبين أنه يُنظر فيه إلى أصل الاشتقاق، فالنجديون والتميميون عدّوا أن الماضي لهذا الفعل هو أسحت بينما عدّ الحجازيون أن الماضي ليسحت- بفتح الياء والعين- هو سحت^(٥).

والمعنى الذي تدلي به هذه الكلمة هو الاستئصال، فسحت رأسه سحتاً وأسحته استأصله حلقاً، والمال إذا أسحته فهو استأصله وأفسده^(٦).

أما قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُمُ مُوسَىٰ وَيَلَكُمْ لَا تَقْتُلُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحَتَكُمْ

(١) انظر المقتبس من اللهجات العربية، محمد سالم محسن، ص ٦٨

(٢) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ٩، ص ٢٥٥ مادة (عكف).

(٣) انظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الاندلسي، ج ٥، ص ١٥٧، والحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي، ج ٤، ص ٧٤.

(٤) سورة الأعراف، من الآية: ١٣٨.

(٥) انظر المقتبس من اللهجات العربية، محمد سالم محسن، ص ٦٩.

(٦) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ٢، ص ٤١ مادة (سحت).

بِعَذَابٍ وَقَدْ حَابَ مِنْ أَفْتَرَى ﴿٦٦﴾^(١) فقد قرأ «فِيُسِحِّتِكُمْ» كل من حمزة والكسائي وحفص على لهجة نجد وتميم، بينما تلا باقي السبعة على لهجة الحجازيين.^(٢)

٣- يقنط : تباينت لهجة أهل الحجاز وأسد مع لهجة سائر العرب في هذه الكلمة، فهي مضارع للفعل قنط، وعند الحجازيين وأسد يقال قنط يقنط من باب «ضرب» بينما لهجة الباقيين من

العرب تلفظ بها على أنها من باب «فتح»^(٣) وهي تدل على اليأس وبلوغ أقصى حالاته^(٤).

والاختلاف في أصل اشتقاق هذا الفعل أدى إلى اختلاف بين القراء في قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾^(٥) فأبو عمرو والكسائي ويعقوب وخلف قرأوا/ يقنط/ - بكسر العين^(٦) - وباقي السبعة بفتحها، وتلا آخرون بضم العين^(٧).

وقراءة ضم العين لكلمة / قنط/ في المضارع من باب /نصر/.

٤- يبشرك: إن الحجازيين يضمون حرف المضارعة ويفتحون الفاء ثم يكسرون العين المشددة في هذه الكلمة، بينما ينطق لسان تهامة بها بفتح ما ضمه الحجازيون وتسكين ما فتحوه وضم ما كسروه دون تشديد^(٨).

وسبب هذا الاختلاف يعود إلى أصل اشتقاق هذا الفعل، فعند التهاميين بَشَّر- بفتح العين- يبشُر- بضم العين- بَشَّرًا- بتسكين العين في المصدر- أما الحجازيون فبَشَّر يبشُر- بتشديد العين- تبشيراً^(٩).

(١) سورة طه، الآية: ٦٦.

(٢) انظر تفسير البحر المحیط، أبو حيان الأندلسي، ج٧، ص٣٤٩، والحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي، ج٥، ص٢٢٨، ٢٢٩.

(٣) انظر المقتبس من اللهجات العربية، محمد سالم محيسن، ص٦٩.

(٤) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج٧، ص٣٨٦ (مادة قنط).

(٥) سورة الحجر، الآية: ٥٦.

(٦) انظر القراءات وأثرها في علوم العربية، محمد سالم محيسن، ص٢٣٢.

(٧) انظر تفسير البحر المحیط، أبو حيان الأندلسي، ج٥، ص١٥٦.

(٨) انظر المقتبس من اللهجات العربية، محمد سالم محيسن، ص٧٠.

(٩) انظر الكشف عن وجوه القراءات، مكي بن أبي طالب، ج١، ص٣٤٤، ولسان العرب، ابن منظور، ج٤، ص٦٢. مادة (بشر).

والمعنى بالتشديد أو التخفيف سواء، يفيد الإخبار بما يسر القلوب ويريح النفوس، فيؤدي إلى انبساط بشرة الإنسان وتغيرها^(١).

وقيل^(٢) إن في بشر ثلاث لغات: بشر- بالتشديد- بشر- بالتخفيف- وأبشر يُبشِّر- بكسر الشين- إبطاراً، وبشَّرَ يَبشِّر - بضم الشين-بشراً- بفتح الباء- وبشوراً- بضم الباء والشين- يقال: أتاك أمر بشرت به وأبشرت به في معنى بشرت به - بالتشديد- ومنه: ﴿وَأَبشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾^(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ يَبشِّرُكَ بِخَيْرٍ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٤) قرأ كل من ابن كثير وأبو عمرو ونافع وابن عامر وعاصم على لهجة الحجازيين، أما حمزة والكسائي فقد توافقت قراءتهم لهذا الفعل مع لسان تهامة^(٥).

٥- يعرش: عرش يعرش- من باب «ضرب» - هي لهجة الحجاز^(٦)، وبالتالي لهجة الباقيين من العرب من باب «نصر» ودلالة هذا الفعل تشير إلى بناء العريش^(٧) من الخشب^(٨) والعريش هو الخيمة المكونة من الخشب^(٩).

وفي قوله تعالى: ﴿وَدَدَّمَرْنَا مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾^(١٠)، قرأ عاصم وابن عامر بضم عين الفعل - وهو الرءاء - في «يعرشون» أما باقي السبعة وآخرون^(١١) فقرأوا على لسان أهل الحجاز، وهو الأفتح^(١٢).

- (١) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ٤، ص ٦٢ مادة (بشر).
- (٢) قول أبي الحسن الأخفش، نقلاً عن الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي، ج ٣، ص ٤٢.
- (٣) سورة فصلت، من الآية: ٣٠.
- (٤) سورة آل عمران، من الآية: ٣٩.
- (٥) انظر الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي، ج ٣، ص ٤١.
- (٦) انظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٥، ص ١٥٦.
- (٧) انظر تاج العروس، الزبيدي، ج ١٧، ص ٢٥٧ مادة (عرش).
- (٨) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ٦، ص ٣١٥ مادة (عرش).
- (٩) انظر تاج العروس، الزبيدي، ج ١٧، ص ٢٥٦ مادة (عرش).
- (١٠) سورة الأعراف، من الآية: ١٣٧.
- (١١) الحسن ومجاهد وأبو رجاء، انظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي ج ٥، ص ١٥٦.
- (١٢) انظر المرجع السابق، ج ٥، ص ١٥٦.

٦- يحسب: مضارع حَسِبْتُ- بكسر العين- أحسبه- بكسر العين أو فتحها^(١) أو ضمها^(٢)- حُسَاباً وحِسَابَاناً- بضم الفاء أو كسرهما - ومحسُبة - بكسر العين أو فتحها- أي ظنته^(٣).

وقد سجل في باب السالم مجيء أفعال على وزن حسب يحسب- بكسر العين في الماضي والمضارع- ومن ذلك: حسب، يبس، يئس، نعم، غير أن الغالب مجيء عين الفعل المكسورة في الماضي مفتوحة في المضارع نحو علم يعلم^(٤). وهو القياس.

والخلاف في أصل اشتقاق / حسب/ أدى إلى تباين في لهجات القبائل العربية فتميم اختارت فتح عين الفعل في المضارع - وذلك من باب فرح- بينما لهجة أهل الحجاز تكسر العين في المضارع^(٥)، وقيل هو الأجود^(٦).
أما قوله تعالى: ﴿يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْفِيفِ﴾^(٧) فقد قرأ كل من ابن عامر، وعاصم وحمزة بفتح العين، أما باقي القراء السبعة فقد قرأوا بكسرها^(٨).

٧- مَّتَمَّ: اختلف في فاء هذه الكلمة أهي مضمومة أم مكسورة؟

يضم سفلى مضر الميم من هذه الكلمة بينما يكسرها الحجازيون^(٩) ومرد هذا الاختلاف إلى أصل اشتقاق الفعل، فأصله عند من يضم من موت- بفتح الفاء والعين - ويتحرك الواو وانفتاح ما قبلها قلبت إلى ألف فأصبحت مات يموت نحو قام يقوم من باب / نصر/.

(١) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ١٠، ص ٣١٥ وتهذيب اللغة، الأزهرى ج ٤، ص ٣٣١ مادة (حسب).

(٢) انظر تاج العروس، الزبيدي، ج ٢، ص ٢٦٧ مادة (حسب).

(٣) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ١، ص ٣١٥، وتهذيب اللغة، الأزهرى، ج ٤، ص ٣٣١ مادة (حسب).

(٤) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ١، ص ٣١٥ مادة (حسب).

(٥) انظر المقتبس من اللهجات العربية، محمد سالم محيسن، ص ٧٥.

(٦) قول الفراء، نقلاً عن تهذيب اللغة، الأزهرى، ج ٤، ص ٣٣١ مادة (حسب).

(٧) سورة البقرة، من الآية: ٢٧٣.

(٨) تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٢، ص ٦٩٧.

(٩) انظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٣، ص ٤٠٦.

أما الذين يكسرون الميم، فقالوا إن أصل الفعل موت- بفتح الفاء وكسر العين- وعند الإسناد إلى تاء الفاعل تنقل حركة العين إلى الفاء فتكسر الفاء وتحذف العين لالتقاء الساكنين فنحصل على كلمة /مت/ - بكسر الفاء - وللماضي يقال مات يمات من باب فرح، كما هو حال الفعل خاف يخاف^(١).
والموت بكل أصول اشتقاقه يعني السكون وما يضاد الحياة^(٢).

وقد قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ (١٥٨) ^(٣) بضم فاء / متم / وذلك كما هي لهجة سفلى مضر بينما قرأ الباقون بكسر الفاء^(٤).
وتعدّ لهجة ضم فاء / متم / - أي كون الفعل من مات يموت- هي الأقيس والأكثر شهرة^(٥).

٨- مرجون: اختلف في أصل اشتقاق هذه الكلمة بين قائل أن أصلها من / أرجأ / كما هو وزن الفعل «أنبأ» وهم تميم و سفلى قيس^(٦)، وبين آخرين قالوا أن أصلها من / أرجى / كما هو الفعل / أعطى / وهم القرشيون و الأنصار^(٧).
و سواء أكانت الكلمة بإثبات الهمزة أم بإهمالها فإن معنى إرجاء الشيء هو تأخيره^(٨).

وانتقل الاختلاف في أصل اشتقاق هذا الفعل إلى قراءته في قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجُوا مُرَجُونََ لَأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١٠٦) ^(٩)
فقد قرأ حمزة و نافع و أبو جعفر و الكسائي و حفص و آخرون^(١٠) بلهجة

(١) انظر المقتبس من اللهجات العربية، محمد سالم محيسن، ص ٧١.

(٢) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ٢، ص ٩٠ وما بعدها، مادة (موت).

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٧.

(٤) انظر الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي، ج ٣، ص ٩٢، ٩٣.

(٥) انظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٣، ص ٤٠٦.

(٦) وقد مرّ في مطلب (الاختلاف على المستوى الصوتي)، اختصاص تميم وجيرانها بالهمز، انظر ص ١٠٤.

(٧) انظر المقتبس من اللهجات العربية، محمد سالم محيسن، ص ٧١.

(٨) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ١، ص ٨٣ مادة (رجأ).

(٩) سورة التوبة، الآية: ١٠٦.

(١٠) هم الحسن وطلحة وابن نصح والأعرج، انظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي ج ٥، ص ٥٠٢.

الحجازيين فقالوا / مرجون/ - بواو ساكنة بعد الجيم من غير همز - بينما تلا باقي القراء السبعة / مرجئون/ - بهمزة مضمومة ممدودة بعد الجيم -^(١).

٩- الضعف : يفتح التميميون فاء الكلمة ويسكنون عينها، بينما نطق القريشيون بضم الفاء وسكون العين^(٢). و سواء بفتح الفاء أو بضمها فإن هذه الكلمة مصدر للفعل ضعف - بالفتح ثم الضم - إلا أن المصدر المضموم الفاء يشابه مصدر الفعل / قرب/ - بفتح ثم ضم - أما المصدر المفتوح الفاء فهو يشابه مصدر الفعل / قتل/ - بفتحتين - وهو القتل بفتح ثم تسكين^(٣).

والضعف هو ما يخالف القوة، وأطلق الضعف - بفتح الفاء - على العقل والرأي. والضعف - بضم الفاء - على ما وهن من الجسد^(٤). وهذا تفريق ضعيف^(٥) فالبصريون حكموا بأن اللغتين جيدتان تستعملان في البدن والرأي دون تفريق^(٦).

وكما اختلف في أصل اشتقاق هذا المصدر، تعددت قراءته في قوله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾^(٧). لقد قرأ عاصم و حمزة وآخرون^(٨) بفتح الفاء بينما قرأ الجمهور بضمها و اختار البعض^(٩) ضم الفاء و فتح العين في «ضعف» الثانية و وردت أيضا قراءة^(١٠) بضم الفاء و العين^(١١).

- (١) انظر المرجع السابق، ج ٥، ص ٥٠٢.
- (٢) انظر القراءات وأثرها في علوم العربية، محمد سالم محيسن، ص ٢٣٠.
- (٣) انظر القراءات وأثرها في علوم العربية، محمد سالم محيسن، ص ٢٣٠.
- (٤) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ٩، ص ٢٠٣، وتهذيب اللغة، الأزهرى، ج ١، ص ٤٨٢ مادة (ضعف).
- (٥) انظر القراءات وأثرها في علوم العربية، محمد سالم محيسن، ص ٢٣٠.
- (٦) انظر تهذيب اللغة، الأزهرى، ج ١، ص ٤٨٢.
- (٧) سورة الروم، الآية، ٥٤.
- (٨) وهي قراءة عبد الله وأبي رجاء أيضاً.
- (٩) هم أبو عبد الرحمن والمجحدري والضحاك.
- (١٠) قراءة عيسى.
- (١١) انظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٨، ص ٤٠١.

المطلب الرابع

اختلاف لهجات القبائل من الناحية الدلالية

الدلالة لغة: يقال دلّ على الشيء يذّله دلاً ودلالة - بفتح الفاء - فاندل، أي سدده إليه^(١).

أما اصطلاحاً فهي علاقة اللفظ بالمعنى. فاللفظ دال، والمعنى مدلول. والدلالة هي ما ينصرف إليه اللفظ في الذهن من مدرك أو محسوس^(٢).

يحمل هذا التعريف ثلاثة أركان رئيسة هي:

١ - الدال: وقوامه ما يتلفظ به سواء أكان مفرداً أم مركباً.

٢ - المدلول: المعنى أو الفكرة التي تحملها الكلمات والسياق اللغوي.

٣ - النسبة: وهي العلاقة القائمة بين الألفاظ والمعاني التي تدل عليها، ومدارها على حالات الكلام وأوضاعه اللغوية والمتكلم والسامع^(٣).

فالمقصود باختلاف القبائل على المستوى الدلالي: إطلاق بعض القبائل ألفاظاً على دلالات ومعانٍ لا تطلقها عليها سائر القبائل العربية، وهذا أمر طبيعي في شعب يسكن بلاداً مترامية الأطراف^(٤).

إن اللغة رمز التعبير ووسيلته، وهي أداة لنقل الأفكار عبر قوالب خاصة تسمى الألفاظ، فكل مجتمع يختار ألفاظه بحسب حاجاته وأحواله الاجتماعية، فأهل الصحراء يميلون نحو الألفاظ الوعرة ذات السمة الخشنة، بينما ينحو أهل المدن بألفاظهم إلى ما يبرز معالم مدينتهم وحضارتهم.

ومما لا مجال للشك فيه أن المعاني التي تحملها هذه الألفاظ تمر بمراحل زمنية فاللغات البشرية قطعت مراحل طويلة الأمد، وتعاقت عليها العديد من الأجيال، يحمل كل جيل سمات موروثه ليمزجها مع ما يبتكره خلال المواقف

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ١١، ص ٢٤٨.

(٢) الأضداد في اللغة، محمد حسين آل ياسين، نقلاً عن لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة غالب فاضل المطليبي، ص ٢٥٧.

(٣) انظر علم اللغة بين القديم والحديث، عبد الغفار حامد هلال، ص ١٩٠، ١٩٤، مطبعة الجبلأوي، القاهرة، ط. الثانية ١٩٨٦.

(٤) لغة القرآن لغة العرب المختارة، محمد رواس قلعه جي، ص ٤٧، دار النفائس، ١٩٨٨.

اليومية التي تواجهه من خلافات ومشقات وآلام وصولاً إلى مرحلة عدم معرفة ما قد يقوله أو يسمعه في بعض الأحيان.

وهذا التغيير البسيط الذي يطرأ على اللغة في دلالة مفرداتها مرتبط بسنن التطور العام في حياة الإنسان، فاللغة - كما هو معروف - ظاهرة اجتماعية تتأثر بكل ما يعترى الإنسان من أحوال عامة يشترك فيها جميع أفراد المجتمع في فترات حياته، كل ذلك لا بُدَّ أن يكون له تأثير على اختلاف لهجات القبائل من ناحية دلالة الألفاظ والمفردات.

فليس في استطاعة أحد إيقاف تطور لغة من اللغات أو جعلها جامدة عند وضع خاص، فالأمة ذاتها مجتمعة لا تتمكن من ذلك إذا تضافرت العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها

ورغم ذلك فإن كل هذه الحالات تبقى سهلة وأقل مشقة من البحث في المعنى الدلالي لألفاظ النصوص القديمة خاصة مع صعوبة معرفة ظروف قولها، والدوافع الكامنة من ورائها والقصد منها، مما يضطر الباحث أحياناً إلى تصور تلك المواقف ومعايشة تلك الظروف، ولو كان ذلك مقتصرأ على المشاعر، محاولاً الاتحاد مع أفكار قائل النص، كل ذلك بغية الوصول لحياة اللفظة وتطورها^(١).

فالمعاجم وحدها مهما كانت دقيقة ومنظمة لا يمكنها التعبير عن دلالة الألفاظ دون اللجوء إلى دراسة تلك الألفاظ^(٢) لأن الدلالة تخضع لمؤثرات كثيرة، وعوامل متعددة منها اجتماعية ونفسية وأخرى تطويرية وتاريخية، والمعجم إنما يصف اللغة في مرحلة معينة دون تفسير للدلالات التي ينطوي عليها من النواحي المذكورة^(٣).

إن البحث في اختلاف لهجات العرب من حيث دلالة الألفاظ هو ثمرة البحث في تباين اللهجات على المستوى الصوتي والمستوى الصرفي، وهو

(١) علم اللغة، محمود السمران، ص ٢٩٠.

(٢) انظر المعرب في القرآن الكريم، محمد السيد علي بلاسي، ص ٥٤، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، ط. الأولى، ٢٠٠١.

(٣) المرجع السابق، ص ٥٤.

الغاية المنشودة^(١).

لقد شغل البحث في دلالة الألفاظ جانباً واسعاً من النشاط اللغوي، والسمة الرئيسة البادية على هذا النشاط هي التشعب وعدم الانتظام في نسق معرفي واحد. وللجانب الديني دور كبير في الدرس الدلالي، وتحديد مفهوم العديد من المصطلحات في ظل اختلاف لهجات القبائل، فالعلماء قصدوا شرح ما غمض من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وبيان المعنى الشرعي الذي تشير إليه، فبرز في التفسير - الذي بدأ لغوياً ثم تطور إلى أنواع أخرى^(٢) - اهتمام واضح بالمسائل الدلالية، كمعاني القرآن الكريم، وسحر بيانه، وما إلى ذلك

وبما أن القرآن الكريم يحوي العديد من لهجات القبائل، فإن كتب غريب القرآن الكريم والحديث التي ألقت لخدمة القرآن الكريم^(٣)، توضح وتبين أغلب الألفاظ المبهمة من لهجات القبائل العربية^(٤).

لقد أدت أساليب اللهجات العربية ومستوياتها الدلالية إلى نشوء كثير من الظواهر اللغوية، كالمبتاين من الألفاظ، والمشارك، والأضداد والمترادف. وسأعرض موجزاً لكل من هذه الأنواع محاولاً توضيح علاقة اختلاف اللهجات العربية بها مع ضرب بعض من الأمثلة لكل نوع:

١ - المتباين: المتباينة في اللغة هي المفارقة^(٥) واللفظ المتباين عن غيره هو الذي احتفظ بدلالة لا يشاركه فيها غيره، ودلالته تكون لمعنى واحد، وهو أكثر اللغة، ومن ذلك الإنسان والفرس، وجميع الألفاظ التي لها دلالة واحدة مغايرة لغيرها من الألفاظ^(٦) والألفاظ المتباينة نوعان^(٧):

- (١) انظر اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، ص ١٩٤.
- (٢) وذلك كالتفسير بالمأثور والرأي، والتفسير الإشاري، انظر مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ج ٢، ص ١٧، ٥٩، ٨٩.
- (٣) ومن هذه الكتب المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، والفائق في غريب الحديث للزمخشري.
- (٤) انظر اثر الدخيل على العربية الفصحى، مسعود بوبو، ص ٣٠٧، ٣٠٨.
- (٥) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ١٣، ص ٦٣، وتاج العروس، الزبيدي، ج ٣٤، ص ٢٩٣ مادة (بين).
- (٦) انظر المزهري، السيوطي، ج ١، ص ٣٦٨، والصاحبي، ابن فارس، ص ٩٦.
- (٧) انظر المزهري، السيوطي، ج ١، ص ٣٦٨.

أ - المتباين المتفاصل: وهو ما يمتنع اجتماعه كالطول والقصر.

ب - المتباين المتواصل: ما لا يمتنع اجتماعه كاسم وصفة كالجبل الشاهق أو صفة وأختها، كالبلغ الفصيح.

٢ - المشترك: في اللغة هو الاسم الذي تجتمع تحته معانٍ كثيرة كالعين^(١) مثلاً فإنها تدل على الجارحة وعين الماء والجاسوس على العدو، ويلتقي المعنى اللغوي مع الاصطلاحي لكن بصياغة مختلفة، فهو اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر، دلالةً على السواء عند أهل تلك اللغة^(٢).

وقد انقسم العلماء إلى فريقين: الأول مثبت لوجود المشترك في ألفاظ اللغة العربية كسيبويه الذي ذكر في كتابه «ورود ما اتفق لفظه واختلف معناه عند العرب»^(٣) وكذلك ابن فارس^(٤) والثعالبي^(٥) (٦) (٥).

أما الفريق الثاني فيمثله ابن درستويه^(٧) المنكر لوجود المشترك في أصل الوضع، وإلا لالتبست المعاني، وعدّ أن ذلك يناقض الهدف من وضع اللغة فهي للإبانة على المعاني بحسب قوله^(٨).

كما أن أبا علي الفارسي يوافق هذا الرأي ولا يعدّ المشترك من أصل اللغة

(١) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ١٠، ص ٤٤٩ مادة (شرك).

(٢) المزهر، السيوطي، ج ١، ص ٣٦٩.

(٣) انظر سيبويه، ج ١، ص ٢٤.

(٤) انظر الصاحبي، ص ٢٦٩.

(٥) انظر فقه اللغة وسر العربية، ج ٢، ص ٦٤٢، تحقيق خالد فهمي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. الأولى، ١٩٩٨م.

(٦) هو عبد الملك بن محمد بن إسماعيل المعروف بأبي منصور الثعالبي، نسبة إلى مهنته وهي خياطة جلود الثعالب، ولد سنة ثلاثمئة وخمسين هجرية في نيسابور، إمام في اللغة والأدب والتاريخ، توفي سنة أربع مئة وتسع وعشرين هجرية، انظر الأعلام، الزركلي، ج ٤، ص ١٦٣.

(٧) هو أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه بن الرزبان الفارسي، ولد سنة مئتين وثمانين وخمسين هجرية، اشتهر في اللغة ولم يقتصر عليها، قرأ على المبرد الكتاب وبرع فيه، وكان نظاراً، قدم بغداد وسكن فيها، أخذ الأدب عن ابن قتيبة، توفي رحمه الله في يوم الاثنين لسبع بقين من صفر سنة سبع وأربعين وثلاثمئة من الهجرة انظر طبقات النحويين واللغويين، محمد بن الحسن الزبيدي، ص ١١٦، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف، مصر، ومعجم المؤلفين عمر رضا كحالة، ج ٢، ص ٢٣٣. والأعلام، خير الدين الزركلي، ج ٤، ص ٧٦.

(٨) انظر شرح الفصيح، نقلاً عن المزهر، السيوطي، ج ١، ص ٣٨٤.

العربية، وإنما هو من تداخل اللغات، أو أن تكون كل لفظة تستعمل بمعنى ثم تستعار لشيء فتكثر وتغلب فتصير بمنزلة الأصل^(١).

إلا أن أبا علي معتدل في موقفه أمام مغالاة ابن درستويه في إنكار المشترك.

وأبرز ما استدل به الفريق الأول ورود كثير من الألفاظ المشتركة في اللغة العربية، وهذا دليله النقل، أما الدليل العقلي فهو عدم تناهي المعاني المراد التعبير عنها، بينما تتناهى الألفاظ وهي محدودة مقارنة مع المعاني، فإذا تم توزيع المعاني على الألفاظ، عندئذ لا بد من أن تحتوي بعض الألفاظ في ذاتها مجالاً لأكثر من معنى، فتشترك معانٍ متعددة في لفظة واحدة^(٢).

أما عن كيفية وقوع المشترك فقول «الحي أو القبيلة، ربما انفرد القوم منهم بلغة ليس سائر العرب عليها فيوافق اللفظ في لغة قوم، وهم يريدون معنى لفظ آخر من لغة الآخرين وهم يريدون معنى آخر، ثم ربما اختلطت اللغات، فاستعمل هؤلاء لغة هؤلاء، وهؤلاء لغة هؤلاء، فأصل اللغة قد وضعت على بيان وإخلاص لكل معنى لفظ ينفرد به إلا أنه دخل اللبس من حيث لم يقصد»^(٣).

فالعلة الرئيسة في ظهور المشترك اللفظي في العربية الأدبية هو اختلاف المستويات الدلالية في اللهجات العربية^(٤).

وهذا تحليل واقعي يمكن ملاحظته في لغتين مختلفتين وليس على صعيد اللهجات فقط، كلمتان متفتتان في اللفظ مختلفتان في المعنى، واختلاط اللهجات أمر واقع لا يمكن لأحد تجاهله، وقد مرّ في مبحث سابق^(٥) أن اختلاط اللهجات أسهم في تعددها واختلافها.

ويمكن الاستدلال على وقوع المشترك في اللغة العربية بما هو أبسط مما قيل، أليست هذه اللغة مدحت بأن مفرداتها غنية بالمعاني ثرية بمدلولاتها؟ أليست

(١) المخصص، ابن سيده، ج ٤، السفر، ١٣، ص ٢٥٩.

(٢) انظر المزهر، السيوطي، ج ١، ص ٣٦٩.

(٣) رسالة الاشتقاق، محمد بن السري السراج، ص ٣٣، تحقيق محمد صالح التكريتي، بغداد، ١٩٧٣.

(٤) لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، غالب فاضل المطليبي، ص ٢٦٤.

(٥) انظر الفصل الثاني من هذه الرسالة ص ٩٠، ٩١، ٩٥-٩٧.

الكلمة أجمل عندما تدلي بمعانٍ عدة لترتقي بعد ذلك في ترتيب سياقها في الجملة والتعبير بشكل أكثر دقة، لإفهام السامع أن المعنى المراد من إطلاق هذه الكلمة هو كذا، لا شيء آخر؟

إن وجود المشترك في اللغة العربية ما هو إلا لرفع شأنها، وتأکید على تميزها عن غيرها، وليس في ذلك تعمية وتغطية للمعنى كما قال ابن درستويه.

بل إن الغموض الذي قد ينشأ من المشترك قد وُظف في البلاغة العربية تحت عنوان «التورية»^(١) ويبقى للسياق أثره الحاسم في دفع هذا الغموض فكلما كان مسبوکاً دقيقاً أمن اللبس في تحديد المعنى المراد من اللفظ.

أبدأ بضرب بعض من أمثلة المشترك التي وردت في القرآن الكريم:

أ - قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾^(٢) فالفعل «خشع» رمي البصر نحو الأرض وغمضه وخفض صوته، والخشوع في الصوت والبصر كالخضوع في البدن^(٣) أما بلهجة تميم فهذا الفعل - الغض - يفيد معنى الاقشعرار^(٤).

ب - قال تعالى: ﴿قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(٥) والشطر اسم يقع على معنيين: الأول هو نصف الشيء، فشطرت الشيء عندما جعلته نصفين^(٦) والمعنى الثاني نحوه وتلقاه، وهي لهجة كنانة^(٧).

ج - قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ وَالْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ﴾^(٨).

(١) هي أن يُذكر لفظ له معنيان، قريب وبعيد، ويراد البعيد، شرح التلخيص، محمد بن محمد البابرتي، ص ٢٢٨.

(٢) سورة فصلت، من الآية: ٣٩.

(٣) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ٨، ص ٧١، مادة (خشع).

(٤) انظر كتاب اللغات في القرآن، عبد الله بن الحسين بن حسنون، ص ٤١، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط. الثانية، ١٩٧٢.

(٥) سورة البقرة، من الآية: ١٤٤. (٦) لسان العرب، ابن منظور، ج ٤، ص ٤٠٦.

(٧) انظر رسالة ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل، أبو عبيد القاسم بن سلام، على هامش تفسير القرآن العظيم، محمد بن احمد المحلي وعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ج ١، ص ١٢٦، دار إحياء الكتب العربية.

(٨) سورة النحل، من الآية: ٨١.

السراويل واحدها سربال^(١) وهي القمص^(٢) باللهجة تميم^(٣) والدرع^(٤) باللهجة كنانة^(٥).

د- قال عز وجل واصفاً الذين قتلوا في سبيله: ﴿سَيَهَيِّبُهُمْ ويُصَلِّحُ بِأَلْمَمِ﴾^(٦).

يطلق لفظ «البال» على عدة معانٍ، منها، الشأذ، القلب، الخاطر، الأمل، إلا أنه من أسماء النفس^(٧) غير أن هذيل يطلقونه ويعنون به الحال^(٨).

٣- الأضداد: ضد الشيء خلافه^(٩) والمتضاد من الألفاظ نوع من المشترك فهو أيضاً اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين، لكن المعنيين يدلان على شيئين متضادين، وذلك ككلمة «جلل» فهي تطلق على الأمر الكبير وكذلك على الأمر الصغير، وأيضاً كلمة «الصارخ» تطلق على المغيث والمستغيث، وهما معنيان متناقضان متضادان^(١٠) فالأضداد تتصل بالمشارك اتصالاً وثيقاً.

ولم تسلم هذه الظاهرة من الاختلاف بين الإثبات والإنكار، فالمثبتون كثر، وأدلتهم وافرة.

يعد المبرد^(١١) الأضداد من كلام العرب الكثير جداً^(١٢) ويرى ابن فارس^(١٣)

(١) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ١١، ص ٣٣٥، مادة (سربل).

(٢) المصدر السابق، ج ١١، ص ٣٢٥ (مادة سربل).

(٣) انظر ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل، أبي القاسم بن سلام، ج ١، ص ٢٢٢.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، ج ١١، ص ٣٣٥، مادة (سربل).

(٥) انظر ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل، أبي القاسم بن سلام، ج ١، ص ٢٢٢.

(٦) سورة محمد ﷺ، الآية: ٥.

(٧) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ١١، ص ٧٤، ٧٥، مادة (بول).

(٨) انظر ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل، أبو عبيد القاسم بن سلام، ج ٢، ص ١٧٧.

(٩) لسان العرب، ابن منظور، ج ٣، ص ٢٦٣، مادة (ضدد).

(١٠) انظر المزهر، السيوطي، ج ١، ص ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٩٠.

(١١) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المشهور بالمبرد ولد عام مئتين وعشر من الهجرة في البصرة إمام عصره في العربية ببغداد، وحاذق في الأدب والأخبار، توفي في بغداد سنة مئتين وست وثمانين هجرية. انظر الأعلام، الزركلي، ج ٧، ص ١٤٤.

(١٢) كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه، ص ١٧، اعتناء محمد رضوان الداية، دار البشائر، دمشق، ط. الأولى.

(١٣) نقلاً عن المزهر، السيوطي، ج ١، ص ٣٨٧.

وغيره^(١) أن التضاد من سنن العرب في كلامهم.

أما عن المنكرين لوجود الأضداد في اللغة العربية، فمن أبرزهم ابن درستويه الذي ينكر أن تكون المفردات المتضادة قد وضعت في أصل اللغة بداية^(٢).

والأمثلة التي بسطها صاحب «المزهر» خير دليل على وجود الأضداد في الألفاظ العربية^(٣).

لكن من غير قصد العرب وضع معنيين متناقضين لكلمة واحدة بمساواة بينهما، فأحد المعنيين لحي من العرب، والثاني لحي آخر^(٤) أو إن أحد المعنيين هو الأصل في الوضع لكن تداخلا، وحصول ذلك على جهة الاتساع^(٥)، أو قد يكون المعنى الأصلي للكلمة عاماً، لا يتحدد إلا مع مرور الزمن، فيجمع في طياته معنيين متناقضين، تتلقف إحداهما لهجة قبيلة ما، والمعنى الآخر المضاد تتخذه قبيلة أخرى للهجتها^(٦).

وهكذا تبين أن من أسباب نشوء ظاهرة التضاد هو اختلاف اللهجات العربية في تطور دلالة بعض الألفاظ^(٧).

ومما ورد في كتاب الله عز وجل من ألفاظ متضادة ما يلي:

أ - قال الله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ هَيْجَرَةٌ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٨).

إن الفعل «باع» بمعنى الشراء هو لهجة تميم وربيعة. أما لهجة أكثر العرب على معنى الإخراج من ملك صاحبه^(٩).

ب - جاء في القرآن الكريم حكاية عن حال سيدنا سليمان عليه السلام،

(١) أبو منصور الثعالبي، انظر فقه اللغة وسر العربية، ج ٢، ص ٦٤٥.

(٢) نقلاً عن المزهر، السيوطي، ج ١، ص ٣٩٦.

(٣) انظر السيوطي، ج ١، ص ٣٨٩، ٣٩٥.

(٤) الأضداد، محمد بن القاسم الأنباري، ص ١١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دائرة المطبوعات، الكويت ١٩٦٠.

(٥) انظر المزهر، السيوطي، ج ١، ص ٤٠١.

(٦) انظر في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص ١٩٩، ٢٠٠.

(٧) انظر لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، غالب المطليبي، ص ٢٦٨.

(٨) سورة النور، من الآية: ٣٧.

(٩) انظر معاني القرآن، الفراء، ج ١، ص ٥٦.

بعد أن سمع كلام النمل: ﴿فَبَسَّرَ صَاحِجًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي﴾ (١).

يقال أَوْزَعْتُهُ بالشيء: أي أغريته فأوزع به فهو موزع به أي مغرئ به، كما أن الـوَزْع يأتي بمعنى نهى النفس عن هواها (٢)، وأوزع بمعنى ألهم هي لغة لقريش (٣) ومعناها يوافق الإغراء، فاللهام الله تعالى للإنسان بشيء، وشرح صدره له هو نوع من الإغراء والحض على الفعل.

ج - قال تعالى مادحاً المؤمنين: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٤).

قال صاحب الكشاف: «أصل التعزير المنع ومنه التعزير وهو الضرب دون الحد لأنه منع من معاودة القبيح» (٥)، كما أن التعزير يأتي بمعنى التفخيم والتعظيم والنصر باللسان والسيف (٦).

وصحيح أن هذه اللفظة من الأضداد، إلا أنه لما يصار إلى تعزير أحد فذلك نوع من أنواع مؤازرته لينتصر على نفسه، كي لا يعاود ارتكاب الفعل المحظور مرة أخرى، ولعل من ذلك حديث نبينا عليه الصلاة والسلام: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجل، يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟! قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره» (٧).

ولم يرد اسم القبائل التي استخدمت التعزير بمعنى «النصر» ولا اسم القبائل التي استخدمتها بمعنى المنع في لهجاتها (٨).

(١) سورة النمل، من الآية: ١٩.

(٢) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ٨، ص ٣٩٠، مادة (وزع).

(٣) انظر ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل، أبو عبيد القاسم بن سلام، ج ٢، ص ٧٤.

(٤) سورة الأعراف، من الآية: ١٥٧.

(٥) محمود بن عمر الزمخشري، ج ٢، ص ٥١٨، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط. الأولى، ١٩٩٨.

(٦) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ٤، ص ٥٦٢، مادة (عزر).

(٧) راوي الحديث هو سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه، أخرجه البخاري في صحيحه، انظر فتح

الباري، شرح صحيح البخاري، احمد بن علي بن حجر العسقلاني، ج ١٢، ص ٤٠٠، تحقيق عبد

العزيز بن باز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٩٨٩، كتاب الإكراه، حديث رقم ٦٩٥٢.

(٨) انظر ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل، أبو عبيد القاسم بن سلام، واللغات في القرآن، =

د - قال تعالى حكاية عن سيدنا إبراهيم عليه السلام مع أصنام قومه: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمُ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَبْرًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾^(١).

راغ فلان إلى القوم إذا رجع إليهم^(٢) ومنه قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَيْكَ أَهْلِيهِ فَبَجَلَةً يَجْعَلُ سَمِينَ ﴿٣١﴾﴾^(٣) أي ذهب إلى أهله وأقبل عليهم، أما راغ عنهم يفيد إذا ولي عنهم^(٤) وهذه اللفظة أيضاً لم يرد اسم القبائل التي اختارت أحد المعنيين المتضادين^(٥).

٤- الترادف: مصدر على وزن تفاعل - بضم العين - وهو تتابع شيء خلف آخر، يقال: ردف - بكسر العين - الرجل وأردفه أي ركب خلفه^(٦).

والترادف في الاصطلاح هو: دلالة كلمات مختلفة ومنفردة على المسمى الواحد فكل الألفاظ المفردة التي تدل على شيء واحد باعتبار واحد هي مترادفة، ويتميز الترادف عن التوكيد بإفادته أحد المعاني ما أفاده الآخر، أما التوكيد فالثاني مقوُّ للأول^(٧).

لقد بدأ الاهتمام بالترادف من الألفاظ منذ أن شرع اللغويون الأوائل في جمع اللغة والنظر في ألفاظ القرآن الكريم وتفسيرها، ومن الملاحظ أن اختلاف اللغويين حول الترادف إثباتاً وإنكاراً كان واسعاً، وقد انقسموا في ذلك فريقين، فريق أثبت الترادف لأنه ظاهرة معروفة في اللغة، وشواهداها في المعاجم والكتب اللغوية أكثر من أن تحصى، فللحجر سبعون اسماً وللأسد خمسمئة

= عبد الله بن حسنون، ولسان العرب، ابن منظور.

(١) سورة الصافات، الآيات: ٩١، ٩٢، ٩٣.

(٢) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ٨، ص ٤٣١، مادة (روغ).

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٢٦.

(٤) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ٨، ص ٤٣١، مادة (روغ).

(٥) انظر ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل، أبو عبيد القاسم بن سلام، واللغات في القرآن،

عبد الله بن حسنون، ولسان العرب، ابن منظور.

(٦) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ٩، ص ١١٤، وما بعدها، وتاج العروس الزبيدي، ج ٢٣،

ص ٣٢٨ وما بعدها مادة (ردف).

(٧) انظر المزهري، السيوطي، ج ١، ص ٤٠٢، ٤٠٣.

وللحية مثنان^(١).

ولعل من أقدم النصوص التي أشارت إلى هذه الظاهرة - وإن عبّر عنها بالفاظ مغايرة للترادف - ما قاله سيبويه في كتابه: «اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين... واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو ذهب وانطلق»^(٢).

فظاهرة اختلاف اللفظين والمعنى واحد هي التي سميت فيما بعد بالألفاظ المترادفة، ويعد

سيبويه تواليت المؤلفات في الترادف من فريق من العلماء مؤيدي لوجود الترادف في اللغة^(٣).

لقد عدّ الفريق المنكر للترادف أن أي شيء له اسم واحد، وما عداه هو من الصفات التابعة للمسمى، فابن آدم مثلاً يطلق عليه إنسان وبشر، فالأول موضوع له بالنظر إلى النسيان أو أنه يؤنس، والثاني أنه بادي البشرية.

غير أن أبا علي الفارسي لا يقر بذلك، فقد ردّ على ابن خالويه الذي أخبره بأنه يحفظ للسيف خمسين اسماً، فتبسم أبو علي قائلاً: لا أحفظ له إلا اسماً واحداً وهو السيف، أما ما خلا ذلك فصفاً^(٤).

وكما أنكر ابن درستويه المشترك والأضداد، أنكر أنّ الترادف موضوعاً في أصل اللغة أيضاً وعدّ إقراره قولاً فاسداً في القياس والعقل، مخالفاً للحكمة والصواب، لكنه أقرّ بورود شيء من المترادف، فقد ذكر أن العرب تكلمت به، لكن سببه خفي على بعض المتأخرين فلم يعرفوا علته، وما ينطوي عليه من فروق، فعدهم ابن درستويه واهمين بأن الترادف موضوع أصلاً^(٥).

وكان مبالغة ابن درستويه في إنكار الظواهر اللغوية من المشترك والأضداد

(١) انظر المصدر السابق، ج ١، ص ٣٢٥.

(٢) الكتاب، ج ١، ص ٢٤.

(٣) لقد ألف الأصمعي رسالة بعنوان (ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه) وكذلك الجواليقي ألف رسالة بعنوان (ما جاء على فعلت وأفعلت بمعنى واحد) أما كتاب الفيروز آبادي فكان بعنوان (الروض المسلول فيما له اسمان إلى ألوف).

(٤) انظر المزهري، السيوطي، ج ١، ص ٤٠٢، ٤٠٥.

(٥) انظر المصدر السابق، ج ١، ص ٣٨٤، ٣٨٥.

والترادف موازية لمبالغة بعض المتوسعين في الظواهر المذكورة، فملؤها بما ليس منها، والزعم بأن هذا البعض هو من أصل اللغة.

ومهما يكن من أمر، فإن الإقرار بوجود الترادف ظاهرة لغوية عامة لا يمكن إنكاره، لكن يجب إدراك أن الألفاظ المترادفة لا تتطابق في المعنى دائماً، لأن التماثل التام في الاستعمال نادر الوقوع، إذ لا بُدَّ من وجود فروق معنوية تجعل كل لفظ متميز عن الآخر بجانب من الجوانب المختلفة للمدلول الواحد.

وتعود أسباب نشوء ظاهرة الترادف إلى عاملين ذكرهما صاحب المزهر:

١- أن تضع إحدى القبائل اسماً لمعنى معين، بينما تختار قبيلة أخرى اسماً مغايراً، فبذلك تتعدد الأسماء لمسمى واحد، من دون معرفة تلك القبيلة ما صنعته الأخرى.

ثم يشتهر الاسمان على ألسنة الناس، وهذا يعدّ من المسيبات الأكبر حظاً لنشوء المترادف.

٢- أن تنشأ الأسماء الدالة على المعاني من أفراد - وهو أقل نسبة من الاحتمال الأول -^(١).

ولا شك أن في الترادف إفادة لكثير من الفطناء الذين يعبرون عما يلج في صدورهم

ويطرق خواطر أفكارهم، بألفاظ لا تعيق نطقهم إن كانوا ممن يلثغون - بأحد أحرف العربية - كما أن في ذلك إثراء للغة العربية وتوسع في طرائق الفصاحة^(٢).

وما ذلك إلا شاهد على الإمكانيات التي تتيحها العربية للمتكلم ليعبر عن مقاصده من أوسع المذاهب.

إن من الأسباب التي ذكرت لنشوء المترادف، تعدد اللهجات العربية، التي أدت بدورها إلى وجود العديد من الألفاظ التي تشترك فيما بينها بدلالاتها على مسمى واحد.

ومن الأمثلة على مجيء الألفاظ المترادفة في القرآن الكريم ما يلي:

(١) انظر المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠٥، ٤٠٦.

(٢) انظر المزهر، السيوطي، ج ١، ص ٤٠٦.

- أ - قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ (١).
 قيل (٢) أن الحصب كل ما يلقى في النار من حطب أو غيره، وذلك في لهجة أهل اليمن، وهي الحطب بلهجة قريش (٣).
 فالحطب والحصب مختلفان لفظاً متفقان في المعنى.
- ب - قال عز وجل: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ (٤)،
 الآسن من الماء ما تغير (٥) لكن ماء المتقين في الجنة غير متغير، بخلاف ماء الدنيا الذي يتغير من أي عارض يصيبه (٦)، أما الآسن بلهجة تميم فهو الممتن (٧).
- ج - قال تعالى حكاية عن أحد الرجلين اللذين دخلا السجن مع سيدنا يوسف عليه السلام: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ (٨).
 الخمر من الألفاظ المترادفة فمن معانيها: ما أسكر من عصير العنب، وسميت بذلك لأنها تخامر العقل أي تخالطه مما يؤدي إلى تغطيته عن التفكير (٩) كما ويطلق الخمر على العنب فأهل عَمَانَ يسمون العنب بالخمر (١٠).
- د - قال تعالى حكاية عن ذي القرنين: ﴿إِنِّي زَبْرٌ مُلَيَّدٌ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَّائِنِ قَالَ أَنْفُخُوا﴾ (١١) يطلق الصدف عند الميل عن الشيء كإقبال إحدى الركبتين على الأخرى، كما أن جانبي الجبل إذا تحاذيا وشكلا في المسافة الفاصلة بينهما فجاً أو شعباً، يقال لهما صدقان - بفتح الفاء والعين أو ضمهما - (١٢).

- (١) سورة الأنبياء، من الآية: ٩٨.
 (٢) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ١، ص ٣٢٠.
 (٣) انظر كتاب اللغات في القرآن، عبد الله بن حسنون، ص ٣٥.
 (٤) سورة محمد ﷺ، من الآية: ١٥.
 (٥) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ١٣، ص ١٦، مادة (أسن).
 (٦) انظر تفسير القرآن العظيم، محمد بن أحمد المحلى وعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ج ٢، ص ١٧٨، دار إحياء الكتب العربية.
 (٧) انظر رسالة ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل، أبو عبيد القاسم بن سلام، على هامش تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ١٧٨.
 (٨) سورة يوسف من الآية: ٣٦.
 (٩) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ٤، ص ٢٥٤، ٢٥٥، مادة (خمر).
 (١٠) انظر ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل، أبو عبيد القاسم بن سلام، ج ١، ص ١٩٣.
 (١١) سورة الكهف، من الآية: ٩٦.
 (١٢) انظر العرب، ابن منظور، ج ٩، ص ١٨٧، ١٨٨.

أما بنو تميم فيطلقون على الصدف اسماً آخر، فيقولون الجبل بذاته دون تخصيص التقاء جانبيه^(١).

هـ - قال عزّ من قائل: ﴿قُلِ الْفِرَاصُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرٍو سَاهُونَ ﴿٢﴾﴾^(٢)
 الخراصون: هو اسم فاعل بصيغة الجمع للفعل خرص يخرص - بفتح العين في الماضي وضمها في المضارع - أي كذب فالخراص هو الكذاب^(٣)، وقد ورد أن لفظه الخراص هي لهجة كنانة وقيس عيلان^(٤).

-
- (١) انظر ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل، أبو عبيد القاسم بن سلام، ج ٢، ص ١١.
 (٢) سورة الذاريات، الآيتان: ١٠، ١١.
 (٣) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ٧، ص ٢١، مادة (خرص).
 (٤) انظر اللغات في القرآن، ابن حسون، ص ٤٤، وانظر ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل، أبو عبيد القاسم بن سلام، ج ٢، ص ١٩١.

الفصل الثالث

لغة القرآن الكريم

- المبحث الأول: مميزات اللغة العربية وخصائصها وسبب نزول القرآن الكريم بها
- المبحث الثاني: القبائل التي وردت لهجاتها في القرآن الكريم
- المبحث الثالث: القرآن الكريم حفظ اللغة العربية ووجد لهجاتها

مميزات اللغة العربية وخصائصها وسبب نزول القرآن الكريم بها

اللغة أعظم كاشف عن أحوال الأمم، وما لها من الأخلاق والآداب والعقائد والسياسات والشرائع والعلوم والفنون، وسائر أحوال التصرف والاجتماع، وما خلقت عليه من ذكاء الطباع، وما تقلب عليها من العزة والذلة والترف... إلى ما يتصل بهذه المعاني، وما يضاف إليها من سائر الأحوال والصفات.

وفي الجملة، فإن اللغة هي الإنسان بعينه، يتمثل بها الفرد، وتتناول الأمة بأسرها، والأثر الذي تطبعه حركات النفس بما يعرض لها من الأفعال والانفعالات.

إن من حق كل أمة من الأمم أن تحب لغتها وتتعشقها، وأن تقدرها وتجعلها، وأن ترفع من شأنها وتعلي من مكانتها، فذلك شيء غير مستكره ولا مستنكر.

أما الأمة الإسلامية، فإن ذلك من واجبها تجاه لغة لسان الوحي المبين، لغة المناجاة بين العبد وربّه، ولغة التعبد لله رب العالمين، ألم يخلق الإنسان لأجل العبادة؟ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) (١) أي يمكن لعبادة المؤمن أن تستقيم إلا بتعلم طرف من العربية؟

لقد اختارها عز وجل لتكون لغة كتابه، يعتمد عليها المسلمون في عباداتهم وسائر أحوالهم، والله أعلم حيث يجعل رسالته إنساناً ولغة وزماناً ومكاناً، قال عز من قائل: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (٢).

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

إن نصوص مصادر الشريعة الإسلامية سواء في القرآن الكريم أو في السنة النبوية المطهرة، هي بلسان عربي مبين، فمن أراد أن يتصدر لفهم هذه النصوص، لا بُدَّ من أن يكون على علم بلغة هذه المصادر، أما أن يستنبط أحكامها، وهو جاهل بلغتها، فإنما مثله كما قال تعالى: ﴿إِلَّا كَنَيْطٌ كَنَيْتَهُ إِلَى الْمَاءِ لِيَلْبَغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِلَاطِقٍ﴾^(١).

فأمر اللغة العربية ليس أمر لغة يطلب منها توفير التفاهم بين أبنائها فحسب، بل هي لغة عقيدة، وهي احتواء فكري ثقافي خاص، نزل بها الوحي المقدس، ليستنبط العالمون بها حكم الله في هذه الدنيا، وهي مخزون ثقافي مقدس يرفع الأمم إن فهمته، وتسعد به إن تدبرته، وتشقى إن تركته.^(٢)

لقد عبّر أبو منصور الثعالبي، عن قيمة اللغة العربية وأهميتها، وقدرها وفضلها بالنسبة إلى المسلم، فقال: «من أحبَّ الله تعالى أحبَّ المصطفى ﷺ، ومن أحبَّ النبي العربي أحبَّ العرب ومن أحبَّ العرب أحبَّ العربية... ومن أحبَّ العربية عُني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها، ومن هداه الله للإسلام، وشرح صدره للإيمان، وآتاه حسن سريرة فيه، اعتقد أن محمداً ﷺ خير الرسل... والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد»^(٣).

إن المسلم غير العربي مستهدف في دينه كما هو حال العربي، والمقصود من ذلك قبل أي شيء إبعاده عن اللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم، فإذا ما حقق أعداؤه إبعاده عن دينه استطاعوا من بعد ذلك أن يضلوه ليبقى تائهاً بلا هوية. لهذا فإن المسلم مطالب بأن يحافظ على عقيدته وتمسكه بالقرآن الكريم، ليرتبط بعدها بهوية وانتماء.

ومما يزيد من أهمية هذه اللغة أيضاً فهم النصوص المكتوبة بالعربية، لتشمل كل ما هو مكتوب بالعربية، لذا فلا غنى لمن يتعامل مع النصوص العربية عن

(١) سورة الرعد، الآية: ١٤.

(٢) انظر تحت راية القرآن، مصطفى صادق الرافعي، ص ١٤، تحقيق عبد الله المنشاوي، دار الإيمان، المنصورة، ط. الأولى، ١٩٩٦.

(٣) فقه اللغة وسر العربية، ج ١، ص ٣ بتصرف.

لغتها، وفي ذلك يقول الزمخشري^(١): «وذلك أنهم لا يجدون علماً من العلوم الإسلامية فقهها وكلامها وعلمي تفسيرها وأخبارها إلا وافقاره إلى العربية بين لا يُدفع، ومكشوف لا يتقنّ، ويرون الكلام في معظم أبواب أصول الفقه ومسائلها مبنياً على علم الإعراب، والتفاسير مشحونة بالروايات عن سيبويه، والأخفش والكسائي والفراء، وغيرهم من النحويين والبصريين، والاستظهار في مآخذ النصوص بأقويلهم، والتشبث بأهداب تفسيرهم وتأويلهم وبهذا اللسان مناقلتهم في العلم ومحاورتهم وتدريسهم ومناظرتهم، وبه تقطر في القراطيس أقلامهم فهم ملتبسون بالعربية آية سلكوا، غير منفكين منها أينما وُجّهوا»^(٢) فاللغة العربية مزدوجة المنفعة كما يذهب إليه الزمخشري، فهي إلى جانب أنها علم قائم بذاته، تمثل وسيلة من أهمّ السبل لاكتساب غيرها من المعارف والعلوم، ولذلك تعدّ اللغة العربية من علوم الآلة التي يحصلون بها علوماً أخرى، فيها تُفهم العلوم، وبها يُعبّر عنها، ويؤلف فيها، وكلما كانت لغة الكاتب مستقيمة في لفظها، واضحة في تعبيرها وهو نفسه أيضاً أكثر دراية في معرفة أساليب اللغة، وأكثر ترمساً ودربة في التعامل مع نصوصها، كان أكثر غوصاً وأعمق في جزئيات العلم وحقائقه، وأدق فهماً لمسائله، وأكثر مهارة في التأليف فيه، وبراعة في عرض مسائله^(٣).

وفي جميع الأحوال فإن الرابع هو من علم بتفصيلات اللغة ودقائقها، يقول أبو الفتح - عثمان بن جني -: «وأذكر يوماً وقد خطر لي خاطر مما نحن بسبيله، فقلت لو أقام إنسان على خدمة هذا العلم ستين سنة حتى لا يحظى منه إلا بهذا

(١) هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، ولد سنة أربع مئة وسبع وستين هجرية في زمخشر. من قرى خوارزم. لقب بجار الله بعد أن سافر إلى مكة المكرمة وجاور هناك زمناً، إمام العلم بالدين والتفسير واللغة والأدب، أخذ الأدب عن جهابذته فتلقي من محمود بن جرير الضبي الأصبهاني وعلي بن مظفر النيسابوري كما سمع من أبي منصور نصر الحارثي، كان معتزلياً، مجاهر بمذهبه. توفي سنة خمس مئة وثمانين ثلاثين هجرية في الجرجانية. من قرى خوارزم. انظر الأعلام، الزركلي، ج٧، ص١٧٨، ومعجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج٧، ص٩١.٩٧.

(٢) المفصل في علم اللغة، ص١٢، ١٣، مراجعة وتعليق محمد السعيد، دار إحياء العلوم، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٠.

(٣) انظر مقالات في العربية، مازن المبارك، ص ١٠، دار البشائر، دمشق، ط. الأولى، ١٩٩٩.

الموضع لما كان مغبوناً فيه، ولا منتقص الحظ منه والسعادة به... وإذا ثبت هذا الموضع ثبت به لنا أصل شريف يعرفه من يعرفه، ولولا ما تعطيه العربية صاحبها من قوة النفس ودرية الفكر، لكان هذا الموضع ونحوه مجوزاً عليه غير مأبوه له»^(١) إن معظم علماء الأمة^(٢) يبرع أحدهم في علم أو أكثر، فيؤلف فيما برع فيه، لكن هذا لا يكون إلا بعد إتقان عدة علوم أهلته للبراعة في اختصاصه، وهي علوم اللغة والنحو والبلاغة، فالعربية كانت جزءاً من الأصول العامة التي كان على المتعلم أن يتقنها قبل أن يأخذ طريقه إلى الاختصاص وكان كثير من العلماء يتقنون تلك العلوم إتقانهم لاختصاصهم، إلى مرحلة عدم معرفة الآخرين بأي العلوم كان هؤلاء العلماء أكثر اختصاصاً، وبقي هذا المنهج متبعاً حتى عصور متأخرة، وظلت الأمة تقطف الثمار العلمية الطيبة.

إن ارتباط كتاب سماوي مقدس بلغة بعينها - كارتباط القرآن الكريم باللغة العربية - أمر لا يعرف لغير هذا الدين، ولغير تلك العربية، وإذا كان القرآن الكريم من الكتب السماوية المقدسة - كالإنجيل مثلاً - قد ترجم إلى لغات كثيرة، وبقي على ما هو عليه من كونه كتاباً تعبدياً مقدساً فإن القرآن الكريم هو قرآن بلفظه ونصه، فإن ترجمت أفكاره ومعانيه، فإنها لا تسمى قرآناً ولا يصح أن تكون هذه الترجمة كتاباً تعبدياً، لأن القرآن الكريم ليس قرآناً بأفكاره ومعانيه فقط، وإنما هو بالمعاني والألفاظ والأسلوب، بالنظم والأفكار جميعاً.

(١) الخصائص، ج ٣، ص ٢٥٣، ٢٥٥. بتصرف..

(٢) منهم محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، فله على سبيل المثال في التفسير: بصائر ذوي التمييز في لطائف كتاب الله العزيز، وفي الحديث، تسهيل طريق الوصول إلى الاحاديث الزائدة على جامع الأصول، وفي الفقه له كتاب، عدة الحكام في شرح عمدة الأحكام، وفي اللغة له القاموس المحيط، وفي التراجم له البلغة في تراجم أئمة اللغة، كذلك زكريا بن محمد الأنصاري له العديد من المؤلفات، منها بلوغ الإرب في شرح شذور الذهب، والإعلام بأحاديث الأحكام، والعشرات من الكتب في عدة علوم متنوعة، وكذلك الإمام عبد الرحمن السيوطي، له كتاب الإتقان في علوم القرآن، والأشباه والنظائر في الفقه، وألفيته مشهورة أيضاً في الحديث، وكذلك مؤلفاته في اللغة كالمزهر وغيره ولو أردت بسط القول في أسماء العلماء الذين برعوا في العلوم بعد إتقان العربية وذكر مؤلفاتهم لاحتاج إلى عدد غير متناه من المجلدات، لكن لست هنا بصدد ذكر أولئك الأعلام عدداً، فطرحت بعض الأمثلة لتبيان أن اللغة العربية هي مفتاح يستطيع من أتقنها الدخول لكثير من العلوم الأخرى.

إن اللغة العربية لم تعد مجرد رموز يشار بها إلى المسميات، ولا مجرد وسيلة للتعبير عن الأغراض، وإنما هي أعلى من ذلك وأعلى.

نسبة اللغة العربية، وأول متكلم بها:

نسبت اللغة العربية إلى العرب لأنها لغتهم التي تفتقت عليها أسماعهم، ودارت عليها رحي بيانهم في التعبير عن أغراضهم^(١).

أما عن أول من تكلم بالعربية، فقد تعددت الآراء في ذلك وسأحاول بسطها ومناقشتها بما يلي:

١ - فريق يقول إن العربية تعود إلى زمن بعيد يسبق العرب أنفسهم، فقد كانت لسان سيدنا آدم عليه السلام في الجنة إلى أن نزل الأرض فتكلم بالسريانية، لكن بعد أن استغفر الله عزَّ وجل وتاب ربه عليه رجع لسان آدم عليه السلام وأولاده إلى العربية^(٢).

كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن آدم عليه السلام كانت لغته في الجنة العربية، لكن لما نزل الأرض سلبه الله العربية، فتكلم بالسريانية، فلما تاب ردَّ الله عليه العربية^(٣).

ويستأنس أيضاً بما ورد في «رسالة الغفران» حكاية عن سيدنا آدم عليه السلام أنه قال: «إن أبيتم إلا عقوقاً وأذية، إنما كنت أتكلم بالعربية وأنا في الجنة، فلما هبطت إلى الأرض نقل لساني إلى السريانية، فلم أنطق بغيرها إلى أن هلكت، فلما ردَّني الله سبحانه وتعالى إلى الجنة، عادت عليَّ العربية»^(٤).

وكأن هذه الرواية تفيد أن سلب الله عز وجل لسيدنا آدم - عليه السلام - القدرة على التكلم بالعربية هو نوع من أنواع العقاب، لكن ما الذنب الذي ارتكبه اللغة السريانية لتكون وسيلة من وسائل العقاب؟ ولماذا اللغة السريانية دون غيرها؟ وإذا كانت اللغة السريانية هي التي اختارها الله عز وجل لسيدنا آدم - عليه السلام

(١) انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ج ٨، ص ٥٤١.

(٢) انظر المرجع السابق، ج ٨، ص ٥٣٧.

(٣) ذكر ذلك ابن عساكر في تاريخ دمشق، وقد نقل ذلك عنه المزهري، السيوطي، ج ١، ص ٣٠.

(٤) رسالة الغفران، احمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي، ص ١٨١، تحقيق فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت.

- ليعبر عما يريد، أو ليس العقاب بأن يسلبه الله عز وجل القدرة على الكلام أبلغ لمعاتبه نبيّه؟.

إن عديداً من الأسئلة تطرح أمام هذا الافتراض، مما يجعل الباحث غير مطمئن للميل نحو هذا الرأي، ولا سيما في غياب الأدلة الثقلية الدامغة التي تسنده.

٢ - يعتمد الرأي الثاني في أصوله على بعض ما مرّ في القول الأول، فالذين كانوا مع سيدنا نوح - عليه السلام - في سفينته لسانهم ينطق بالعربية مشوبة بالسريانية، وهو لسان سيدنا آدم - عليه السلام - بعد أن نزل الأرض وتكلم بالسريانية المشاكلة للفظ العربية، وهو لسان محرف عن كلتا اللغتين، غير أن رجلاً واحداً ممن كانوا في سفينة نوح - عليه السلام - لسانه لسان العرب الأوائل، وهو جرهم^(١) الذي تزوج إرم بن سام بعض بناته^(٢)، فمنهم صار اللسان العربي في ولده عَوْص أبي عاد، وعبيل وجاثر أبي ثمود وجديس، وسميت عاد باسم جرهم لأنه كان جدهم من الأم، وبقي اللسان السرياني في ولد أرفخشذ بن سام إلى أن وصل إلى يشجب بن قحطان من ذريته، وكان باليمن، فنزل هناك بنو إسماعيل فتعلم منهم بنو قحطان اللسان العربي^(٣).

هذان رأيان من ناحية الحديث عن أول من تكلم بالعربية، من دون تفريق لها، لكن الرأي الثالث يقسم العربية إلى نوعين:

العربية الأولى: تكلم بها السابقون إلى عهد سيدنا هود عليه السلام، وقد أطلق عليها عربية حمير.

والثانية: هي العربية التي نطق بها سيدنا إسماعيل عليه السلام، بعد أن نسي اللسان العبري لأبيه إبراهيم عليه السلام، وقد تكونت من إحدى الاحتمالين، فإما

(١) انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ج ٨، ص ٥٣٧.

(٢) ذكر في مناهل العرفان ما جاء في التوراة من أن الله تعالى أمر آدم أن يزوج بناته من بنيه، وورد أنه كان يولد له في كل بطن من البطون ذكر وأنثى، فكان يزوج توأمه هذا للآخر، ويزوج توأمه الآخر لهذا، وهكذا... إقامة لاختلاف البطون مقام اختلاف الآباء والأمهات والأنساب، ثم حرّم الله ذلك بإجماع المتدينين من المسلمين واليهود والنصارى. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ج ٢، ص ٢١٢، تحقيق بديع السيد اللحام، دار قتيبة، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٨.

(٣) قول عبد الملك بن حبيب نقله المزهر، السيوطي، ج ١، ص ٣٠، ٣١.

أن يكون الله عز وجل قد ألهمه إياها إلهاماً^(١) لكن نطق بمنطق العربية قبله يعرب بن قحطان بعدما انعدل لسانه عن السريانية إلى العربية^(٢)، وإما أن تكون هذه اللغة اصطلاحية تبلورت خلال معايشة جرهم لسيدنا إسماعيل عليه السلام في مكة المكرمة^(٣).

ومن أي الاحتمالين كانت عربية سيدنا إسماعيل عليه السلام، فإنها هي العربية المحضة التي نزل بها القرآن الكريم، حسب ما يذهب إليه هذا الرأي^(٤). وقد ورد في «طبقات فحول الشعراء» أن أول من تكلم بالعربية ونسي لسان أبيه، إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما^(٥).

إن من المعروف أن سيدنا إسماعيل عليه السلام ليس عربي الأصل كأبيه، فليس من المقبول أن يكون أول متحدث يجيد العربية قبل أهلها الأصليين، ولكن يمكن أن يكون لسانه قد فتق بمجاورته الفرع اليميني «جرهم» الذي نزح إلى شمال الجزيرة، ومخالطة من لقيهم من عرب الشمال ولكي لا تبقى الأذهان مشتتة لمعرفة أول من تكلم بالعربية يمكن القول:

«أول من انعدل لسانه إلى العربية «يعرب بن قحطان»، وبعد أن نشأت منها الحميرية - لغة أهل اليمن - انتقلت إلى أولاد إسماعيل - عليه السلام - بالحجاز،

(١) انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ج ٨، ص ٥٣٨.

(٢) انظر المرجع السابق، ج ٨، ص ٥٤٤.

(٣) وتفصيل ذلك، أن مجموعة من جرهم مرّت من مكة المكرمة عندما ترك سيدنا إبراهيم - عليه السلام - زوجته وابنه في موضع البيت، فرأت هذه المجموعة طيراً فوق الجبل، فعرفوا أنه يحوم على الماء، فنزلوا الوادي، فرأوا الأم وابنها، فطلبوا منها النزول معها، فرضيت، وبعد فترة توفيت السيدة هاجر، فتزوج سيدنا إسماعيل عليه السلام امرأة من جرهم، وعندما جاء سيدنا إبراهيم - عليه السلام - وسأل عن منزل ولده، دُلَّ عليه، لكن لم يجد ابنه بل وجد زوجته، وجرى حديث بينهما فوجدها إبراهيم - عليه السلام - فظة، فأمر ابنه أن يطلقها ولما جاء إبراهيم - عليه السلام - مكة المكرمة زائراً في المرة الثانية، رأى الزوجة الثانية لابنه: فرضي عنها وأمر ابنه إسماعيل بإبقائها، ومنها كان نسله.

انظر تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، ج ١، ص ٢٥٥ - ٢٥٧، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، ط. الثانية، ١٩٦٧.

(٤) انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ج ٢٨، ص ٥٣٨.

(٥) هو قول يونس بن حبيب، طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، ص ٩، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.

ولم تكن لغة إسماعيل عربية بل عبرانية... .

ثم انخرط في شعوب العرب بمجاورتهم ومصاهرته لجرهم الثانية حين نزل مكة فنطق بلسانهم وورثه عنه أولاده فأخذوا يصيغون الكلام بعضه من بعض... إلى أن ظهرت اللغة في كامل حسنها وبيانها، وصار لها شأن عظيم وتأثير بليغ^(١). أو إن العرب البائدة هم المنبع الأصيل للغة العربية، وقد بقيت على لسان من أفلت من الإبادة التي حقت عليهم، لأنهم أربابها الأصليون، وقد بقيت منهم بقية تكاثرت، مما أدى إلى ازدهار اللغة ونموها.

فالله عز وجل علم أولاً أن هذه اللغة العظيمة هي لغة أعظم كتبه، وأشرف رسله فاختر لها خلقاً من ولد سام بن نوح - عليه السلام - مازه بذكاء القلب وسلامة الذوق اللغوي، وصفاء الحس، كما اختار له الموقع والمنشأ، كل ذلك لتتسع اللغة، وتتسم بالشراء والنماء.

والواقع أن معرفة أول من تكلم اللغة العربية أمر يحيطه الغموض لتغلغله في أدرج الزمن السحيق، مما يصعب مهمة معرفة عصر الطفولة للغة العربية وعلى لسان من كانت ولادتها.

ولعل البحث عن أول متكلم باللغة العربية هو من الموضوعات التي لا طائل من ورائها، وليست عاملاً في نمو اللغة وازدهارها وبخاصة في هذا العصر، فمميزات اللغة معروفة، واستخراج المزيد من مكنوناتها وأسرارها لا يعتمد على أول من نطق بها، كما هي حال البحث في أصل اللغة أهي اصطلاحية أم توقيفية أم وضعية أم غير ذلك.

لكن المهم إدراك أن اللغة العربية هي من أول اللغات وسابقة لغيرها في الوجود فهي لغة كتاب الله عز وجل، وقد شرف الله هذا الكتاب بأن جعل له ثلاث تنزيلات.

كان أولها، التنزل إلى اللوح المحفوظ بطريقة ووقت لا يعلمهما إلا الله تعالى، ومن أطلعه عز وجل على غيبه^(٢). وقد أعلمنا ربنا بذلك فقال: ﴿بَلْ هُوَ

(١) دراسات في العربية وتاريخها، محمد الخضر حسين، ص ١٢٠، ١٢١، بتصرف، المكتب الإسلامي ومكتبة دار الفتوح، دمشق، ط. الثانية، ١٩٦٠.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ج ١، ص ٦٧.

قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿١٦﴾ فِي لَوَجٍ مَّخْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ ﴿١﴾.

مميزات اللغة وخصائصها:

اعتماداً على ما ذكرته آنفاً، وما مدح به العلماء اللغة العربية، سأحاول ذكر بعض الخصائص والمميزات التي لمعت بها هذه اللغة العظيمة، ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض هذه الخصائص لا يمكن عدّه متوافراً في اللغة العربية دون غيرها، لكن إن وجد في غيرها فإنه لا يتفاعل كتفاعله مع العربية، وذلك يعود إلى سر جوهر هذه اللغة، ومع أن حصر الخصائص والمميزات يصعب في مبحث ضمن رسالة علمية، لاتساع هذا الموضوع، لكن سأحاول الاقتضاب والإفادة بما يعطي الموضوع حقه دون انتقاص، وأبرز هذه المميزات:

■ أولاً: لغة البيان:

اختصت اللغة العربية بخصيصة البيان، وهذا يتضح من قوله تعالى: ﴿يَلْسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ ﴿١٦٥﴾^(٢). لقد وصف الله تعالى اللسان العربي بأبلغ ما توصف به اللغة وهو البيان^(٣). والبيان هو أهم وظائف اللغة، وأفضل ما توصف وتختص به، وإذا ورد الوصف من الخالق سبحانه، دلّ ذلك على تحقق هذه الصفة فيها بقدر عظيم، وعلى وفائها بالإبانة من أكمل الوجوه. ويتمثل بيان اللغة العربية في كمال البيان اللغوي، وليس بمجرد الإبانة فقط، لأن ذلك يتحقق في غير اللغة العربية أيضاً.

وهذا ما أشار إليه ابن فارس عندما قال: «فإن قال قائل فقد يقع البيان بغير اللسان العربي لأن كل من أفهم بكلامه على شرط لغته فقد بين، قيل له، إن كنت تريد أن المتكلم بغير اللغة العربية قد يعرب عن نفسه حتى يفهم السامع مراده، فهذا أحسن مراتب البيان، لأن الأبكم قد يدل بإشارات وحركات له على أكثر مراده، ثم لا يسمى متكلماً فضلاً عن أن يسمى بيناً أو بليغاً»^(٤).

وعند تلاوة بداية سورة الرحمن يتجلى للقارئ تفوق العربية، حيث الربط بين القرآن الكريم والإنسان ونعمة البيان، التي هي إحدى نعم الله العظمى، فالبيان قد

(١) سورة البروج، الآيتان: ٢١، ٢٢.

(٢) سورة الشعراء، من الآية: ١٩٥.

(٣) انظر المزهر، السيوطي، ج ١، ص ٣٢١.

(٤) الصاحبي، ص ٤٠.

يبلغ في إدهاشه وشدة تأثيره في النفوس، واستحواذه على المشاعر، ما يبلغه السحر.

قال عز من قائل: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝﴾^(١).

■ ثانياً: دقة التعبير:

استوعب العرب كل ما أحاط بهم، فأطلقوا عليه اسماً يميزه، كأنواع الرياح والسحاب والمطر والحيوان وأصواته، ونحو ذلك.

ولكن من جانب آخر كانت يبيئهم محدودة قليلة التنوع، مما أثر على دقة التعبير بصورة محدودة، وفي نطاق ضيق، فالداوين الشعرية وكتب الأدب واللغة مليئة بألفاظ لأدق التفاصيل والجزئيات التي لاحظوها، كالمشي والهولة والركض والتمايل والتبختر والهوينى والقفز وما إلى ذلك^(٢).

■ ثالثاً: تنوع الأساليب والعبارات:

إن المعنى الواحد في اللغة العربية يمكن استخدامه في مواضع متعددة، وفي كل موقف يكون المعنى ذاته ذا تعبير مختلف عن الآخر، وقسم كبير من أنواع البلاغة وجزئياتها دليل على ذلك، كالحقيقة^(٣) والمجاز^(٤) والتصريح^(٥) والكناية^(٦) وغير ذلك....

ففي العربية مذاهب متنوعة وأساليب مختلفة تعبر عن العديد من الأحاسيس إضافة إلى الحركات القصيرة والطويلة التي تسهم في هذه الميزة، فتتألف المعاني

(١) سورة الرحمن، الآيات: ٤-١.

(٢) انظر فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، ص ١٦٥.

(٣) ما أقرّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة. الخصائص، ابن جني، ج ٢، ص ٤٤٢.

(٤) كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها. أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص ٣٥٠، تعليق محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط. الأولى ١٩٩١.

(٥) أن توضع معانٍ تحتاج إلى شرح أحوالها، فإذا شُرحت أثبتت تلك المعاني من غير عدول عنها ولا زيادة ولا نقصان. إعجاز القرآن، محمد بن الطيب الباقلائي، ص ١٤٣، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر.

(٦) الكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه ويردّفه في الوجود، فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص ٦٦.

العديدة للأصل الثابت^(١).

وهذه الخصيصة تشهد بارتقاء اللغة العربية، وسعة غايتها في البيان، فإن العبارات إذا اختلفت في أساليبها، عندئذٍ تغاير ما يُتصور في نفوس المخاطبين من المعاني، وإن كان الغرض واحداً. وإذا أصبح لدى المتكلم ملكة في العربية، أمكنه أن يتصرف في الغرض الواحد، ويفرغه في أساليب مختلفة.

ومن تنوع الأساليب إلى ما يفوق حدّ الوصف أخذ كل شاعر وكاتب طريقة يُعرف بها نظمه أو تحريره، حتى إذا تليت قصيدة لشاعر أو رسالة لكاتب قد لا تُعلم نسبتها إليه ولو كانت طريقته معروفة في التأليف، فقد لا يشتبه على القارئ أنها للأديب أو الشاعر الفلاني، فليس في طوق أحد أن يضبط أسلوباً ابتدعه كاتب أو شاعر بقواعد يدوّنها، ليتمكن بعد ذلك من إجراء تأليف معين على نمطه، من دون تردد على محرراته بالنظر الجيد، وحفظ شذور منها، بل صاحب الأسلوب نفسه ليس في طاقته أن يتصور المعنى مجملاً أو مفصلاً، ثم يطلق عليه العبارة بمقدار ما تصوّره به من الإجمال أو التفصيل، فإنه إذا وجد في التعبير حرجاً وعدم الثام مع ذوق شعره، حينئذٍ سيغيّر منهجه المؤلف.

■ رابعاً: اشتقاق اللغة:

اللغة العربية لغة اشتقاق تقوم على أبواب الفعل الثلاثي، ومقارنة مع لغات أخرى كالإنجليزية والفرنسية مثلاً، فإن اللغة العربية تفوقهما بكثير فيما يتعلق بهذه الميزة، لأن طريقة الاشتقاق في اللغة العربية تجعل اللغة متصلة فيما بينها على شكل نسيج مترابط، ولتوضيح ذلك أكثر يراعى الانتباه والمقارنة في الكلمة «كتب» بين اللغة العربية واللغة الإنجليزية.

فالاشتقاق من هذا الفعل في العربية يحصد: كاتب وكتاب ومكتبة ومكتوب ومكتب فجميع الحروف التي تؤلف أصل الكلمة تبقى موجودة في الاشتقاقات المتعددة لها، وهي: الكاف والتاء والباء.

بينما تنعدم الصلة - في كثير من الأحيان - بين أسرة الكلمة الواحدة في

(١) الفصحى لغة القرآن، أنور الجندي، ص ٩، ١٠، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

الإنكليزية، فالفعل ذاته هو (write) والكتاب (book) ومكتبة (library) ومكتب (office) ومكتوب (letter)، فلا علاقة بين الحروف الأصلية للكلمة وبين مشتقاتها، مما يؤدي في نهاية الأمر إلى اختلاف اللغة من جيل إلى آخر، دون وجود لصلة لغوية بين الماضي والحاضر^(١).

إن ثبات الحروف الأصلية للكلمة خلال عملية الاشتقاق، يساعد على ثبات المعنى الأصلي والمفهوم المشترك بين الألفاظ، وبذلك يُثبت بقاء الحروف الأصلية أثناء الاشتقاق ثوابته اللفظية والدلالية.

وهذه الميزة في اللغة العربية تتوافق مع ما يريده القرآن الكريم من قارئيه، فلتثبت المفاهيم والمبادئ والأحكام، يجب أن تكون المعاني الشائعة والمتداولة بين الناس ثابتة أثناء عملية اشتقاق الكلمات، دون أن تحدث فجوة واسعة بين الأصل اللغوي المستعمل وما انتهى إليه في صورته ومعناه، وبذلك تبقى الصلة بين أبناء اللغة العربية والنص مهما طال الزمن، وما بقاء دلالة ألفاظ العبادات والعقائد ثابتة على معناها منذ أربعة عشر قرناً إلا دليل على ذلك^(٢). ومن جهة أخرى فإن ألفاظ العربية تلبى حاجات العلوم أكثر من غيرها. وما المصطلحات العلمية التي كتبها العديد من العلماء^(٣)، باللغة العربية إلا دليل بسيط على ذلك.

(١) انظر الفصحى لغة القرآن، أنور الجندي، ص ١٧.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٥٣، ٥٤.

(٣) وعلماء العرب أكثر من أن يحصوا وذلك دون حصر للعلوم:

ففي الطب: أبو بكر محمد بن زكريا الرازي من الأئمة في صناعة الطب والحسين بن عبد الله بن سينا مرجع في الطب.

وفي الكيمياء والصيدلة: جابر بن حيان الكوفي الذي بلغت تصانيفه مئتين واثنين وثلاثين كتاباً ولاهيتها ترجم قسم منها إلى اللاتينية، ومحمد بن أحمد البيروني الذي مثل موسوعة علمية في زمانه.

وفي الفيزياء محمد بن الحسن البصري المعروف بابن الهيثم.

وفي الرياضيات محمد بن موسى الخوارزمي الملقب بالأستاذ.

وفي الفلك محمد بن جابر بن سنان الحرّاني البتاني.

وفي الجغرافية عبيد الله بن أحمد بن خردادبّه ومحمد بن حوقل البغدادي الموصلي ومحمد بن محمد بن عبد الله المعروف بالشريف الإدريسي.

انظر الحضارة العربية الإسلامية، شوقي أبو خليل، ص ٢٧٩، ٣٣٠، منشورات كلية الدعوة الإسلامية الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، ط. الثانية ١٩٩٣.

والمعاجم اللغوية تشهد أيضاً على سعة اشتقاقات اللغة، فلسان العرب - مثلاً - يحوي ثمانين ألف مادة - لا كلمة - ولا يخفى مدى التفرعات الشديدة التقارب في المعنى^(١).

إن اللغة العربية أوسع ثروة في أصول الكلمات والمفردات من أخواتها - من اللغات السامية - ومعظم أصول هذه اللغات تتوافر في العربية، بل قد تزيد على العديد من أخواتها بأصول احتفظت بها من اللسان السامي الأول، بينما ضاعت هذه الأصول في الألسن الأخرى^(٢).

وبذلك اتسعت اللغة العربية اتساعاً عظيماً، ولا عجب، فمفردات اللغة غزيرة والاشتقاق فيها كثير، وأداؤها قوي، ومع ذلك كله فإنها أكثر اللغات اختصاراً في إيصال المعاني وفي النقل إليها^(٣).

■ خامساً: الصيغ النحوية:

كما أن مفردات اللغة العربية غنية بمفرداتها وتراكيبها كذلك هو الحال في الصيغ النحوية، ويظهر ذلك خلال التناسق الذي يربط الجمل ببعضها^(٤). ومن الأمور التي تتعلق بالنحو، وقد تميزت بها اللغة العربية؛ الإعراب، وقد أورد صاحب «المزهر» فوائد الإعراب وأهميته، فهو يميز المعاني، ويوضح أغراض المتكلمين.

فلو أن أحداً قال: «ما أحسن زيد» دون إعراب وتبيان للحركات، فإنه سيترك السامع في حيرة من أمره، أما لو قال: «ما أحسن زيداً!» أو «ما أحسن زيداً؟» أو «ما أحسن زيد» عندئذٍ

سيعرف أن المراد تعجب أو استفهام أو نفي^(٥).

قد يكون لفظ الفعل في الماضي بينما يراد من حقيقة دلالة الحاضر أو المستقبل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾^(٦) فالفعل «أتى» في زمن الماضي

(١) انظر الفصحى لغة القرآن، أنور الجندي، ص ٨، ٩.

(٢) انظر فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، ص ١٦٥.

(٣) انظر الفصحى لغة القرآن، أنور الجندي، ص ١٢.

(٤) انظر المرجع السابق، ص ١١.

(٥) انظر السيوطي، ج ١، ص ٣٢٧، ٣٢٨.

(٦) سورة النحل، من الآية: ١.

لكن المراد «سيأتي» في المستقبل.

وكذلك قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^(١) الفعل «كنتم» لفظه ماضي والمراد معنى «أنتم» وهي تدل على معنى في الماضي ويستمر إلى المستقبل. وقد يحصل العكس، فيكون الفعل بلفظ المضارع والمستقبل، لكن حقيقة القصد في الماضي.

■ سادساً:

استفاض صاحب «المزهر» في ذكر ما اختلفت به اللغة العربية، وما تميّز به العرب أنفسهم^(٢). وسأنتطرق لبعض هذه النقاط، بما يتلاءم مع مقتضيات هذا المبحث:

أ - التصريف: يدل على أهميته ما قاله في «المزهر»: «من فاته علمه فاته المعظم»^(٣).

ومن أمثلة ذلك كلمة «وجد» فهي كلمة مبهمة إن تركت كما هي، لكن بعد تصريفها يحصل الإفصاح عنها فمع المال يقال: وجدْتُ وجداً (بفتح أو ضم أو كسر أوله) ووجداناً (بكسر أوله) وجِدَّة (بكسر عينه) والواجد الغني، وأوجده الله مطلوبه أي أظفره به^(٤).

ومن ذلك أيضاً مادة «قسط» يسمى الظالم الجائر قاسطاً، على زنة فاعل، لكن ما إن أدخلت الهمزة على الفعل حتى يتحول المعنى من الجور إلى العدل، فيقال للعدل «مقسط» وهو اسم الفاعل للفعل «أقسط»^(٥).

ب - الزيادة على حروف الاسم والفعل: أضاف العرب حروفاً على أسماء وأفعال معينة

اصطلحوا فيما بينهم على أنها مع الحروف المزادة تدل على شيء معيّن، وذلك لعدة أغراض، فمن الزيادة ما كان لغرض:

- (١) سورة آل عمران، من الآية: ١١٠.
- (٢) انظر السيوطي، ج ١، ص ٣٢١. ٣٤٥.
- (٣) انظر السيوطي، ج ١، ص ٣٣٠.
- (٤) لسان العرب، ابن منظور، ج ٣، ص ٤٤٥ مادة (وجد).
- (٥) انظر المزهر، السيوطي، ج ١، ص ٣٣٠.

- المبالغة: نحو «زُرُقُم» للشديد الزَّرَق^(١) و«رَعَشِن» للذي يرتعش.

- التسوئة: زيادة في الحروف تدل على أن الأمر غير جيد، نحو «شَدَقُم» للواسع الشدق. و«طِرِمَاح» للمفرط الطول.

- التقييح: ومن ذلك زيادة النون المشددة والتاء المربوطة على أصل الفعل «سمع» فيطلقون «سِمَعَةً» على من كانت كثيرة التسمع و«نِظَرْتَه» على كثير التنظر.

كما أنهم كرروا بعض حروف الفعل إضافة إلى الزيادات، فمن ذلك قولهم «احلولى» لما كان زائداً في الحلاوة وذلك بقصد المبالغة^(٢).

ج - ذكر الجمع وإرادة المفرد وبالعكس: قد تذكر العرب الواحد وتريد الجمع، يقولون: «ضيف، عدو» قال الله تعالى حكاية عن سيدنا لوط عليه السلام عندما جاءته الملائكة خاطب قومه: ﴿قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾^(٣) وقال عز من قائل: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾^(٤) والمراد ضيوفي وأطفالاً.

وعكس ذلك أيضاً فيذكر الجمع ويراد واحد أو اثنان، قال تعالى لنبية عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٥)، والمنادي هو شخص واحد^(٦)، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ نُوَبِّأُ إِلَى اللَّهِ فَفَدَّ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾^(٧)، فالفعل «صغت» بصيغة الجمع مع أن الفاعل مثنى فهما قلبان^(٨).

(١) الزَّرَق: يفتحتين، البياض الشديد الواضح في بعض العظم. انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ١٠، ص ١٣٩ مادة (زرق).

(٢) انظر المزهري، السيوطي، ج ١، ص ٣٣٣.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٦٨.

(٤) سورة الحج، من الآية: ٥.

(٥) سورة الحجرات، من الآية: ٤.

(٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وكان في أذنه وقر، وكان جهير الصوت، وحديثه في انقطاعه في بيته أياماً بسبب ذلك مشهور وأنه قال: يا رسول الله لما أنزلت خفت أن يحبط عملي فقال له رسول الله ﷺ (إنك من أهل الجنة). البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٩، ص ٥٠٨.

(٧) سورة التحريم، من الآية: ٤، وهما قلبا السيدة عائشة وحفصة رضي الله عنهما، انظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي ج ١٠، ص ٢١٠.

(٨) انظر المزهري، السيوطي، ج ١، ص ٣٣٣.

د - إقامة الكلمة مقام كلمة أخرى: من ميزات اللغة العربية إمكانية إطلاق كلمة على وزن معين، لكن المقصود هو وزن آخر، وسرُّ العربية يظهر في تلبية المعنيين؛ المقصود والملفوظ وذلك على ضروب، منها:

- إقامة المصدر مقام الأمر: كقوله تعالى: ﴿فَضْرَبَ الرَّقَابَ﴾^(١). أي اضربوا الرقاب.

- إقامة اسم الفاعل بدلاً من المصدر، كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَوْعِنَا كَاذِبَةٌ﴾^(٢) والمعنى؛ تكذيب.

- إقامة اسم المفعول مقام المصدر، منه قوله عز وجل: ﴿يَأَيَّتِكُمُ الْمُفْتُونُ﴾^(٣) أي الفتنة.

- مجيء وزن اسم المفعول بدلاً من اسم الفاعل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿حِجَابًا مَسْتُورًا﴾^(٤) والمعنى؛ حجاباً ساتراً^(٥).

■ سابعاً:

عقد ابن فارس في كتابه باباً خاصاً فيما نظم للعرب لا يقوله غيرهم، فقال إن مما تقوله العرب دون الآخرين «عاد فلان شيخاً» ولم يكن شيخاً في السابق حتى يعود، وكذلك «عاد الماء أجناً»^(٦) ولم يكن أجناً من قبل ليعود.

وقد ورد من ذلك في كتاب الله عز وجل، فقال تعالى عن حال الكافرين:

﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾^(٧) ولم يكونوا في مرحلة من مراحل حياتهم ضمن النور^(٨).

■ ثامناً: لغة نمو:

لا يخفى على أحد أن حياة اللغة وموتها يؤخذان بعين النظر، فإن اللغة الحية هي التي تكون معايشة بأوضاعها لكل ما يجد من مستحدثات الحياة.

(١) سورة محمد ﷺ، من الآية: ٤. (٢) سورة الواقعة، الآية: ٢.
 (٣) سورة القلم، الآية: ٦. (٤) سورة الإسراء، من الآية: ٤٥.
 (٥) انظر المزهري، السيوطي، ج ١، ص ٢٣٧، ٢٣٨.
 (٦) هو الماء المتغير الطعم واللون، لسان العرب، ابن منظور، ج ١٣، ص ٨.
 (٧) سورة البقرة، من الآية: ٢٥٧. (٨) الصاحبى في فقه اللغة، ص ٢٦٦.

والعربية قد غنيت بأوضاعها، وفيها من أسباب النمو ما يحفظ عليها شباب الدهر، فهي لم تترام إلى هذا الاتساع إلا بعد أن قلبت على وجوه كثيرة في الاستعمال، وأديرت على مناح مختلفة من الوضع، حتى صارت لغة الحياة المنبسطة، تعرفها الألسنة والأقوام، في مناح من العلوم والآداب والصناعات التي قام بها التمدن الإسلامي^(١).

فعلماء العربية عندما اطلعوا على علم المنطق - مثلاً - عند اليونان سواء أكان مباشرة أو من خلال السريانية، لم يأخذوا الألفاظ كما هي ونشروها، بل وضعوا لها أسماء جديدة، فقالوا: موضوع ومحمول وقضية ومقدمتين صغرى وكبرى وغيرها من المصطلحات وكذلك أيضاً في علوم الفلسفة، لم يحتج علماء العرب إلى لغة غيرهم، بل رأوا في لغتهم ما يفي بالغرض، ويؤدي معاني ألفاظ ذلك العلم فقالوا: موجود، معدوم، عرض، جوهر وغيرها من مصطلحات فلسفية.

وبذلك أثبتت اللغة العربية جدارتها كلغة نمو باستغنائها عن اصطلاحات اللغات الأخرى، وابتكار ألفاظ أدت المعاني المطلوبة، إلا فيما لم يكن معروفاً من قبل، فاستُعيِرَ ما لا يُعَدُّ بالحسبان من مسميات بعض النباتات والحيوانات^(٢).

■ تاسعاً: دلالة بعض الحروف على المعاني:

بعد استقرار للعديد من الكلمات، وأثر دخول الحروف عليها من حيث الدلالة، لوحظ أن وجود بعض الحروف في العديد من الكلمات يفيد دلالة معينة، فمن ذلك وقوع الحاء في آخر الكلمة، فإنها تدل على الظهور أو الامتداد أو التفريق، ومن ذلك الكلمات التالية:

باح السرّ، وأباح الشيء، وفاح الطيب، وساح الماء - إذا تفرّق على وجه الأرض - ويُقال صاح الرجل - إذا مدَّ صوته وعلا -

بينما حرف الشين إذا كان في أول الكلمة فإنه يفيد غالباً:

التفريق: شئت جمعهم - شطر الخبز.

(١) تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ج ١، ص ١٧١، ١٧٢، - بتصرف -.

(٢) انظر الفصحى لغة القرآن، أنور الجندي، ص ١٤، ١٥.

الظهور: شاع الخبر - شَفَّ الثوب^(١).

■ عاشرًا: المميزات اللسانية والصوتية:

إن طبيعة النطق بالحروف العربية وكلماتها، تجعل اللسان يتحرك ضمن مقادير مضبوطة،

فالحروف التي يتلفظ بها اللسان، متوازنة كتوازن الميزان، وميله إلى إحدى الكفتين بقدر ما يثقل بالوزن أو يترك فارغاً.

لقد هذبت كل قبيلة من طريقة نطقها بما يتناسب مع طبيعتها بين الخفة والثقل، فما عُدِّل من هيئات النطق، إنما هو هروب من استئصال النطق بالحروف، أما المقبول والمعدول إليه، فهو الخفيف على الألسنة.

وهذا أمر ذوقي، فالثقل والخفة ليس بمقدور أيّ كان أن يلحظها، إلا من كان متمتعاً بالذوق والحس اللساني، وبما أن ذلك أمر نسبي، فمن الصعب أن يجتمع عليه الناس إلا ضمن ضوابط عامة، لكن بعدما انطبعت الألسنة على لغة القرآن الكريم، وجرت ألفاظه في المسلمين - تلاوة وحفظاً وتطبيقاً - كجريان الدم في العروق، ضمن أطوار متعددة بما يناسب الأزمان المتعاقبة والمختلفة، حتى بلغ مرحلة قريبة من الكمال، عندئذٍ تألف ذوق عام لتقدير لهجات القبائل المتعددة، وبدأ التمييز بينها خفة وثقلاً، وبدأت تتبلور القوانين والضوابط، لتكون الحروف موافقة لمنطق العرب^(٢)، راجعين في ذلك إلى موازين القرائح التي لا تميل بطبيعتها إلا مع الاستئصال والاستخفاف على ما يكون بين مقاديرهما من التفاوت^(٣).

لقد اقتصرنا على ذكر أبرز الخصائص والمميزات للغة العربية، ولو أردت الإتيان على جميع مميزات اللغة العربية، وبيان ما في أوضاعها وتصاريفها من الخصائص البالغة حدَّ العجب، لأوردت من ذلك ما يضيق به المقام، فأخرج

(١) انظر اللغة العربية في رحاب القرآن الكريم، عبد العال سالم مكرم، ص ٧، ٨، عالم الكتب، ط. الأولى، ١٩٩٥.

(٢) انظر تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ج ١، ص ٩٨، ٩٩.

(٣) انظر المرجع السابق، ج ١، ص ٩٩، ١٠٠.

عندئذٍ عمّا توحيته في هذه العجالة من التنبيه على جمال أسرار هذه اللغة، فقد تبين أن لها الفضل من جهة اعتدال كلماتها، حيث إن أكثر ألفاظها قد وضع على ثلاثة أحرف، كما لها الفضل من جهة فصاحة مفرداتها، فليس في كلماتها الجارية في الاستعمال ما يثقل على اللسان أو ينبو عند السمع.

إن الباحث المنصف لا يسعه إلا أن يسلم بأن هذه الخصائص - وإن كانت للغة العربية - أن تكون بعضها مشتركة مع لغات أخرى وذلك لا يقدر في منزلة اللغة العربية، ولا يمثل أدنى نقیصة فيها، فصحيح أن كل اللغات تهدف إلى الإبانة والإفصاح والإعراب عما في القلب، لكن وإن اشتركت في الهدف والقصد إلا أن اللغة العربية ترتقي في مدارج الكمال، وتسمو إلى لون من البيان فيه الحال، ومراعاة مقتض الحال، وفيه من السبك والرصف وطرائف البيان ومحسنات الألفاظ، ما لا يجتمع في لغة أخرى، فبعض اللغات التي منح الله تعالى اللاهجين بها، بعض الخصائص التي هي في اللغة العربية، إلا أنها في اللغة التي نزل بها القرآن الكريم كاملة تامة غير منقوصة، ومما يزيد الأمر وضوحاً، ما جاء في وصف اللسان العربي بأنه لسان مبین، قال تعالى: ﴿لِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (١).

فقد نعت رب العزة - المانح المعطي - اللسان العربي بأنه «مبین» اسم فاعل، ولم يوصف اللسان بأنه «بَيِّن» وإنما وصف بأنه «مبین» فكأنه كامل في البيان، قادر على تبيان ما ينطق به، فهو بَيِّن في نفسه مبین لغيره، مما يشتمل عليه من أمور الحياء والحياة، وتوضيح المناهج وتمهيد الطرائف.

واليوم، وبعد استمرار هذه اللغة في خلال العديد من القرون، يجد المتأمل عدة خصائص لها ميزاتها تضاف إلى ما سبق ذكره، ومن ذلك (٢):

- ١ - إنها رابطة عامة لعدة من الخلائق في المغارب والمشارك، ولحمة عظمى لجملة من الأمم، صلتها من أكد الصلوات، وحرمتها من أعظم الحرم.
- ٢ - هي مفتاح العلوم، ومصباح الفهوم، وواسطة لإدراك ما يجده الإنسان، ويقع تحت العيون والأذان من التآليف العديدة ومن الأغراض المتنوعة والفنون المفيدة.

(١) سورة الشعراء، من الآية: ١٩٥.

(٢) هذه المميزات مجملة عن تفصيل في لغة القرآن الكريم، عبد الجليل عبد الرحيم، ص ٨، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ط. الأولى، ١٩٨١.

٣- لغة تجعل صاحبها قادراً على إرسال أشعة أفكاره إلى أبناء جلدته، فيستجلون ضياء أنواره، ولا يجدون في طريقهم عقبات لفهم مراده.

٤- إنها لغة حياة، أدت رسالتها، ووفت بحاجة كل من اتخذها لغته، وعبرت في عصورها المختلفة عن حاجات المجتمعات التي اتخذتها لغة لتعبر بوساطتها، ولم تعجز قط عن تلبية الرغبات، ومسايرة التطور ولم تجمد في ماضيها أو تقف عن السير مع الزمن والحياة.

٥- غير قابلة للانعدام كغيرها من لغات الأنعام، لأنه أنزل بها كتاب عربي

مبين.

٦- لغة مقدسة قداسة سماوية مباركة، وأرضية مكرمة، أما السماوية فتنبعث من أنها لغة الوحي والتنزيل الإلهيين، وأما الأرضية فهي انعكاس للقداسة السماوية منبعثة من أن هذه اللغة هي لغة الحضارة الإنسانية المتجسدة في الحضارة العربية الإسلامية.

٧- يكفي هذه اللغة شرفاً ورفعة أن اللغات تستخدم كوسيلة للتخاطب والتفاهم بين أفراد البشر، أما اللغة العربية فهي وسيلة للتخاطب بين البشر وبين المولى عز وجل.

والصفوة تُظهر أن اللغة تحمل في صميمها وأعماقها أسباب حياتها وبقائها وهي من الثراء الذي لا حدَّ له، تستطيع أن تعطي بسخاء كل ما يطلب منها في كل زمن، فهي لم تعجز قط، ولن تعجز عن الوفاء بمطالب إنسان هذا العصر في أي مجال، وفي كل ميدان، وما دامت العربية اتسعت هذا الاتساع الشامل في الماضي، فهي لا تضيق في الحاضر والمستقبل لكل جديد.

■ سبب نزول القرآن الكريم باللغة العربية:

في «سبب نزول القرآن الكريم باللغة العربية»، يمكن القول إنه لا بُدَّ من الاعتماد على ما سبق ذكره من ميزات، وما لا تتسع له الصفحات من خصائص لكثرتها، فكل ذلك كفيلاً أن يجعل هذه اللغة لغة لكتاب رب العزة، لكن إضافة إلى أنها أداة طيِّعة لآيات الذكر الحكيم ومعانيه العظيمة، ذكر صاحب «المزهر» سبباً آخر فقال: «وقد جاء القرآن بجميع هذه السنن لتكون حجة الله عليهم أكد، ولثلاً يقولوا إنما عجزنا عن الإتيان بمثله، لأنه بغير لغتنا، وبغير السنن التي

نستنها. فأنزله جلّ ثناؤه بالحروف التي يعرفونها، وبالسنن التي يسلكونها في أشعارهم ومخاطباتهم، ليكون عجزهم عن الإتيان بمثله أظهر وأشعر^(١).

لقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجْمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾^(٢).

يقرر الحق سبحانه، أنه لو أنزل بلغة العجم - لا تتبين معانيه لهم - لقالوا على وجه التعنت والعدا، هلاً أنزل مفصلاً آياته مبينة واضحة لفهمها؟ ولأنكروا ذلك فقالوا: أعجمي وعربي!؟ فكيف ينزل كلام أعجمي على مخاطب عربي لا يفهمه؟

إن قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجْمِيًّا﴾ هو جواب لقولهم: هلاً أنزل القرآن بلغة العجم؟ ويرى بعض العلماء^(٣) أن المراد فصلت آياته فجعل بعضها أعجمياً لإفهام العجم وبعضها عربياً لإفهام العرب، والمقصود من الجملة الشرطية «لو فصلت آياته» إبطال مقترحاتهم، وهو كونه بلغة العجم، إذا لا معنى لإنزاله أعجمياً على من لا يفهمه، أو الدلالة على أنهم لا ينفكون عن التعنت، فإذا وجدوا الأعجمية طلبوا أمراً آخر... وهكذا...^(٤).

(١) السيوطي، ج ١، ص ٣٤٢.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٤.

(٣) منهم ابن عطية، انظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلس، ج ٩، ص ٣١٢.

(٤) انظر المرجع السابق، ج ٩، ص ٣١٢.

القبائل التي وردت لهجاتها في القرآن الكريم

إن القول بأن مفردات قرآنية مخصوصة هي لغة لأهل الحجاز، وكلمات أخرى هي لهجة لتميم، هو إطلاق واسع جداً، تنطوي تحته مساحات واسعة من أراضي شبه الجزيرة العربية، ويضم قبائل عديدة ومتنوعة، سواء من الحجاز أو من نجد.

فالخلط في نسبة اللهجات يدع الباحث في حيرة من أمره بين العزو إلى القبائل حيناً أو إلى البيئة الجغرافية حيناً آخر.

إن الحجاز يجمع مدناً كثيرة كمكة المكرمة، والمدينة المنورة، والطائف، وغيرها... وكل واحدة من هذه الحواضر تحتضن بدورها، أكثر من قبيلة على أرضها، فالتعبير بلهجة قريش على أنها لهجة أهل الحجاز، أو التعبير عن لهجة تميم بأنها لهجة نجد^(١) ليس دقيقاً، فقريش لم تكن وحدها في الحجاز، وكذلك نجد لم تكن تميم وحيدة فيها، بل قد يكون هذا التعبير فكرة لدى البعض أن لهجة الحجاز مقابلة لللهجة نجد أو لللهجة تميم^(٢).

غير أن بعض اللغويين يفرق بين لهجة تميم ولهجة نجد، أو بين لهجة قريش ولهجة الحجاز^(٣)، فهم أدركوا أن الإشارة إلى لغة قريش توشي إلى إنها لا تشمل

(١) وهذا ما حصل لدى بعض اللغويين، فقد دمجوا بين لهجة تميم ولهجة نجد، ومن ذلك انظر المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، علي بن إسماعيل بن سيده، ج ٥، ص ١١٩، تحقيق إبراهيم الأبياري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط. الأولى، ١٩٧١، مادة (نخل).

(٢) وقد أفرد صاحب (المزهر) باباً خاصاً بعنوان (ذكر ألفاظ اختلفت فيها لغة الحجاز ولغة تميم) انظر المزهر، السيوطي، ج ٢، ص ٢٧٥.

(٣) انظر تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، محمد بن مالك، ص ٢٥٤، تحقيق محمد كامل بركات، =

بالضرورة لغة قبائل جميع الحجاز، وكذلك لهجة تميم لا تشمل لغة جميع قبائل نجد، خاصة أن بعض القبائل عُرف قسم منها في نجد وقسم آخر في الحجاز أو العكس.

لكن التماس العذر لمن عبّر بالإطلاق العام للهِجَة الحجاز أو لهجة تميم، يكون من خلال القول بأن إطاراً عاماً ذا خصائص لغوية يشد الجميع، وإن افرقت لهجاتهم بعضها عن بعض في طائفة من مظاهرها، لكنها تنطوي جميعاً تحت ما اصطلح عليه لغة نجد^(١)، أو ما اصطلح عليه لغة الحجاز.

إن الحديث عن اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، يحمل في طياته كثيراً من الأمور المشككة، التي تجعل الوصول إلى نتائج حاسمة في هذا المجال أمراً متعذراً، وذلك يعود إلى أسباب كثيرة؛ أبرزها:

- فقدان كتب كثيرة أُلُفت في لغات القرآن الكريم^(٢).

- ورود كثير من المفردات والألفاظ دون أن تعزى إلى أهلها، ولو أنها جاءت معزوة، لاستطاع الباحث أن يدرك بيسر وسهولة ما ورد في القرآن الكريم من لغة هذه القبيلة أو من لغة تلك.

وتبعاً لذلك يمكن رصد ثلاثة مذاهب بشأن اللغة التي نزل بها القرآن الكريم:

■ أولاً:

مذهب يرى أن القرآن الكريم إنما نزل بلغة قريش وحسب، ويستدل أنصار هذا القول بأن قريشاً كانت لها السيادة اللغوية والدينية والتجارية والسياسية، والأجدد لمن تجتمع له هذه السلطات أن يسيطر على من حوله من دون الاقتصار على لغته وحسب، وهذا كله أهلها حمل هذا الشرف العظيم وجعل لغتها خالدة مع القرآن الكريم.

دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، مصر، ١٩٦٧، وانظر إصلاح المنطق يعقوب بن السكيت، ص ٣٠، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ط. الثانية، ١٩٥٦، وانظر المخصص، ابن سيده، ج ٤، سفر: ١٥، ص ٧٤.

(١) لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، غالب فاضل المطليبي، ص ٤٥.

(٢) ومن الأعلام الذين أُلُفوا في اللغات الواردة في القرآن الكريم: الفراء، الأصمعي، ابن النديم وابن دريد، انظر اللغات في القرآن، ابن حسنون المقرئ، ص ٥.

فمن الناحية اللغوية، تعدُّ قريش من أفصح العرب السنة وأنقاهم لغة وأنقنهم لساناً، فقريش التي قيل عنها: «أوسط العرب في العرب داراً، وأحسنه جواراً، وأعربه السنة»^(١). وقيل أيضاً: «لا يملينَّ في مصاحفنا إلا غلمان قريش وثقيف»^(٢) وما ذلك إلا ثقة بلغة قريش، فالعرب كانت تعرض أشعارها على قريش، فما قبلوه منها كان مقبولاً، وما ردَّوه منها كان مردوداً^(٣).

«فارتفعت لغتهم عن كثير من مستبشع اللغات ومستبجها، وبذلك مروا على الانتقاد، حتى رقت أذواقهم، وسمت طبائعهم، وقويت سلائقهم، وحتى صاروا في آخر أمرهم أجود العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً وأبينها إيابة عما في النفس»^(٤).

ولم يقتصر اقتراب القبائل من الفصاحة على اعتمادهم ما أقرته لهم قريش، بل إن المسافة الجغرافية أسهمت أيضاً في ذلك، فكلما بعد القوم عن قريش زادت الهوة بينهم وبين الفصاحة.

ومن أبرز ما قامت به قريش في تنقيتها للهجات العرب، وفي كسبها التجاري ما تمثل بسوق عكاظ^(٥)، فقد استطاعت قريش بذكائها وفكرها العملي المنظم أن تنقل إلى مكة المراكز الرئيسة للتجارة، وبسطت حول هذه المراكز جواراً ساحراً من القداسة، إضافة إلى ما كان لها من تقديس، وأقامت أنصاباً وأصناماً لسائر قبائل العرب على اختلاف معتقداتهم، كما نظمت الأمور الدينية والدينيوية في مكة المكرمة بشكل حاز على إعجاب العرب، فكان أن وقر في الأذهان أن مكة المكرمة لا تقرُّ فيها بغياً ولا ظلماً، فصار لها في صدور الناس رهبة لا تحدها حدود، فالجميع يحمل معه خيرات بلاده إن كان تاجراً، ونقوده إن كان مستهلكاً، وكلماته إن كان شاعراً، ومظلمته إن كان مظلوماً.

وباستشارة العرب لقريش، والأخذ بما وافقوا عليه واستحسنوه، تكونت

(١) قول سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ١، ص ٥٨٨.

(٢) قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، انظر الصحاحي، ابن فارس ص ٥٧، ٥٨، وما بعدها.

(٣) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ج ٢٤، ص ٨٤٢٣.

(٤) تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ج ١، ص ٩٤ وما بعدها.

(٥) انظر الفصل الثاني من هذه الرسالة، ص ٩٦، ٩٧.

وحدة لغوية بين العرب، وابتعدت كل البعد عن الاضمحلال والتمزق^(١).

لقد صرف أصحاب هذا المذهب معنى قوله ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»^(٢)

إلى أن الأحرف التي نزل بها القرآن الكريم، كلها ترجع إلى لهجة قريش بالنظر إلى أنها أحاطت وحوث لغات العرب، فأخذت قريش ما استحسنته خلال مواسم الأسواق والحج والوقائع، بعد تهذيبه واستخلاص الشوائب منه، وبذلك تكون قريش قد جمعت في لغتها لهجات جميع القبائل بعد حسن الاختيار والانتقاء^(٣).

وإشراف قريش على البيت العتيق وخدمتها لحججه جعلها تحصد السيادة الدينية من بين العرب، فقد كانت القبائل تقصد مكة المكرمة كل عام بهدف العبادة المتنوعة بين الحنيفية والثنية وكانت قريش تشارك القبائل الوافدة إليها في شعائرها.

إن القدسية التي كانت في نفوس القبائل تجاه البيت والحرم، نالت قريش نصيباً منها سواء أكان ذلك بطريق مباشر أم غير مباشر، فهم سكان البيت، وأقرب الناس إلى ذلك المكان، فلا بُدَّ من أن تصيهم بركة منه، بل إن قريشاً كانت حكماً

(١) انظر تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ج ١، ص ٩٧.

(٢) روى سيدنا عمر بن الخطاب حادثة جرت بينه وبين هشام بن حكيم فقال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها، وكان رسول الله ﷺ أقرانها، فكادت ان أعجل عليه، ثم أمهلت حتى انصرف، ثم لبيته بردائه، فجئت به رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرانها، فقال له رسول ﷺ: اقرأ، فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: هكذا أنزلت، ثم قال لي: اقرأ، فقرأت فقال: هكذا أنزلت ثم قال: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقروا ما تيسر منه».

أخرجه البخاري في صحيحه، ج ٣، ص ١٨٠٢ كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، حديث رقم: ٤٧٠٦ كما وأخرجه في ج ٤ ص ٢٥٨٢، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿فَأَقْرَأُوا مَا تَسْرَمُونَ﴾ حديث رقم: ٧١١١، وكذلك أخرجه أبو داود في سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، ج ٢، ص ٧٥، ٧٦، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، كتاب الصلاة، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، حديث رقم ١٤٧٥.

(٣) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ج ١، ص ١٩٠.

عادلاً بين كثير من المختصمين الذين يلجؤون إليها لحل نزاعاتهم^(١)، وما ذلك إلا دليل على الحنكة السياسية التي تميزت بها قريش عن غيرها، وعلى السيادة السياسية التي تمتعت بها.

وكان للموقع الذي تسكن فيه قريش دور في تكوين سيادة تجارية متينة، لم يقتصر على العرب، بل مع غيرهم أيضاً، فهي ممر طريق للعديد من القوافل، إضافة إلى المعاهدات التجارية التي عقدت مع الروم وفارس والحبشة وحمير، وكل ذلك يعتمد على أسلوب التعامل بشكل أساسي، والقدرة على توفير الأمن والحماية للقوافل، وقد برعت قريش في ذلك، فذاع صيتها بين التجار إلى أن أصبحت ذات سيادة وقوة ونفوذ تجاري^(٢).

يضيف أصحاب هذا الرأي أن الله عز وجل قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا يَلْسَانُ قَوْمِهِ لِتُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٣). وهو يعد دليلاً صريحاً على نزول القرآن بلهجة قريش، فالرسول الكريم من مكة المكرمة، وهي مسكن قريش، ونزول الذكر الحكيم بلغتهم حجة عليهم وإعجاز لفصاحتهم^(٤).

فمجملة استدلالات القائلين بأن القرآن الكريم نزل بلغة قريش، أن قريشاً كان لها نفوذ واسع على جميع العرب بسبب مركزها الديني الروحي والاقتصادي المادي، دون إغفال للنفوذ السياسي، ففي مكة المكرمة - مهد قريش - الكعبة المشرفة موضع اعتقادهم، وفيها منافع لهم يطلبونها في التجارة والمال، وفيها نفوذ السلطة وقوة المركز، فهي أم القرى، وفيها أسواق الشعر، والمفاخرة بنتاج القرائح، فذلك كله هيا للهجة القريشية أن يعلو سلطانها اللهجات القبلية الأخرى فتكون لغة القرآن الكريم.

ويجمع أحد^(٥) علماء الأدب العربي الأسباب التي تؤدي إلى إيقان الباحث

(١) انظر في أدب الإسلام، محمد عثمان علي، ص ١٤. ١٦.

(٢) انظر المرجع السابق، محمد عثمان علي، ص ١٣.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٤.

(٤) انظر الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ج ١، ص ١٣٥.

(٥) طه حسين في كتابه: في الأدب الجاهلي، مطبعة الاعتماد، مصر، ١٩٢٧.

بأن القرآن الكريم قد نزل بلهجة قريش، فيقول: «فنحن مضطرون أمام هذا الإجماع من جهة، وأمام قرشية النبي من جهة أخرى، وأمام نزول القرآن في قريش من جهة ثالثة، وأمام فهم قريش للفظ القرآن في غير مشقة ولا عنف من جهة رابعة، وأمام اتفاق القرآن في اللغة واللهجة مع ما صحَّ من حديث النبي القرشي ومن الرواية عن أصحابه القرشيين من جهة خامسة إلى أن نسلم بأن لغة القرآن إنما هي لغة قريش»^(١).

«فلو لم يكن بلسان قريش ما اجتمع له العرب ألبتة... وكان ذلك مغمزاً فيه، إذ لا تستقيم لهم المقابلة حينئذٍ بين القرآن وأساليبه، وبين ما يؤثرونه من كلام النبي ﷺ، فيهتون ذلك على قريش ثم على العرب، فيجدون لكل قبيلة مذهباً من القول فيه، فتنشق الكلمة، ثم يصير الأمر من العصبية والمشاحنة والبغضاء إلى حال لا يلتئم عليه أبداً»^(٢).

وبالمقابل رفض صاحب كتاب «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» القول بنزول القرآن الكريم بلغة قريش وحدها دون لهجات باقي القبائل وردّ على كل جزئية من جزئيات أدلة من عارضه قائلاً^(٣):

- قال الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾^(٤) ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٥) ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حَكَمًا عَرَبِيًّا﴾^(٦) ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾^(٧).

فهذه الآيات تشير إلى أن لغة القرآن الكريم هي العربية، ولم يذكر في كتاب الله عز وجل ما يشير إلى أنه نزل حصراً بلغة قريش دون غيرها^(٨). فالعربية تجمع تحتها العديد من القبائل قريش وغيرها، أنصار ومهاجرين، أهل الحضر وأهل المدر^(٩)، وما تحدي القرآن الكريم للعرب جميعاً بأن يأتوا ولو بأية تشبه آياته في

(١) في الأدب الجاهلي، طه حسين، ص ١١٠، ١١١.

(٢) تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ج ٢، ص ٦٢، ٦٣.

(٣) انظر، جواد علي، ج ٨، ص ٦٤٠-٦٦٩.

(٤) سورة النحل، من الآية: ١٠٣. (٥) سورة يوسف، الآية: ٢.

(٦) سورة الرعد، من الآية: ٣٧. (٧) سورة الشورى، من الآية: ٧.

(٨) انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ج ٨، ص ٦٤١.

(٩) انظر المرجع السابق، ج ٨، ص ٦٥٤.

الفصاحة والبلاغة إلا دليل على ذلك، فقد قال المولى عز وجل: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا زَلَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾^(١).

فلو أن القرآن الكريم نزل بلغة قريش لقال الكفار عندئذ، هذه ليست لهجتنا، ولا شأن لنا بها، لكن قوة التحدي التي انطلقت منها القرآن الكريم؛ أن هذه لهجاتكم في هذا الكتاب، فأتوا بمثلها في السبك والإعجاز اللغوي - إن استطعتم^(٢) -.

- ويعدّ صاحب «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» أن الأسباب السياسية والتجارية والدينية مبالغ فيها، ولا يمثل الكلام عليها واقع الحال.

فمن الناحية السياسية عرف عن سادة^(٣) من مكة المكرمة أنهم كانوا يتوددون لكثير من الحكام ويتقربون إليهم، وما أن سمعوا أن ملكاً تبوأ كرسي الحكم حتى أسرعوا إليه مهتئين بغية نيل العطف والرعاية والهبات، ومنهم ملوك اليمن وحكام العراق وبلاد الشام والحبشة، وما مصانعتهم لهؤلاء وغيرهم إلا من أجل تسهيل مرور التجارة العابرة من أراضيهم، فقريش عيّرت بأنها لا تحسن القتال ولا تخرج إليه إلا عند الضرورة القصوى، وما حصلت قريش على مكة - من الأزد - إلا بعد أن ساعدتهم الروم^(٤).

ويتابع صاحب «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» أن ذلك كله ليس من السياسة في شيء، بل هو دليل ضعف ووهن^(٥).

لكن تعامل قريش مع النبي ﷺ ودعوته ينبئ عن غير ذلك، فهم لم يكفروا إلا عناداً، مع أنهم أدركوا أن ذلك الدين نجاة لهم ويكسبهم عزّ الدنيا والآخرة، وعرفوا فصاحة القرآن الكريم، وأنه ليس بكلام بشر، ومع ذلك أصروا وعاندوا، كما أنهم استعملوا السياسة مع النبي ﷺ، عندما عرضوا عليه الملك والمال

(١) سورة البقرة، من الآية: ٢٣.

(٢) انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ج ٨، ص ٦٤١، ٦٤٢.

(٣) كجدّ النبي ﷺ عبد المطلب وغيره.

(٤) وذلك في زمن قصي بن كلاب، فهو جمّع قريش ووطد حكمها على مكة المكرمة انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ج ٨، ص ٦٤٢، ٦٤٣.

(٥) انظر جواد علي، ج ٨، ص ٦٤٢، ٦٤٣.

وعرض الدنيا، وغيرها من المواقف، فإذا كانت قريش تعرف نفسها أنها ضعيفة العدة والعتاد أمام جيوش اليمن وغيرها، وبادلتهم المودة وطيب العلاقات، فإن ذلك لا يمكن عدّه جنباً بل هو من عمق السياسة ومعرفة التعاطي مع الآخرين بعد إدراك مقدرتهم، فهم حاربوا النبي ﷺ في أكثر من معركة، ولعل قريشاً كانت تدرك الفرق الدقيق بين الشجاعة والتهوّر، وذلك يزيد في كفة ميزان حسن التعاطي السياسي لقريش، ولا ينطوي أبداً تحت باب الجبن، فهذا ليس من صفات العرب، سواء في ذلك قريش وغيرهم، فإذا عرفت قبيلة بالخوف من عدوها، فإنها تعاب في المجالس العامة قبل الخاصة، إلى أن تتصدى للقاء الآخرين.

- أما عن السيادة اللغوية فينفيتها صاحب «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» قائلاً: «ولم نسمع أن الشعراء كانوا يقصدون تجار قريش للتباري أمامهم بإنشاد الشعر أو أنهم كانوا قد اتخذوا موسماً يقصده الشعراء من سائر أنحاء جزيرة العرب للتباري بقول الشعر، لا في موسم الحج ولا في غيره. إن سادة مكة تجار، والتاجر لا يعرف إلا الكسب وجمع المال، وما شأنه وبضاعة الشعراء!»^(١).

ولعل الكاتب قد أجحف قريشاً والتاريخ أيضاً بهذا الكلام، فكتب اللغة والأدب^(٢) القديمة منها والحديثة، قد ملئت بالحديث عن الأسواق الشعرية للعرب، بل وإن الكاتب يناقض نفسه في المجلد ذاته، فبعد اثنتي عشرة صفحة من كلامه السابق يقول: «وأما ما زعموه من دور (عكاظ) في تهذيب اللغة، وأثر قريش فيه، فإن كان لعكاظ أثر في تباري العرب في النثر وفي الشعر، فإنك لا تستطيع إرجاع هذا الأثر إلى عمل وفعل جماعة معينة... وما قريش إلا كغيرهم من قُصّاد هذا المكان من حيث المجيء للبيع والشراء والاتجار»^(٣).

إن التناقض بين النصين واضح، فبعد القول بعدم السماع بموسم يقصده الشعراء للتباري في الشعر من كافة أنحاء الجزيرة، جاء التصريح بأن سوق عكاظ

(١) المرجع السابق، ج ٨، ص ٦٤٧.

(٢) منها انظر بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، محمود شكري الألوسي ج ١، ص ٢٦٧، ضبط محمد بهجة الأثري، دار العلمية، بيروت، ط. الثانية، وتاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ج ١، ص ٩٥، ٩٦.

(٣) انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ج ٨، ص ٦٥٩، ٦٦٠.

لم يكن صنع قريش وحدها.

وما المانع من قول التجار للشعر؟ ومن القائل بأن جميع أفراد قريش هم تجار؟ صحيح أن قريشاً برعت بالتجارة، لكن حالها كحال سائر المجتمعات، يتوافر فيهم الغني والفقير، والعالم والجاهل، والأديب والشاعر...، يضاف إلى ذلك أن التاجر قد يكون أجود شعراً وأصدق شعوراً من غيره، فهو لا يؤلف بغية الحصول على المال، شعره بعيد عن التصنع والتزلف وعن كل ما يضعف الصياغة الشعرية، بل إن التاجر قد يكون أصفى بالاً من غيره، فهو لا همّ له في جلب الرزق لأهله، فغالباً ما يكون مرتاح البال.

- وكما نقض السيادتين السياسية واللغوية لقريش يرفض صاحب «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» كون مكة المكرمة بلداً وحيداً للتجارة، مما يضعف من موقف قريش التجاري، فليست وحيدة في الساحة، ولا كل الاعتماد عليها، فهناك اليمن واليمامة والبحرين، وغالبية أهل الحضر في الجزيرة، هم تجار ولا يمكن تجاهل يهود يثرب، ولكن القرآن الكريم هو الذي شهر قريشاً بالتجارة فقد نزلت سورة خاصة في القرآن الكريم تتكلم على قريش ورحلتها، وهي سورة «قريش»، وهذا ما عدّه المؤلف من حسن حظ قريش، مما يزيد من الإعلان والإشهار لها مع أنها ليست وحيدة في هذا المجال^(١).

- وبالنسبة للسيادة الدينية المنسوبة لقريش، فيعدّ المؤرخ أن ذلك الصيت مصطنع، فلكل قبيلة صنم تتقرب إليه، وتندر له وتستعين به وقت الشدة ولم تكن العرب تحجج إلى صنم قريش، بل لا تتوافر النصوص التي تتحدث عن قصد أحد لمكة المكرمة من أجل غرض ديني، ولم يرد أنه اتجه أحد من العراق أو بلاد الشام أو نجد أو العروض إلى مكة المكرمة لتأدية فرض الحج في الجاهلية^(٢).

- وعدّ أن الحديث عن أدوار تهذيب اللغة^(٣) ما هو إلا من قبيل العواطف والمشاعر العصبية التي قوي ظهورها في صدر الإسلام، قوّت شوكتها العصبية

(١) انظر المرجع السابق، ج ٨، ص ٦٥١.

(٢) انظر المرجع السابق، ج ٨، ص ٦٥١، ٦٥٢.

(٣) انظر تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ج ١، ص ٨٧، ٩٧.

القبلية القديمة التي كانت بين مكة المكرمة والمدينة المنورة واليمن^(١).
- كما أن الحديث عن وجود الغمغمة^(٢) في لهجة قريش يناقض صفاء لهجتها وفصاحتها^(٣).

- ويضيف المؤرخ أن القرآن الكريم لو نزل بلهجة قريش وحدها لما احتاج الناس إلى اللجوء إلى شعر العرب لفهم ما غمض واستشكل عليهم، بل كان عليهم الرجوع إلى شعر ونثر قريش وحدها، حتى إن وجود بعض الألفاظ الغريبة والمبهمة على بعض الصحابة - القريشيين منهم خاصة - لدليل على أن القرآن الكريم لم ينزل بلهجتهم فقط.

ويختتم صاحب «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» بالقول:
«إذن فقول من يقول إن لغة القرآن هي لغة قريش، وإن لغة قريش هي العربية الفصحى، وإنها لغة الأدب عند الجاهليين، قول بعيد عن الصواب... أخذ من روايات آحاد، وجدت لها انتشاراً في الكتب القديمة بنقلها بعضها عن بعض من غير نص على اسم السند والمرجع... أضاف المحدثون عليها عامل النفوذ السياسي والاقتصادي والديني... لتأخذ شكلاً مقبولاً»^(٤).

ثم يتبع قائلاً: «أما لو سألتني عن لغة القرآن الكريم، فأقول إن القرآن قد ضبطها وعيّنّها، إذ سمّاها لساناً عربياً، واللسان العربي هو لسان كل العرب، لا لسان بعض منهم، أو لسان خاصة

-
- (١) انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ج ٨، ص ٦٥٣.
(٢) هو الكلام الذي لا يبين، ومنه صفة لقريش، ليس فيهم غمغمة قضاة، تاج العروس، الزبيدي، ج ٣٣، ص ١٨٤، مادة (غمم)، وقد أخطأ صاحب (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) حيث نسب الغمغمة لقريش، مع أن قريشاً مدحت لهجتها أنها خالية من الغمغمة، كما ذكر الزبيدي، وأخطأ صاحب «المفصل» أيضاً إذ نسب التضجّع لقريش، بينما هي لقيس، انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ج ٨، ص ٦٥٥، وقد نقل ذلك من المزهري، انظر المزهري، السيوطي، ج ١، ص ٢١١.
والصحيح أن التضجّع لقيس، ولعله خطأ مطبعي حصل في المزهري، فقد قيل مدحاً للهجة قريش: ارتفعت قريش في الفصاحة عن عننة تميم، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن وتضجع قيس، وعجرفية ضبة وتلتة بهراء). مجالس ثعلب، احمد بن يحيى بن ثعلب، ج ١، ص ٨٠، ٨١.
(٣) انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ج ٨، ص ٦٥٥.
(٤) المرجع السابق، ج ٨، ص ٦٦٧.

منهم هم قريش، ولو كان هذا اللسان هو لسان قريش، لنزل النص عليه في كتاب الله^(١).

وهناك من يعدّ أن أقوال الرواة الذين رووا الأقوال المادحة لهجة قريش، يجب أن تؤخذ أقوالهم بقدر كبير من الحيطة والحذر، وعدّ أن صدورها بهذا الشكل ما هو إلا نتيجة لبلوغ مرحلة من مراحل تمجيد لقبيلة الرسول ﷺ، لكن في حال فقدان النصوص اللغوية لهجات القبائل التي تبيّن تميّز لهجة قريش عن غيرها، يعدّ ذلك الكلام كله في ضوء المنهج العلمي، ضرباً من الحدس والتخمين^(٢).

ويستدل على عدم نزول القرآن الكريم بلهجة قريش وحدها، بعدة أدلة أبرزها ظاهرة الهمز في العربية، فأهل الحجاز - وقريش منهم - يخففون الهمز، بينما يثبتها غيرهم من القبائل، وهذا هو الغالب في القراءات القرآنية، حتى إن ابن كثير، هو أكثر القراء ميلاً إلى الهمز مع أنه من مكة المكرمة^(٣).

بعد عرض رأي الفريق القائل بأن لغة القرآن الكريم نزلت بلهجة قريش وحدها، والرد على أقوالهم من خلال الفريق المناوئ لهذا الرأي، يمكن القول:

إن معظم النصوص المتداولة في هذا الصدد، ولاسيما القديم منها، يشير إلى أن قريشاً اصطفت الخصائص الحسنة من كلام العرب، وضمتها إلى خصائصها، حتى صارت جزءاً منها، فعرفت ونقلت عنها، لذلك لا داعي إلى القول بأن العربية الفصحى ولغة القرآن الكريم هي لهجة قريش وحدها، أو الزعم بأنها لغة القبائل العربية دون التفات إلى الدور القرشي البارز في تشكيلها.

■ ثانياً:

يرى فريق آخر من العلماء أن لهجات بعض القبائل العربية قد شاركت قريشاً في نزول القرآن الكريم بها، لكن تعددت الآراء في أسماء هذه القبائل، على الشكل التالي:

- (١) انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ج ٨، ص ٦٦٧.
- (٢) انظر فقه اللغة في الكتب العربية، عبده الراجحي، ص ١١٩، دمشق، ١٩٧٩.
- (٣) انظر المرجع السابق، ص ١٢١، وانظر الفصل الثاني من هذه الأطروحة، ص ١٠٤، ١٠٥.

أ - «نزل القرآن على سبع لغات، منها خمس بلغة العجز من هوازن»^(١) والعجز هم بنو سعد ابن بكر وجشم بن بكر ونصر بن معاوية، وثقيف، وهؤلاء كلهم من هوازن، ويقال لهم عليا هوازن^(٢) وفي ذلك قيل: «أفصح العرب عليا هوازن وسفلى تميم»^(٣).

غير أن الإمام الطبري^(٤) يرفض هذه الرواية، لأن نقلها تم من طريق ابن عباس رضي الله عنهما وفي ذلك قال: «روي جميع ذلك عن ابن عباس وليست الرواية عنه من رواية من يجوز الاحتجاج بنقله»^(٥).

والسبب أن ابن الكلبي^(٦) قد روى ذلك عن أبي صالح^(٧) فالأول وصف بأنه ضعيف ورفض العلماء الأخذ عنه، وكذلك أيضاً اتهم أبو صالح بالكذب^(٨).

(١) تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، ج ١، ص ٦٦، وفصائل القرآن، إسماعيل بن عمر بن كثير، ص ٧٠، تحقيق سعيد محمود. دار الحديث، مصر، والإنفاق في علوم القرآن، السيوطي، ج ١، ص ١٣٥، والصاحبي أحمد بن فارس، ص ٥٧.

(٢) قول أبو عبيد القاسم بن سلام، المراجع السابقة.

(٣) قول أبو عمرو بن العلاء الداني، المراجع السابقة.

(٤) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، ولد سنة مئتين وأربع وعشرين في أحد مدن طبرستان واسمها أمل، بدأ طلب العلم بعد أن اجتاز سن السادسة عشر من عمره فأصبح إماماً في التفسير والتاريخ، توفي سنة ثلاثمئة وعشرة هجرية في بغداد.

انظر الأعلام، الزركلي، ج ٦، ص ٦٩، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ١٤، ص ٢٦٧، وما بعدها.

(٥) تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، ج ١، ص ٦٦.

(٦) هو محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن عبد الحارث بن عبد العزى الكلبي، وصف بأنه من كذابي الكوفة وهو ضعيف أيضاً، من المرجثة، وقد أعلن تبعيته لعبد الله بن سبأ، شهد أبو عمرو بن العلاء بأنه كافر.

انظر تهذيب التهذيب، أحمد بن علي، الشهير بابن حجر العسقلاني، ج ٥، ص ١٠٨، ١٠٩، تحقيق خليل شيحا، عمر السلامي، علي بن مسعود، دار المعرفة، بيروت، ط. الأولى ١٩٩٦.

(٧) هو باذام ويقال باذان، أبو صالح مولى أم هانئ بنت أبي طالب، وصف بأنه ليس به بأس، كما أن حديثه يكتب لكن لا يمكن الاحتجاج به، وصفه النسائي بأنه ليس بثقة، أما سفيان الثوري فأورد أن أبا صالح قال للكلبي: (كلما حدثتك كذب) فيما أنه يريد إخباره بأن كل ما حدثه به كذب أو يوصيه بالكذب بكل ما يحدثه به. أخير عنه ابن حبان أنه يحدث عن ابن عباس ولم يسمع منه، ويضاف إلى ما ذكر من الأوصاف أنه متروك وليس بالقوي. انظر تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ج ١، ص ٣٢١، ٣٢٢.

(٨) انظر المصدر السابق، ج ١، ص ٣٢١، ٣٢٢، ج ٥، ص ١٠٨، ١٠٩.

ب - «نزل بلغة قريش وهذيل وتميم والأزد وربيعة وهوازن وسعد بن بكر»^(١).

ج - ورد أن القبائل التي نزل القرآن الكريم بلهجتها كلها من بطون مضر، وهي: هذيل، كنانة، قيس، ضبة، تيم الرباب، أسد بن خزيمة وقريش^(٢) ويستأنس في هذا الرأي بما ورد من أن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان يستحب أن يكون الذين يستكتبون المصاحف من مضر^(٣). وما ذلك إلا لتزول شيء من القرآن الكريم بلسانهم.

د - ذكر الإمام جمال الدين بن مالك^(٤) أن القرآن الكريم نزل بلغة الحجازيين إلا ما ندر من قبائلهم، فالإدغام الذي عرف به التميميون، ورد في القرآن الكريم ﴿وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ﴾^(٥) لكن قليل أما فك الإدغام كقوله تعالى: ﴿يُحِبُّكُمْ اللَّهُ﴾^(٦)، فقد ورد في القرآن الكريم بكثرة وهو من خصائص لهجة الحجاز^(٧).

هـ - كما قيل أيضاً أن القرآن الكريم قد نزل بلسان قريش وخزاعة، فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «نزل القرآن بلسان قريش ولسان خزاعة»^(٨)، وذلك أن الدار واحدة^(٩) وقد رفض الإمام الطبري الأخذ

(١) قول أبي حاتم السجستاني نقله صاحب الإتيقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج ١، ص ١٣٥.

(٢) ذكر ذلك ابن عبد البر، كما نقل صاحب الإتيقان، السيوطي، ج ١، ص ١٣٦.

(٣) الصحابي، أحمد بن فارس، ص ٥٧.

(٤) هو محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي، ولد سنة ستمئة هجرية في مدينة الجيان بالأندلس، من أبرز علماء اللغة العربية، توفي سنة ستمئة واثنين وسبعين هجرية في دمشق، انظر الأعلام، الزركلي، ج ٦، ص ٢٣٣.

(٥) سورة الأنفال، من الآية: ١٣.

(٦) سورة آل عمران من الآية: ٣١.

(٧) انظر الإتيقان، السيوطي، ج ٢، ص ١٠٣.

(٨) أخرج أبو عبيد القاسم بن سلام، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (نزل القرآن بلغة الكعبين؛ كعب قريش، وكعب خزاعة، قيل وكيف ذلك؟ قال: لأن الدار واحدة) الإتيقان في علوم القرآن، السيوطي، ج ١، ص ١٣٥. والمقصود بكعب قريش هو الصحابي الجليل كعب بن لؤي، أما كعب خزاعة فهو كعب بن عمرو. انظر الصحابي، أحمد بن فارس، ص ٥٩.

(٩) تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، ج ١، ص ٦٦.

بهذه الرواية أيضاً^(١).

و- «إن في القرآن من أربعين لغة عربية وهي: قريش، وهذيل وكنانة وخثعم والخزرج وقيس عيلان وتميم وحمير ولخم وغسان ومذحج وخزاعة وغطفان وطيء وثقيف وجذام وعذرة وهوازن...»^(٢).

■ ثالثاً:

يرى الفريق الثالث أن القرآن الكريم قد نزل بكل لغات العرب، وقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: «إن الله تعالى أنزل هذا القرآن بلغة كل حي من أحياء العرب»^(٣).

وإذا كان من الصعوبة البت بصحة هذا المذهب أو ذاك، فإن الميل إلى القول بأن القرآن الكريم نزل بغير لغة من لغات العرب هو الأظهر والأقرب إلى الصواب.

فاللغة التي نزل بها القرآن الكريم، إنما هي مزيج من اللهجات المختلفة، بدليل الألفاظ المختلفة التي تعود لمختلف القبائل، ويمكن الاستدلال على ذلك بما يلي:

- الأحاديث التي رويت عن بعض الصحابة تفيد أن القرآن الكريم نزل بلغة قريش وغيرها.

- ما روي أنه قيل: «نزل القرآن بلسان قريش وليسوا أصحاب نبر، ولولا أن

(١) لأن قتادة في سند الرواة، مع أنه لم يلقَ ابن عباس ولم يسمع منه، مما لا يمكن الباحث من الاعتماد على هذه الرواية، انظر تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، ج ١، ص ٦٦، ولا أدري من المقصود بقتادة، أهو قتادة بن دعامة (٦١هـ - ١١٨هـ) أو قتادة بن النعمان (ت ٢٣هـ) انظر الأعلام، الزركلي، ج ٥، ص ١٨٩.

والأغلب أن المقصود هو قتادة بن النعمان، حيث إن عمر قتادة بن دعامة عندما توفي عبد الله بن عباس كان يقارب السبع سنوات، والأغلب معاصرة قتادة بن النعمان لسيدنا عبد الله بن عباس (ق. ٣هـ - ٦٨هـ) انظر الأعلام، الزركلي، ج ٤، ص ٩٥.

(٢) كلام محمد بن محمد بن سليمان المعتمر الواسطي في كتابه الإرشاد في القراءات العشر، نقله صاحب مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ج ١، ص ٢٢٧ والإتقان، السيوطي، ج ٢، ص ١٠٢.

(٣) الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، ص ٢٤٢.

جبرائيل عليه السلام نزل بالهمزة على النبي ﷺ ما همزنا»^(١).

- قول صاحب «التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد»: «قول من قال نزل بلغة قريش، معناه الأغلب، لأن غير لغة قريش موجودة في جميع القراءات من تحقيق الهمز وغيرها، وقريش لا تهمز»^(٢).

(١) قول سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الاسترأبادي، ج ٢، ص ٢٥٧.

(٢) قول يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، نقله صاحب الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ج ١، ص ١٣٥.

المبحث الثالث

القرآن الكريم حفظ اللغة العربية ووحدها لهجاتها

إن الله تعالى خلق الإنسان، وعلمه البيان، ولعل في ذلك إيماء إلى العلم هو الميدان الحقيقي للتفوق البشري، والارتقاء إلى أعلى مراتب السمو، والترقي في مدارج الكمال.

لقد كان ميدان الإكبار في السماء، فقد قالت الملائكة عن قضية الاستخلاف فسي الأرض: ﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ (١).

أرادت الملائكة أن تستأثر بالعبودية لله، وأن تحظى بالرضا والرضوان، فجاء الرد الحاسم من العليم الخبير: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢).

ومن حكم خلق الإنسان واستخلافه في الأرض، أنه خلق لمعرفة ربه، الذي خلق له كل شيء ليعبده عن معرفة حقه، وحب واقتناع ورضا ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٣).

إن معرفة الله عز وجل التي خلقنا من أجلها لن ندرك بالعقل المجرد، لأنه ليس لمخلوق خلق من التراب أن يسمو إلى إدراك عظمة الله سبحانه وتعالى، ولا يمكن أن تقام العلاقة على أساس متين، من يقين المعرفة، وأن يتم الاتصال بين الخالق ومخلوقاته من خلال العبادة إلا بعد معرفة مستمدة من صادق معصوم.

وقد اقتضى الأمر لتتم المعرفة، وتقوى الرابطة، ويتم الاعتصام بحبل الله، وتتوثق العرى أن يرسل إلى البشر رسلاً من أنفسهم، وبلغات أقوامهم، ليتم

(٢) سورة البقرة، من الآية: ٣٠.

(١) سورة البقرة، من الآية: ٣٠.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

الاتصال، ويتأتى الفهم والإفهام، فأدت جميع الرسائل واجباتها أتم أداء، وبلغ الرسل أقوامهم أكمل تبليغ، وكانوا الأسوة الطيبة والقدوة الصالحة.

ولم تكن جميع الرسائل إلا تمهيداً للرسالة العظمى، وما كانت الكتب السابقة إلا تمهيداً ومقدمة للذكر الحكيم، لكن لا بُدُّ له من لغة بها يُنزل ويتلى ويُتدارس وبها تنشأ علومه وتستنبط أحكامه.

لقد كانت اللغة اللسان العربي المبين، جرياً على سنة الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾^(١) وإذا كان الرسول عربياً، وشرف الله تعالى به العرب وكانت رسالته عامة شاملة، وقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، وبه ختمت الكتب وبالرسول الأمين ختمت الرسائل والنبوات، وبشريعته ختمت الشرائع، كل ذلك جعل من العربية لغة عالمية خالدة، ما بقيت السماوات والأرض.

فللقرآن الكريم الفضل الكبير على اللغة العربية كوعاء شرف بحمل معانيه العظيمة، فالبحت في تاريخ القرآن الكريم يدل على أن لغته قد طبعت العربية بطابع واضح مبين، وقد كان حرص المسلمين على القرآن الكريم، هو الداعي لحرصهم على اللغة العربية، ومقاومة ما قد يطرأ عليها من لحن، مما أدى إلى وقوف أولي الأمر واللغويين موقف المدافع.

إن القرآن الكريم جنس لغوي، لا يزال أهله متميزين بهذه الجنسية حقيقة أو حكماً، حتى يأذن الله بانقراض الخلق، ولولا هذه العربية التي حفظها القرآن الكريم، لما اطرده التاريخ الإسلامي، ولما تماسكت أجزاء هذه الأمة، ولا استقلت بها الوحدة الإسلامية.

كانت العرب قبل ظهور الإسلام وبعثة النبي ﷺ، متفرقة إلى قبائل وشعوب، ومنقسمة إلى معاصر وضروب، ولكل قبيلة من تلك القبائل المتنوعة والفصائل المتفرقة لهجة مخصوصة في التلفظ بالكلمات، وكانت تجتمع العرب كل عام في مواسم عامة، يحضرها الجرم الغفير من الناس، يتناشدون فيها الأشعار، فضلاً عن اجتماعهم في مواقف الحروب، فكانت تتجدد لهم كلمات عديدة، فإذا سمع

(١) سورة إبراهيم، من الآية: ٤.

الواحد منهم لغات الآخرين، قيدها في فكره ليستعمل منها في عباراته ما يستحسنه، وبهذه المثابة صارت تلك اللغات محطاً للزيادة والنقصان وعرضة للتغيير، إلى أن بزغ فجر الإسلام، وأنزل الله كتابه باللسان العربي المبين، فتسابق العرب وتنافسوا في اتباع طريقته الفصيحة، في الوقت الذي «كان العرب على حال يتوهم فيها كل قبيل منهم أنه أسلم فطرة في اللغة، وأبين مذهباً في البيان، لأنهم لا يجدون من ذلك إلا أمثلة ترجع إلى الفطرة وتختلف باختلافها ولا يجدون المثال الفطري الكامل الذي تقاس إليه القدرة... ومن أعضل الأمور وأشدّها التباساً أن يكون امرؤ من الناس قادراً على أن يقيس ببيانه... لأن قياس مثل ذلك من الفطرة لا يتهيأ إلا بعمل يحتوي كل دقائقها... ومثل هذا لا يكون ألبتة من إنسان ينزل على حكم هذه الفطرة نفسها، لأن فاقد الشيء لا يعطيه... فيلزم من ذلك أن يكون القياس... فوق الطبيعة، وليس فوقها إلا أمر الله»^(١).

إن من المعلوم أن اللغة العربية بعد نزول القرآن الكريم أخذت تتوحد، فقد توقفت اللهجات عن التباعد، وكوّنت وحدة لغوية ارتبطت بها عواطف القوم ارتباطاً وثيقاً، ثم لما قويت شوكة الإسلام، واختلط العرب بالأعاجم، وخاف العلماء على اللغة أن يفسد أمرها، جمعوها وضبطوها حسب ما تقرره قواعد لغة القرآن الكريم، لتأخذها القبائل العربية مقياساً وأساساً لها.

ومن ثم اعتاد لسان الناس على نطق الجمل الصحيحة والكلمات الفصيحة، وإن كان قليل من الضعف مشوباً باللغة العرفية الكلامية، فليس الأمر كذلك بالنسبة لما يكتب باللغة العربية الحقيقية.

لقد «نشأت الدراسات العربية بفروعها المختلفة متعلقة بالقرآن الكريم... فكأن القرآن هو المحور الذي دارت حوله تلك الدراسات المختلفة، سواء منها تلك الدراسات التي تتعلق تعلقاً مباشراً بتفسير القرآن أو تلك التي تخدم هذه الأغراض جميعها، بالبحث في دلالة اللفظ واشتقاق الصيغ وتركيب الجمل»^(٢).

لقد «اتصل الدين باللغة اتصالاً وثيقاً في العصور الإسلامية كلها، وكان

(١) تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ج ٢، ص ٧٨، ٧٩.

(٢) فصول في فقه العربية، رمضان عبد التواب، ص ١٠٨.

الباعث على اهتمام علماء اللغة، بجمع الشواهد اللغوية، وتعميد اللغة باعثة دينياً، هو ضبط نصوص القرآن الكريم، وجرت مناهج التعليم منذ أقدم العصور الإسلامية على المزج بين المعارف الدينية واللغوية في الكتاتيب والمساجد والمجتمعات، ثم في المدارس المنظمة فيما بعد، ومن ثم كان اللغوي غالباً رجل دين، ولا ترى عالماً من علماء اللغة القدامى إلا كان مقرئاً أو مفسراً أو محدثاً أو متكلماً أو فقيهاً^(١).

إن العديد من العلوم التي تتعلق بالعربية سواء أكان ذلك مباشراً أم لا، كان القرآن الكريم من أبرز الدواعي لنشوتها أو تطويرها، فعندما لجأ العامة إلى كبار الصحابة ليسألوهم عما استشكل عليهم وما غمض معناه، كان الصحابة رضي الله عنهم يجيبونهم بما يشفي الصدور ويريح البال. فسيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كان يجيب سائليه، ويستشهد بما يقوله بأبيات من الشعر العربي^(٢)، وكان ذلك جامعاً لتفسير خاص بعبد الله بن عباس للقرآن الكريم.

وبذلك يمكن عدُّ تفسير سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما للقرآن الكريم على هذا الشكل، مرحلة أولى من مراحل تكوين المعاجم العربية التي تعنى بالبحث عن معاني الألفاظ المبهمة^(٣).

والغيرة على القرآن الكريم، ومخافة تحريفه واللحن فيه أدت إلى نشوء علم النحو العربي، فكانت الدافع الأول لوضع قواعده، فقد خشى أهل العلوم «أن تفسد تلك الملكة رأساً، ويطول العهد، فينغلق القرآن والحديث على الفهوم، فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة المطردة، شبه الكليات والقواعد، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام»^(٤).

(١) كلام عبد المجيد عابدين في كتابه: المدخل إلى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية كما نقله صاحب كتاب فصول في فقه العربية، رمضان عبد التواب، ص ١٠٨.

(٢) وقد جمعت بعض أسئلة نافع بن الأزرق لسيدنا عبد الله بن عباس في الكامل، محمد بن يزيد المبرد، ج ٣، ص ١١٤٤. ١١٥٢، تحقيق محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الثالثة، ١٩٩٧، وكتاب = إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، محمد بن القاسم بن بشار الأنباري، ج ١، ص ٧٦. ٩٩، تحقيق محي الدين عبد الرحمن رمضان، دمشق ١٩٧١.

(٣) انظر فصول في فقه العربية، رمضان عبد التواب، ص ١١٠.

(٤) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن ابن خلدون، تحقيق عبد الله الدوريش، ج ٢، ص ٣٦٨، ط.

«فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتابة والتدوين خشية الدُّرُوس، وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث، فشمّر كثير من أئمة اللسان بذلك، وأملوا فيه الدواوين»^(١).

أما علم البلاغة فقد كان من أوائل المؤلفين فيه معمر بن المثنى^(٢) وذلك بغرض توضيح الأساليب القرآنية^(٣). وكذلك حال نشأة العديد من العلوم، كعلم التجويد والسيره والحديث وأصول الفقه وعلم الفرائض والكلام، وكل ذلك أفاد اللغة العربية.

وبذلك يتبين أن القرآن الكريم كان أساساً ينطلق منه للبحث في العديد من الدراسات العربية، ومن بينها الدراسات اللغوية.

ولا يمكن الاكتفاء بهذا القدر من فضل القرآن الكريم على اللغة العربية، فهو قد كفل لها حفظها، وانتشارها وضبطها، والعناية بتراتها، وهذه حقائق شهد بها غير أهل العربية^(٤) أيضاً، وما ذلك إلا دلالة واضحة على عمق تأثير القرآن

(١) المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٧٠.

(٢) هو معمر بن المثنى التيمي ولاء، ولد في السنة الثانية عشرة بعد المئة الأولى من الهجرة في البصرة، في اليوم الذي توفي فيه الحسن البصري، من أعلم الناس باللغة وانساب العرب وأخبارهم، من حفظة الحديث، إياضي المذهب، شعوبي، يكره العرب مع أنه ألف في مناقبهم. كما قال ابن قتيبة. أرسل هارون الرشيد بطلبه إلى بغداد ليقراً عليه شيئاً من كتبه، توفي سنة مئتين وعشر هجرية، انظر سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ٩، ص ٤٤٥ وما بعدها، ومعجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج ٧، ص ١١٤ وما بعدها، والأعلام، الزركلي، ج ٧، ص ٢٧٢.

(٣) أرسل الفضل بن الربيع بطلب إلى أبي عبيدة ليحضر إليه في بغداد، فلما وصل أبو عبيدة دخل إلى الفضل، وكان في المجلس رجل، فسأل الفضل أبا عبيدة إذا كان يعرف ذلك الرجل، فأجاب أبو عبيدة بالنفي، فأخبره الفضل أن ذلك الرجل علامة أهل البصرة، حضر لُستفاد من علمه، فتوجه الرجل إلى أبي عبيدة بالسؤال عن قوله تعالى: ﴿ظَلَعَهَا كَأَنَّه رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ أن الوعد والإيعاد إنما يقع بما عرف مثله وهذا لم يعرف! فأجاب أبو عبيدة بأنه عز وجل كلم العرب على قدر كلامهم، فامرؤ القيس يقول:

أيقتلني والمشرقي مضاجعي ومسنونة زُزُق كَأَنِّيَابِ اغْوَالِ

فالعرب لم يروا الغول في حياتهم، لكن لما كان يربعهم أوعدوا به، فعزم أبو عبيدة من ذلك اليوم أن يضع كتاباً في القرآن يشابه هذه المسائل، وما يحتاج إليه من علمه، فرجع إلى البصرة وألف كتاباً سماه (المجاز). انظر معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج ٧، ص ١١٦، ١١٧.

(٤) انظر فقه اللغات السامية، كارل بروكلمان، ص ٣٠، ترجمة رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض، ١٩٧٧، وتاريخ اللغات السامية، أ. ولفنسون، ص ٢١٥، دار القلم، بيروت، ١٩٨٠.

الكريم في نفوس العرب، وفي لغتهم العربية.

وإذا كان الحديث عن لغة القرآن الكريم وأثرها في العربية الفصحى متعدد الوجوه متشعب النواحي، فإن الاهتمام في هذا المبحث يتركز على إبراز أثر القرآن الكريم على اللغة العربية عامة وفي ألفاظها ومعانيها وأغراضها وأساليبها خاصة.

القسم الأول: الأثر العام للقرآن الكريم على اللغة العربية:

يبرز فضل القرآن الكريم على اللغة العربية عموماً في أمور، أهمها:

■ أولاً - بقاء اللغة العربية:

أي لغة من اللغات تبقى ملازمة لأهلها، ترقى بقوتهم وتضعف بضعفهم، فهي مظهر اجتماعي خاضع لقانون النشوء والارتقاء. والتاريخ يحدث عن حياة العديد من الأمم التي مرت بها أيام عز، وأمم أخرى ذقت لوعة الذل والهوان، وفي جميع الحالات كانت اللغة هي المرآة التي تنعكس عليها الصور والألوان. صحيح أن اللغات تتعرض للتغيير والتبديل بنسب متفاوتة، ولكن اللغة العربية عبر مراحل طويلة من الزمن، كانت أقوى اللغات في مواجهة المصاعب والتحديات، عند اختلاط العرب مع غيرهم، أو ضمن المجتمعات العربية، سجّلت في تاريخها أنها أكثر اللغات غنى في مقاومة العجز، ولا يمكن الاكتفاء بعزو سبب ذلك إلى أنها لغة مدنية، تحتوي جميع ما يحتاج إليه الناس من ألفاظ ومعاني وأخيلة للتعبير عن أغراضهم، ولا يمكن كذلك الاكتفاء بالقول إنها لغة قوم أصحاب قوة وسلطان، فالتاريخ يروي تراجع نفوذ العرب في منتصف القرن الثاني من الهجرة، كل ذلك يدل على أن بقاء اللغة العربية حية نابضة ما هو إلا أثر من آثار القرآن الكريم^(١).

فالإنسانية لم تعرف طوال تاريخها لغة خلدها كتاب إلا اللغة العربية، وتلك إحدى مصادر إعجاز القرآن الكريم، فقد أعطى اللغة «إكسير الحياة وسرّ البقاء، واستمدت من كلماته روح الثبات، وشجاعة المواجهة، فكان القرآن الروح التي جعلت العربية الفصحى لغة كل العصور، وكل ما جاءنا من تراث هذه اللغة إنما مرده إلى القرآن، الذي فجّر علومها، وأطلق عبقرية أبنائها، فبقيت العربية كما

(١) أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، أحمد حسن الباقوري، ص ٢٨. ٣٢، دار المعارف مصر.

كانت راسخة القدم مبنيً ومعنيً، قادرة على مواكبة الحضارة، تأخذ من غيرها ما يلزمها، وتعطي لغيرها ما يلزمه^(١).

إن الحفظ الذي تعهد به الله سبحانه وتعالى للقرآن الكريم من عوادي الزمن، قد امتد للغة العربية التي نزل بها، وإلا لاستعجم القرآن الكريم على أهله، وما حصلت الفائدة من نزوله، ولا يبقى معنى للتحدي، حيث يتعذر ذلك في لغة تندثر مع الأيام^(٢).

■ ثانياً - توحد لهجاتها وزوال تناكرها :

كانت اللهجات العربية متباينة، فيها الفصح، وفيها الضعيف أيضاً^(٣). ومع أن عوامل التقريب بين هذه اللهجات كانت متوافرة، والفرص لتوحيدها كانت متاحة، من خلال المحافل الأدبية والمناسبات العامة، إلا أن هذه اللغة لم تكن يوماً لغة الشارع والمحاذثة بين الجميع، فالكل يعود إلى لهجته بعد الانتهاء من الاجتماعات، وسبب ذلك أمر مهم، وهو أن العار أن يتحول الإنسان عن لهجته إلى أخرى، وبخاصة في أرضه^(٤).

وكما أن اختلاف اللهجات كان في النطق، اختلف في إفادة المعاني أيضاً^(٥).

ولكن بعد نزول القرآن الكريم، وبعد أن استجلى العرب مظاهر الأدب الرفيع المعجز في عباراته وأمثاله واستعاراته ومجازاته وكنائياته، وتشبيهه وتمثيله، وهم أهل الإرهاق في الذوق، والنضج في الموهبة، والسمو في الحاسة الفنية، فهم بعد نزوله، بعث فيهم الميل الشديد إلى محاكاة أساليبه واقتباس ألفاظه، ودربوا ألسنتهم على الانطباع بألفاظ القرآن الكريم، فهم أدركوا أن ألفاظه تزيد ألسنتهم حسناً، ويفيضها عذوبة «والعربي بطبعه يطرب لحسن النظم ويرتاح لجميل البيان، فيدفعه ذلك - وهو حريص على أن يحرز ما يعجبه أو شيئاً منه - إلى

(١) العربية لغة العلوم والتقنية، عبد الصبور شاهين، ص ٤٤، دار الاعتصام، القاهرة.

(٢) انظر لغة القرآن الكريم، عبد الجليل عبد الرحيم، ص ٥٨٩، ٥٩٠.

(٣) انظر المبحث الثالث والرابع من الفصل الأول من هذه الرسالة، ص ٥٧-٨٣.

(٤) انظر لغات القرآن الكريم، عبد الجليل عبد الرحيم، ص ٥٨٧، ٥٨٨.

(٥) انظر المبحث الثاني من الفصل الثاني، ص ١٤٠، ١٥٢.

التأسي به ومحاولة السير على نهجه، فيروّض لسانه حتى يستقيم له ما يريد»^(١) يضاف إلى ذلك أن القرآن الكريم كوّن للعرب جامعة دينية سياسية، لمت شملهم في المساجد والحروب والفتوحات الإسلامية، فتحققت حلقات الوحدة الإسلامية، وذاب قسم كبير من تناكر اللغات واختلاف اللهجات، وبخاصة بعد التوسع خارج الجزيرة العربية وخضوع العديد من الأمم تحت حكم الإسلام، فتعلموا اللغة العربية بأسلوب قرآني، مما أدى إلى زوال الاختلاف، وجعل اللهجات الضعيفة المستكرهة أثراً تروى للأجيال على سبيل الشاهد، إلى أن جاء عصر التدوين^(٢) «فدونت اللغة غير منظور إليها إلا على أنها لغة أمة من الناس سوّدها الإسلام، ووحدتها لغة وديناً وغاية، وبذلك التأم صدع اللغة العربية، واجتمع شتاتها في لغة العبادة والقراءة والكتابة، وأصبح من الممكن أن يتفاهم العرب وغير العرب بلغة واحدة فصيحة، ولهجة واحدة عذبة»^(٣) يتكلم بها خطباء السياسة والدين، ينهلون من معاني القرآن الكريم، فأصبحت الأساس للتعبير عن ضرورات الحياة بين مختلف المستويات وبذلك حقاً للغة القرآن الكريم أن تكون لغة دين ودنيا.

فلولا «القرآن وأسراره البيانية ما اجتمع العرب على لغته، ولو لم يجتمعوا لتبدلت لغاتهم بالاختلاط الذي وقع ولم يكن منه بد، حتى تنتقض الفطرة وتختبل الطباع، ثم يكون مصير هذه اللغات إلى العفاء لا محالة إذ لا يخلفهم عليها إلا من هو أشد منهم اختلاطاً وأكثر فساداً، وهكذا يتسلسل الأمر حتى تستبهم العربية فلا تبين - وهي أفصح اللغات - إلا بضرب من إشارة الآثار»^(٤).

■ ثالثاً - جعل اللغة العربية واسعة الانتشار:

لم يثر فضول كثير من الأمم أن يتجهوا نحو العرب ليتعرفوا على تاريخهم قبل ظهور الإسلام، حتى إن العرب أنفسهم لم يكن لديهم المركز السياسي أو الديني أو الاجتماعي المهم على الصعيد العالمي آنذاك، ليجذبوا الآخرين

(١) أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، أحمد حسن الباقوري، ص ٤١.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٤١، ٤٢.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٢.

(٤) تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، ج ٢، ص ٨٠.

نحوهم، واللغة العربية لم تكن لغة علم ومعرفة لينكبّ الغرباء على دراستها وقتها، يضاف إلى ذلك أن العرب كانت تحاصرهم فكرة النظر إلى الآخرين بازدراء إذا لم يكونوا من أعراقهم، حتى إنهم يطلقون لفظ «الهجين» على من لم تكن أمه عربية، ولفظ «مقرف» على من لم يكن عربي الأب، وسواء أكان هجيناً أم مقرفاً، فإنه من المستنكر مصاهرته للعرب، وبقيت هذه النزعة عندهم إلى مجيء الإسلام، فتفقهوه وفهموه على الوجه الصحيح - إلا ما ندر منهم - كل هذه الأسباب وغيرها أدت إلى حجز اللغة العربية داخل الجزيرة، مع أن رحلتي التجارة في الصيف والشتاء كانتا لا تنقطعان، لكن الاختلاط والتعاطي مع الآخرين - كالفرس والروم - كان محدوداً ضمن النطاق الاقتصادي^(١).

لكن بعد ظهور الإسلام، شدّ أقوام غير عرب إلى لغة العرب، ونشرت اللغة العربية في بلاد لم يكن لها فيها نصير.

لقد خرجت العربية من جزيرة العرب مع الفتح الإسلامي، فإذا هي لغة أهل الشام والعراق ومصر وفارس وغيرها، وإذا هي تتعدى من كونها لغة دين إلى كونها لغة شعب ودولة.

فكان انتشارها «عن طريق القرآن الكريم انتشاراً واسعاً، كما لم تنتشر أية لغة أخرى من لغات العالم، فهي لكل المسلمين اللغة الوحيدة الجائزة في العبادة، ولهذا السبب تفوقت العربية تفوقاً كبيراً على كل اللغات التي كان يتكلمها المسلمون»^(٢).

إن كون العربية لغة القرآن الكريم وشريعته هو الذي جعل مئات العلماء من غير العرب يعكفون على خدمة علوم العربية دراسة وتأليفاً، وهو الذي جعل العربية تنتقل من لغة قوم لتصبح لغة أقوام وأمم... فقد استهوى الإسلام أقواماً فحبب إليهم لغته، بل لقد كان للإسلام فضل عظيم في ظهور عدد لا يحصى من العلماء غير العرب، نبغوا في النحو والصرف والبلاغة، فسيبويه مضرّب للمثل لمن أريد مدحه من علماء العرب بعلمه في النحو، وهاهو الزمخشري ينطق بحب العربية

(١) انظر اثر القرآن الكريم في اللغة العربية، احمد حسن الباقوري، ص ٤٤.٤٢، والعربية لغة العلوم والتقنية، عبد الصبور شاهين، ص ٥٩.

(٢) فقه اللغات السامية، كارل بروكلمان، ص ٣٠.

يقول: «الله أحمد على أن جعلني من علماء العربية، وجبلي على الغضب للعرب والعصية»^(١).

وما ظهور أولئك الأعلام الذين خدموا العربية بكافة علومها إلا دليل على إخلاصهم للإسلام وغيرتهم على الدين، كما انهم أدركوا الارتباط المتين بين القرآن الكريم واللغة العربية.

■ رابعاً - جعل اللغة العربية لسان الدولة الإسلامية:

بعد أن توسعت المساحة الجغرافية لانتشار اللغة العربية، ونالت سيادتها بعيداً عن القوة والضعف والإرغام، - فالناس انساقوا إليها إما برغبة دينية أو عروض دنيوية أو بهما معاً، فهم أدركوا أنهم لن يستطيعوا إتمام تعاليم دينهم إلا إذا أقبلوا على هذه اللغة، واطلعوا على مكنوناتها وتعلموا أسرارها - أدرك الناس أن التفاهم مع الولاة، والطاعة للخليفة، لن يتما إلا بتعلم العربية، بل تشجعوا على ما يعدُّ أرقى من تعلم العربية، وهو تنظيم الشعر- خاصة وأن الخلفاء قد أجزلوا العطاء لمن ينظم شعراً ويوجد به، بل ويصبح مقرباً من الحاكم، وقد يمنحه الحظ تولي منصب في الدولة^(٢).

لقد جعل القرآن الكريم من اللغة العربية لغة عامة رسمية لجميع الممالك الكثيرة التي افتتحها المسلمون، لأن جمهرتهم أسلموا واندمجوا مع العرب، فهجر الكثيرون لغتهم الأصلية، وتعلموا العربية للتفاهم مع أوليائهم من العرب، ولفهم القرآن الكريم والسنة لتلقف أحكام دينهم ومعاملتهم بها في الخصومات وغيرها... فقد انتزع القرآن الكريم اللغة العربية من أحضان الصحراء، وأتاح لها ملكاً فسيح الأرجاء، وأعطاه ما لم تتمكن أخذه من حياتها البدوية، فأصبح لفظ القرآن الكريم أشد ارتباطاً لا بعقائد المسلم وعباداته وحسب، بل بتشريعه واقتصاده وعلمه وفلسفته وحروبه وجهاده، فلا يكاد يوجد شيء في حياة الإنسان المسلم، إلا وله في القرآن الكريم هدى هو نص أو استنباط، ولا في خاص أمره،

(١) المفصل في علم اللغة، ص ١١.

(٢) انظر أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، أحمد حسن الباقوري، ص ٤٥، ٤٦.

ولا في عام أمر المسلمين، ولا في علاقة المسلمين بالأفراد من غير أهل ملتهم، أو الأمم التي لا تدين بدينهم، إلا ويستنبط من النص أحكام للوقائع الحادثة التي تجدد في حياة الناس، وكل تلك الأحكام المستنبطة خاضعة لما تفيده مفردات اللغة العربية.

■ خامساً - تحول اللغة العربية من ملكة فردية إلى لغة تعليمية:

من عادة العرب أن يرسلوا أبناءهم إلى الصحراء منذ صغر سنّهم ليتمكنوا من اللغة العربية، فأهل البادية هم أهل العربية الصرفة النقية من الشوائب، ومن لم يغترف من ينبوع العربي الصحراوي، فإنه معرض لعجمة اللسان، وتزاحم اللكنات، أما الذين نالت الصحراء نصيباً وافراً من حياتهم، فإن الملكة اللغوية استحكمت ألسنتهم إلى الوقت الذي صار فيه قسم عظيم من العرب يفضلون البقاء في حواضرهم محتفظين بملكاتهم، زاهدين بما تقوّمه الصحراء من لغتهم، عندئذٍ كان لا بُدَّ للألسن مرغمة أن تنحرف وللملكة أن تضعف^(١). إلى أن جاء الإسلام وظهرت شدة حرص المسلمين على تفهم القرآن الكريم من حيث معرفة ألفاظه، والوقوف على معانيها الوضعية والمجازية، وأساليبه المختلفة، وكنياته الدقيقة، كل ذلك حملهم بل فرض عليهم تتبع ألفاظ اللغة العربية الفصيحة من العرب الموثوق بخلوص عربيتهم، فكان من ذلك أن تجرد ألوف من الرواة يجمعون اللغة وشعرها وحكمها وأمثالها ووصاياها، وخطبها، فجمعوا من ذلك مئات الكتب والرسائل.

«وجملة القول أن اللغة العربية - إعراباً وبلاغة - كانت ملكة راسخة في نفوس العرب في الجزيرة، فلما جاء القرآن وأخرجهم من هذه الجزيرة إلى هذا الملك العظيم، واختلطوا بالأعاجم وعاشوا عيشة مدنية وحضارة، ضعفت هذه الملكة ثم فسدت وصارت اللغة تكسب بالتعلم والتعليم»^(٢).

■ سادساً -

إن سرد القرآن الكريم لكثير من القصص المسوقة للعبارة والذكرى، كقصص

(١) انظر أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، أحمد حسن الباقوري، ص ٥٣، ٥٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٤.

الأنبياء وبعض الملوك، كان من أهم الأسباب التي حملت المسلمين على درس تاريخ العرب البائدة والأمم القديمة السامية وغير السامية، مما جعل التاريخ العربي ذا فنون وشعب كثيرة العدد والمباحث، وجعله من أجمل كتب الأدب العربي.

القسم الثاني: الأثر الخاص للقرآن الكريم على اللغة:

«لقد منح القرآن الكريم اللغة العربية بما وهبها إياه من المعاني الفياضة، والألفاظ المتطورة والتراكيب الجديدة والأساليب العالية الرفيعة، ثم بما أحدثه من أغراض الكلام المتنوعة ويتخليصه لها من كل الشوائب، ولفظ كل ما لا يصلح للبقاء، قوة ورقياً ما كانت لتصل إليه بغير القرآن الكريم»^(١)، فقد ردّد المسلمون آياته على ألسنتهم في عباداتهم، وداوموا على دراسته، وتفهموه، واستنبطوا أحكام دينهم وشريعته منه، فنشأ من ذلك استبعاد لكثير من الألفاظ الحوشية المعيبة، واستبدال بها ألفاظ القرآن الكريم العذبة السائغة، وعدل عن الأساليب القديمة المعقدة، والمتداخل بعضها في بعض إلى أساليبه السهلة الممتعة.

إن آثار القرآن الكريم على اللغة العربية في ألفاظها ومعانيها وأغراضها وأساليبها يتجلى في تغييرات عدة أصابت كل واحدة منها، وسأعرض لذلك بإجمال حتى أبين مكونات هذا المبحث:

■ أولاً - ألفاظ اللغة العربية:

إن اللغة هي المرآة التي تعكس أحوال ناطقيها، وأذواقهم، فإما أن تكون عذبة سلسة أو فظة غليظة، يعتمد ذلك على شعور وحس أصحابها بين الرقة والرهاقة أو الخشونة والجفاف.

أما العرب على وجه التحديد فهم أمة يتوزع أغلب أفرادها في الصحراء، يصارعون الطبيعة القاسية، فلا غرابة في وجود ما يصعب تلفظه، أو يستقبح سماعه، وما تنفر منه الطباع.

ولما نزل القرآن الكريم حاملاً ما جمل من الألفاظ، وما خفّ من النطق، وما تطرب له الآذان، تحيّر العرب واندھشوا، فهم أهل هذه الصنعة، وهم

(١) لغة القرآن الكريم، عبد الجليل عبد الرحيم، ص ٥٨٥.

الأساتذة في اختيار ما جاد من اللغة وما فسد لكن أمام الكتاب العظيم ما كان عليهم إلا أن يعكفوا عليه، ليسمعوه ويتدبروه، فمنهم من هداه الله، ومنهم من بقي على ضلالتة، غير أنه ينتظر جنوح الليل وغموض العيون ليغافل قومه، ويستمع إلى النبي ﷺ وهو يردد القرآن الكريم خلال تهجده! وما حملهم على ذلك إلا تجهمهم للغاتهم، ومحاولة طبع ألسنتهم بلغة القرآن الكريم، لما فيها من سهولة وعضوبة لفظية.

بقي العرب يدربون ألسنتهم على النطق بألفاظ القرآن الكريم، إلى أن تأثرت ألفاظ اللغة العربية بأبلغ تأثير، وذلك لأن نطق الكلمات رافقه إنصات وتدبر، وبذلك تذوقوا جمال طعم الحياة الحضرية^(١).

ومن جهة أخرى اكتسبت ألفاظ اللغة العربية مفردات جديدة أضيفت إلى قاموس اللغة العربية.

١ - فمنها ألفاظ إسلامية تطلق على المعاني التي توسع فيها الإسلام، كـ بعض المفردات التي تنطوي تحت لواء العبادات، ومفردات أخرى تنطوي تحت مبادئ وتعاليم لم تكن بالوضع الذي أصبحت عليه بعد مجيء الإسلام، فمن ذلك لفظ المؤمن والكافر والفاسق^(٢)، جاء الإسلام وأصبحت لهذه الألفاظ مدلولات خاصة، تختلف عما كانت تطلق عليه في زمن الجاهلية^(٣).

٢ - ومنها ألفاظ اصطلاحية خرجت عما كانت تدل عليه في الجاهلية إلى دلالة أخرى اصطلح عليها بعد مجيء الإسلام.

فالخليفة كان يطلق على الشخص يقوم مقام غيره، ثم أصبح يطلق على خليفة النبي ﷺ. فتشرفت الكلمة بذلك المقام، كما أن لفظة «الحاجب» كانت تطلق على كل ما هو ساتر، ثم اصطلح على إطلاقها على كل من يلزم باب الخليفة ليستقبل الزائرين ويودعهم، وغيرها كثير من الكلمات التي تلمس فيها أنامل الرقي والحضارة العلمية، سواء أكانت شرعية، كالفقه والعقيدة، أم لغوية، كالنحو والصرف والبلاغة، أم غيرها مما تقتضيه ضرورات الحياة الجديدة.

(١) انظر أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، أحمد حسن الباقوري، ص ٥٩. ٥٥.

(٢) انظر تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، شوقي ضيف، ج ٢، ص ٣٢.

(٣) انظر أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، أحمد حسن الباقوري، ص ٦٠. ٦٢.

والمدقق للألفاظ اللغوية في حياة الجاهلية وتغير مدلولاتها في الحياة الإسلامية، يرى الفرق العظيم ويلمس التقدم والتطور اللذين أمدَّ العصر الإسلامي بهما الألفاظ العربية^(١).

■ ثانياً - المعاني:

إن العلاقة بين المعاني التي تلج صدر الإنسان والمظاهر التي تستجيب للحس هي علاقة مثينة بتأثير أحدهما بالآخر.

فالأمة التي لامست الحضارة، واعتادت أناملها على الراحة، وتغنت بالنعيم، وذقت طعم الحرية والطلاقة، لها أدب يظلل حياتها، وبالعكس تماماً، فحياة قاحلة ذابلة في صحراء مجدبة، تملأ أيامها الحيرة والكبت والحرمان، أيضاً لها الأدب الذي يعكس صورها وألوانها فلكل حياة معنى خاص، كما أن للتجار معاني، وللسياسيين معاني، وللمزارعين معاني، يتفاوت كل منها عن الآخر.

كل ذلك يؤكد أن البيئة التي تحيط بالفرد تؤثر عليه في جميع جوانب حياته، وبخاصة في الطريقة التي يقصدها لتوضيح المعنى الذي ينوي إيصاله للآخرين^(٢).

كانت حياة العرب في الجاهلية بعيدة عن التكلف، ملازمة للبساطة في أغلب مظاهرها، من مأكّل ومشرب ومسكن وملبس وقد رافقتهم هذه البساطة فيما يحيط بهم من نباتات وحيوانات وكلاً وسلاح حتى في النظام الذي يحتكمون إليه في أثناء منازعاتهم، فقد تواضع عليه أشرفهم دون حزم يقيد حرية الآخرين، يستثنى من ذلك النظام الخاص بكل قبيلة، فهو مالا يمكن لأحد تجاوزه.

في إطار هذه الحياة، لا يمكن أن يكون العقل إلا في راحة علمية، فهو مستبعد عن البحث والتنقيب عن حقائق الأشياء، أغلب الأمور في هذه الحياة يؤخذ ببساطة، حتى الشعر - الذي كان يشغل الكثير من العرب - لم يكن ليستنزف الذهن في التفكير والتخيل، إنها الفطرة - الخالية من تأنق الحاضرين وتكلفهم - التي كانت تملأ أبيات شعرهم لكن بعد أن استقرَّ الإسلام في الجزيرة انحلت عقدة

(١) انظر المرجع السابق، ص ٦٢. ٦٦.

(٢) انظر أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، احمد حسن الباقوري، ص ٧٨.

لسانهم وارتقوا بمعاني أشعارهم وتعابيرهم^(١)، وليس المقصود من ذلك كله الانتقاص من أذهان الجاهليين أو القدح بفطرتهم، لكن نمط حياتهم قد أبعدهم كل البعد عن إزعاج الفكر وحثه على استخراج المعاني، وإلا فإن المقومات العقلية الشخصية التي كان يتمتع بها العديدون من رجالات ذلك العصر لا يستطيع منافستها أحد، فلو سنحت لها الفرص، وكانت الظروف تسمح، لاستجابت المعاني والأخيلة بما لا يقبل المقارنة مع الآخرين^(٢).

وقد لوحظ أن المعاني في الجاهلية قد سُجلت عليها المآخذ التالية^(٣):

أ - ضيقة محدودة تتوافق مع ما يحيط بها من مشاهد حياتية.

ب - إنها معانٍ سطحية قريبة التناول، بعيدة عن العمق في البحث، وقفت إلى جانب العاطفة أكثر من وقوفها إلى جانب العقل ويمكن القول بأن شعرهم «ذاتي يصور نفسية الفرد وما يختلجه من عواطف وأحاسيس سواء حين يتحمس الفرد ويفخر أو حين يمدح ويهجو أو حين يتغزل أو يرثي أو حين يعتذر ويعاتب أو حين يصف أي شيء مما ينبثّ حوله في الجزيرة»^(٤).

وهم غالباً ما يفتتحون قصائدهم «بوصف الأطلال وبكاء آثار الديار، ثم يصفون رحلاتهم في الصحراء، وما يركبونه من إبل وخيل»^(٥).

ج - لم تراعى التناسب والتوافق، فهي غالباً ما تخرج بداهة ومن دون روية، فالانتقال من فكرة إلى أخرى من أسهل ما يكون - ولو كان الفرق بين الفكرتين شاسع - ولو لم يكن بينهما مناسبة، وانعدام ما يجمع بينهما، يضاف إلى ذلك أن العقل العربي، آنذاك لم يكن ينظر إلى الأمور نظرة شاملة.

د - تتبع المعاني حياة أهلها، فهي فطرية، بعيدة عن الغلو والتكلف والتأنيق ويُجمل صاحب كتاب «تاريخ الأدب العربي» الخصائص المعنوية لأشعار العرب الجاهليين فيقول إنها «معانٍ واضحة بسيطة ليس فيها تكلف ولا بعد ولا إغراق في

(١) انظر تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، شوقي ضيف، ج ٢، ص ٤٢.

(٢) انظر أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، أحمد حسن الباقوري، ص ٨٢ - ٨٦.

(٣) انظر المرجع السابق، ص ٨٨، ٨٩.

(٤) تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، شوقي ضيف، ج ١، ص ١٩٠.

(٥) المرجع السابق، ج ١، ص ١٨٣.

الخيال سواء حين يتحدث عن أحاسيسه أو حين يصور ما حوله في الطبيعة، فهو لا يعرف الغلو ولا المغالاة، ولا المبالغة التي قد تخرج به عن الحدود المعقولة وهذه النزعة في الشاعر الجاهلي جعلته لا يحلل خواطره ولا عواطفه إزاء ما يتحدث فيه من حب أو غير حب فهو لا يعرف التغلغل في خفايا النفس الإنسانية ولا في أعماق الأشياء الحسية»^(١) ثم يكمل قائلاً «وهذه الحسية فيهم جعلتهم لا يتسعون بمعانيهم، بل جعلتهم يدورون حول معانٍ تكاد تكون واحدة»^(٢). لكن ببزوغ فجر الإسلام، ارتقى مستوى المعاني التي أصبح يستعملها العرب إلى درجة سامية، وصار بإمكان القاصي والداني أن يعرف بين معنى كل من العصرين.

فقد تميزت المعاني في عصر الإسلام بأنها معانٍ عقلية، لا يدركها أيُّ كان، إلا صاحب البصيرة النافذة، مع أن الجميع آمنوا بها خاضعين^(٣).

لقد «تجرد كثير من الألفاظ العربية من معانيها العامة القديمة، وأصبحت تدل على معانٍ خاصة تتصل بالعبادات والشعائر أو شؤون السياسة والإدارة والحرب، أو مصطلحات العلوم والفنون»^(٤) فالقرآن الكريم فتح أمام اللغة العربية آفاقاً جديدة، ونقلها إلى ميادين واسعة من عمق الإحساس والتفكير، بعد أن كانت تدور في فلك المشاعر والعواطف البسيطة من خلال حياة البادية وطبيعة نظام القبيلة.

■ ثالثاً - أغراض اللغة:

إن الأغراض اللغوية لأدب أمة من الأمم لا بُدَّ من أن تتضمنها إحدى البيئتين - وذلك تبعاً لما ذكرته آنفاً من تأثير البيئة على الفرد -:

أ - بيئة الطبيعة التي تحيط به، من جبال ووديان وسهول وطقس ونبات وحيوان...

ب - بيئته الاجتماعية وما يفرض عليه من قوانين وأحكام ومعارف وإدراكات^(٥).

(١) المرجع السابق، ج ١، ص ٢١٩، ٢٢٠. (٢) المرجع السابق، ج ١، ص ٢٢١.

(٣) انظر أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، أحمد حسن الباقوري، ص ٨٩، ٩٠.

(٤) فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، ص ١١٩.

(٥) انظر أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، ص ١٠٨.

وبالجملة فإن الأغراض اللغوية عامة قد تكون للتعبير عن عاطفة إنسانية أو مظاهر الجمال والذوق... والغرض من كل ذلك التأثير في النفوس، واعتماد ذلك إنما يكون على أهمية القضية التي يتم طرحها.

أما الأغراض التي كان يرمي إليها العرب قبل الإسلام فهي غالباً في تقديم نذور أو من أجل المعاملات - سواء أكان ذلك في البيع والشراء أم تحديد حدود - أو في قوانين وأوامر، ولم تُسجل أغراض أدبية صرفة^(١).

لكن لما كانت مبادئ الإسلام تحث على توطيد العلاقة بين أفراد المجتمع، وتقوية الصلة بين العبد وربّه، انعكس ذلك على الأغراض اللغوية التي سادت في الجاهلية، وما ذلك إلا بالتغيّر الذي حدث في نفوس العرب، ونظام حياتهم الذي انقلب رأساً على عقب، فهناك أغراض انتفت لتعارضها مع مبادئ الإسلام، وما فيه آثار من عصبية الجاهلية وإثارة للنعرات العرقية وكل ما قام على أنقاض ضعف الرابطة الاجتماعية، قد زال من الأغراض التي كان يقصدها العرب في فنونهم اللغوية، شعرية كانت أم نثرية^(٢).

أصبح الحديث عن الدين من أبرز الأغراض التي يرمي إليها العرب بعد مجيء الإسلام وبخاصة بعدما تحددت معالم هذا الدين الجديد، وبانت مقاصده، وبدأوا بقطف ثماره.

وبما أن العقيدة هي الأساس الذي يبنى عليه هذا الدين، فنالت حظاً وافراً من أغراضهم، وكذلك عدم التفرغ لمتاع الدنيا والانصراف عما سواها، أضيف أيضاً للأغراض اللغوية، وهو أمر لم يكن ليفكر فيه أحد.

وأبرز ما تلمس منه الحضارة والتقدم اللذان زوّد الإسلام به العرب ولغتهم، جعل اللغة العربية أهم وسيلة وغرض للدخول إلى علوم جديدة، لم يكن العرب يدركون يوماً من الأيام أن يقرؤوها أو حتى يعرفوها، لولا فضل القرآن الكريم عليهم فيها، سواء في ترجمة علوم أقوام أخرى إلى العربية^(٣) أو كون اللغة غرضاً

(١) انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ج ٨، ص ٧٣٤.

(٢) انظر في أدب الإسلام، محمد عثمان علي، ص ٢٣١، ٢٣٢.

(٣) بدأت حركة الترجمة منذ عصر الخلفاء الأوائل، بعد أن أصبحت العربية اللغة الرسمية للدولة،

فعبد الملك بن مروان (حكم من ٦٨٥م - ٧٠٥م) كان ناشطاً على هذا الصعيد، إلا أن حركة =

للعولم الإسلامفة والعرففة الناففة فف صفر الإسلام.

أما الوف ففعد من الأفراف الفف كانف فف الفاهلففة، لكن الإسلام وسع من مفارك العرب وفصورهم للأشفاء، فأصبح وصفهم أكثر ففة وأصدق فعبفراً وأبلغ فف نقل الصور للآخرفن، فضاف إلى ذلك الفنوع فف المفوصوفاف، والافنقال من وصف السفف والقوس والرمف، إلى ما هو أرفف، فوصفوا القلاع والحصون، وعملفاء الفصار، وعناصر الفففر فف الطعام ومجالس الشراب. وبرز الففر فف أفراف القمص أيضاً، فبعد ما كان الهف فف ففلسفة الناس وإضحافهم أو ففوفهم فلفف عفلفهم قصص الأنباء السابقفن فف القرآن الكرفف، ولا فففى سمو فرض ذلك من ففلفم واقتفاء وفففر.

ووسع الإسلام من فائرة الشعور بالففر والفباهف بالقوة، فقد كانوا ففغنون بانفصار بعضهم على بعض، ضمن قبفلة واحدة أو قبائل ففعدة، لكن فحول ذلك إلى الففر والفباهف بالنصر على أعداء الأمة، والففاخر بشفاعة المسلمفن^(١).

أما الفطابة فقد رفع الإسلام من شأنها لاعتماد قسم كفف من ففالمة عففا، ففف من ابرز وسائل إفصال المفوفماف للناس، سواء فوم الففمة أو فف المناسباف الففعدة.

ولأن الإسلام فاء مفاطباً العقل، وهو ما ففماشف مع الفطب أكثر من الشعر، فقد ففدمف الفطابة على الشعر، ففف أيضاً الصلة بفن النبف ﷺ والفلفاء الراشدفن من بعده وبفن عامة الناس.

ولا فمكن إغفال فور القفرة الفف ففمفع بها العرب فف ففففل فور الفطابة، والأفراف الفف ففصد منها، فهم أهل ففرفف وفوف الكلام، بطرائق ففر الإعجاب، وفشد السامعفن^(٢).

⁼ الفرفة فوسعت إلى علوم عففة فف القرن الفاسع المفلافف لفهم ففافة بفولم الطب والفلك ثم بالفلسفة وففرها، سواء فرفمف من السرفففة أو الفونافة أو الفارسفة أو ففرها. انظر الفرفة فف العصر العباسف، مرفف سلامة، ص ١٢.٧، فرفة ففب فزافف، منشورا فوزارة الفشافة السورفة، دمشق ١٩٩٨.

(١) انظر أفر القرآن الكرفف فف اللغة العربفة، أحمد حسن الباقورف، ص ١١١. ١١٦.

(٢) انظر فف أعب الإسلام، محمد عثمان عفف، ص ٢٣٦. ٢٣٨.

وخلاصة القول: إن الإسلام بمجيبه ألغى بعض الأغراض اللغوية التي تتنافى مع ما يسمو إليه، كالمفاخرات التي تثير الحقد والضغائن، وأبقى على بعض الأغراض التي رأى فيها الخير لأمتة كالكرم ومكارم الأخلاق والمؤازرة والنجدة والضيافة، واستحدث أغراضاً جديدة متسقة مع ما تفرضه حيثيات هذا الدين، وبذلك اتسعت أغراض اللغة أيما اتساع بفضل القرآن الكريم، بما يعود بالنفع والخير على العرب ولغتهم.

■ رابعاً - أسلوب اللغة:

إذا أطلقت كلمة أسلوب يفهم السامع ما يقصده المتكلم، لكن إذا سئل المتكلم عن المراد، فإنه قد يشعر بالارتباك، ولأكون دقيقاً من توضيح أثر القرآن الكريم في أسلوب لغة العرب، أنقل ما أورده صاحب «لسان العرب»^(١) في تحديد كلمة الأسلوب فقال: «والأسلوب الطريق والوجه والمذهب».

فالأسلوب هو الطريقة التي يسلكها المتكلم في إيصال المعلومة إلى السامع، وهذا يشير إلى أن الأسلوب عادة ما يكون مصحوباً بالحجج المنطقية والبراهين العقلية لإقناع الآخرين، وقد مرّ آنفاً أن العرب عامة كانوا يعانون من هذه المشكلة، وهي الضعف في استخدام العقل - من جهة عدم الاستعانة بالمنطق الصحيح لتحليل الكثير من الأمور التي تحيط بهم - وذلك بحكم طبيعة الحياة التي كانوا يعيشونها.

فهم كثيراً ما قتلوا أولادهم خشية الفقر، وما أكثر الإناث التي وئدت وكانت ضحية لخوف أبيها من العار!

وبما أن اللغة تعد من المظاهر التي تعكس المستوى الفكري والعقلي لمتكلميها، فلا شك في أن الأسلوب العلمي المنطقي للغة الجاهليين كان أشبه بالمفقود، لأنه من المحال أن يظهر أسلوب عقلي مقنع مخالف لأسلوب الحياة المعاش.

جاء القرآن الكريم بأساليب متنوعة، لم يكن يعرفها العرب من قبل، فأوجد

(١) ابن منظور، ج ١، ص ٤٧٣.

التقديم^(١) والتأخير والفصل والوصل^(٢)، وظهر الإقناع بالعقل والمنطق المرتب، وكان القرآن الكريم في جميع الحالات مناسباً لمقتضى حال المخاطبين، شديداً عليهم حيناً، وليناً أحياناً، وتاركاً لهم فرصة الانقياد لدينهم الجديد في حالات أخرى، وكل هذه الأساليب لا تخلو من المجازات والكنايات والتشبيهات^(٣).

فقد «كانت المعاني في الجاهلية قصراً على الحقيقة، وإذا جاوزتها إلى غيرها فإلى المجاز ذي العلاقة البارزة التي لم يلبث معها طويلاً حتى صار حقيقة في كثير من الألفاظ أو إلى الكناية قليلة الوسائط مع قرب المنال، وكانوا إذا تخيلوا لا يخرجون في ذلك عن الخيال المنتزع الصورة من الحس الظاهر»^(٤).

وخلاصة ما تقدم: يتبين من خلال القول بأن تقدير العزيز العليم أولاً أن ينزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، اقتضى أن تكون في اللغة العربية خصائص ذاتية تجعلها لا تموت، ولا تفنى وتتأبى على عوامل الضعف والفناء وتكتسب الخلود.

وقد أكسب الذكر الحكيم اللغة كل أسباب العزة والقوة والمنعة والتفنن، ووسع آفاقها، ونمى معارفها، وقد ظهرت علوم القرآن الكريم، وبهذه العلوم صارت اللغة لغة علم وأدب وذوق وفنون، وفوق كل ذلك أداة لعلوم عديدة ومتنوعة.

ولا يمكن حصر أثر القرآن الكريم وفضله على اللغة العربية، ولكن من باب التجاوز سأقتصر في ذلك على ذكر بعض النقاط وهي:

(١) إما أن يكون التقديم على نية التأخير، وبذلك يبقى للكلمة موقعها الإعرابي في الجملة كما لو أنها لم تقدم، كخبر المبتدأ إذا قدم، والمفعول على فاعله تقدم فيقال: "منطلق زيد" و"ضرب عمراً زيد". وإما أن يكون التقديم دون نية للتأخير. بل النقل من حكم إلى حكم آخر وعندئذ يتغير الباب والإعراب، ويتمثل ذلك عندما يتوفر في اللفظ احتمال لمجيئه في أكثر من حال نحو: "زيد المنطلق" و"المنطلق زيد" تبدل كل من المبتدأ والخبر لاحتمال كلا اللفظين لذلك. انظر دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص ١٠٧، ١٠٦.

(٢) الوصل هو عطف الجمل بعضها على بعض أما الفصل فهو ترك العطف فيها والمجيء بها مشورة، دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص ٢٢٢. بتصرف يسير. تحقيق محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة.

(٣) انظر اثر القرآن الكريم في اللغة العربية، احمد حسن الباقوري، ص ١١٧-١٢٩.

(٤) تاريخ الأدب العربي، السباعي بيومي، ص ١٨٥، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٨.

- خلع على اللغة جمالاً وجلالاً ووقاراً بعد ما هُجر اللفظ الوحشي والنافر، وصقلها وقوم أساليبيها، وطبع ألسنة قومها بطابع جديد، كما وأضفى على اللغة زيادة أتمت ثروتها، وأنارت صفحاتها، وأضفت عليها الحسن والبهاء.

- جمع العرب حول لغتهم، بعد طول فرقة في اللهجات، وكان كلما تفرقوا في لهجاتهم، جمعهم تحت لواء واحد، فوحدت رأيته فطرتهم اللغوية.

- أكسب القرآن الكريم الشعراء والخطباء والكتاب أساليب جديدة وضروباً من القول، فنهجوا نهجه ونسجوا على منواله.

ولا يقصد من ذلك الانتقاص من قيمة اللغة العربية، وأنها لم تكن قبل نزول القرآن الكريم شيئاً مذكوراً، فلا يجوز الإجحاف في حقها، فهي أصابت في الأسواق والندوات الفكرية التي كانت تعقد قبل مجيء الإسلام نصيباً من الرقي والكمال، ولكن القصد أن القرآن الكريم لما نزل نالت اللغة العربية ذروة الكمال الفني اللغوي، ووصف أسلوبها بالإعجاز، وبلغت ببركة القرآن الكريم الحد الأقصى في الثبات والتوحد واتساع الرقعة ومدّ السلطان^(١).

(١) انظر نحو وعي لغوي، مازن المبارك، ص ١٢٦، ١٢٧، دمشق، ١٩٧٠.

الفصل الرابع

أثر اللهجات العربية

- المبحث الأول: العلاقة بين اللهجات العربية والقراءات القرآنية
- المبحث الثاني: أثر اللهجات العربية في التفسير
(آيات الأحكام خاصة)
- المبحث الثالث: اللهجات العربية وعلم اللسانيات

العلاقة بين اللهجات العربية والقراءات القرآنية

القراءات: جمع قراءة، وهي في الأصل مصدر للفعل «قرأ». يقال قرأ فلان يقرأ، قراءة، كل ما جمعته فقد قرأته، ولذلك أطلقت القراءة من باب تسمية الشيء ببعضه^(١).

أما في اصطلاح العلماء فقد تعددت التعريفات، ومن ذلك ما قيل إن القراءات القرآنية هي:

١- علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها، بعزو الناقلة^(٢).

٢- علم يعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى، واختلافهم في الحذف والإثبات، والتحريك والتسكين، والفصل والوصل، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من حيث السماع^(٣).

الملاحظ في هذين التعريفين اشتراط النقل والسماع؛ لأن القراءة سنة متبعة^(٤) كما يقول الصحابي الجليل زيد بن ثابت الأنصاري^(٥)، وفي ذلك قيل

(١) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ١، ص ١٢٩.

(٢) منجد المقرئين ومرشد الطالبين، محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، ص ٣، تحقيق محمد الشنقيطي وأحمد شاكر، دار زاهد القدسي.

(٣) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، أحمد بن عبد الغني الدمياطي، ص ٥، دار الندوة الجديدة، بيروت.

(٤) الإقتان في علوم القرآن، السيوطي، ج ١، ص ٧٥.

(٥) هو زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي، من أكابر الصحابة، إمام كبير وشيخ للمقرئين ومن كُتّاب الوحي المبين، ولد في السنة الحادية عشرة قبل الهجرة في يثرب، وعندما بلغ السادسة من عمره، قُتل والده فهاجر مع أمه بعد خمس سنوات إلى مكة المكرمة، حيث تعلم الفقه والدين، ورجع إلى المدينة المنورة علماً في القضاء والفتوى وعلم الموارث وقراءة القرآن =

أيضاً: «وأن يحذر الإقراء بما يحسن في رأيه دون النقل أو وجه إعراب أو لغة، دون رواية»^(١).

٣- اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كِتْبَةِ الحروف أو كَيْفِيَّتِهَا من تخفيف وتثقيل وغيرهما^(٢).

٤- القراءة عبارة عن مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء كانت هذه المخالفة في نطق الحروف أو في نطق هيئاتها^(٣).

حصر هذان التعريفان القراءات بالاختصاص بما اختلف فيه من ألفاظ القرآن الكريم، بينما وسعت تعريفات أخرى دائرة شمول القراءات إلى المتفق عليه أيضاً، ومن ذلك:

٥- هو علم تُعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقاً واختلافاً مع عزو كل وجه لناقله^(٤).

٦- علم مذاهب الأئمة في قراءات نظم القرآن^(٥).

ويمكن إجمال هذه التعريفات بالقول: إن القراءات القرآنية هي «مذاهب الناقلين لكتاب الله عزّ وجل في كيفية أداء الكلمات القرآنية»^(٦).

قد يختلط على قارئ هذه الحدود الفارق الدقيق بين كل من القرآن الكريم

الكريم. توفي في السنة الخامسة والأربعين هجرية. انظر سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ٢، ص ٤٢٦ وما بعدها، والأعلام، الزركلي، ج ٣، ص ٥٧.

(١) منجد المقرئين، ابن الجزري، ص ٤، ٥.

(٢) البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله الزركشي، ج ١، ص ٤٦٥، تحقيق يوسف المرعشلي، جمال الذهبي، وإبراهيم الكردي، دار المعرفة، بيروت، ط. الثانية، ١٩٩٤.

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ج ١، ص ٤٨٩.

(٤) البذور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، عبد الفتاح القاضي، ص ٧، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. الأولى، ١٩٨١.

(٥) ترتيب العلوم، محمد بن أبي بكر المرعشي، ص ١٣٥، تحقيق محمد السيد أحمد، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط. الأولى، ١٩٨٨.

(٦) القراءات القرآنية، عبد الحلیم بن محمد الهادي قابة، ص ٢٦، مراجعة مصطفى الخن، دار الغرب الإسلامي، ط. الأولى، ١٩٩٩.

والقراءات، لهذا فإن الزركشي^(١) كان من الذين وضحو ذلك عندما قال: «القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز، والقراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كِتْبة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما»^(٢).

وبالمقابل أطلق ابن دقيق العيد^(٣) وغيره^(٤) اسم القرآن الكريم على القراءات ولو كانت شاذة^(٥).

إن إطلاق القراءات يتطابق مع القرآن الكريم، إذا قصد بالقراءات الأحرف، أما إطلاق لفظ القراءات القرآنية وقصد كيفية أداء الكلمات القرآنية المنسوبة للقراء، ففي ذلك تفصيل:

١- إذا كانت القراءات متواترة مستفيضة مستوفية للشروط التي ذكرها ابن الجزري^(٦)، فيمكن أن يقال هي القرآن الكريم ذاته.

٢- ما اختل فيه شرط من شروط القراءات الصحيحة، فلا يصح أن يقصد بها القرآن الكريم بل هي قراءة شاذة.

وبذلك يتبين أن بين القرآن الكريم والقراءات القرآنية العموم والخصوص المطلق. فالقراءات على اختلاف أنواعها لا تصل إلى مرحلة شمولية جميع كلمات

(١) هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، ولد سنة سبع مئة وخمس وأربعين هجرية، في مصر، غير أن أصله من تركيا، تنوعت تصانيفه بين الفقه وأصوله والتفسير والأدب وغيرها... توفي سنة سبع مئة وأربع وتسعين هجرية. انظر الأعلام، الزركلي، ج٦، ص ٦٠، ٦١.

(٢) البرهان في علوم القرآن، ج١، ص ٤٦٥.

(٣) هو محمد بن علي بن وهب بن مطيع، ولد سنة ست مئة وخمس وعشرين هجرية، في مصر، درس في دمشق ثم بالإسكندرية والقاهرة، وبعدها تولى قضاء الديار المصرية، مؤلفاته مختلفة، فنيها من الحديث وأصول الفقه وغيرهما... توفي سنة سبع مئة واثنين هجرية. انظر الأعلام، الزركلي، ج٦، ص ٢٨٣.

(٤) من المعاصرين على سبيل المثال لا الحصر، محمد سالم محيسن. انظر القراءات وأثرها في علوم العربية، محمد سالم محيسن، ج١، ص ١٠.

(٥) انظر القراءات القرآنية، عبد الحلیم قابة، ص ٣١.

(٦) اشترط علماء هذا الفن توفر ثلاثة شروط في القراءة لتكون صحيحة، وهي كونها موافقة للعربية ولو بوجه، وأن تكون القراءة موافقة لأحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، والأهم من ذلك هي صحة سند القراءة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، وأي إخلال في أحد الشروط السابقة يخرج القراءة عن إطار الصحة. انظر النشر في القراءات العشر، (ج١، ص ٩).

القرآن الكريم بل موجودة في العديد من ألفاظه فقط.

فكل ما هو قرآن كريم يمكن عدّه من القراءات القرآنية، بينما ليس كل ما يندرج ضمن القراءات هو قرآن كريم^(١).

وهذا هو ما قصده الإمام الزركشي عندما قال: «ولست في هذا أنكر تداخل القرآن بالقراءات، إذ لا بد أن يكون الارتباط بينهما وثيقاً، غير أن الاختلاف على الرغم من هذا يظل موجوداً بينهما، بمعنى أن كلاً منهما شيء يختلف عن الآخر لا يقوى التداخل بينهما على أن يجعلهما شيئاً واحداً، فما القرآن إلا التركيب واللفظ، وما القراءات إلا اللفظ ونطقه والفرق بين هذا وذاك واضح وبيّن»^(٢).

لم يكن كتبة الوحي الذين كان النبي ﷺ يملي عليهم - كلما أتاه الوحي بشيء جديد - من قبيلة واحدة - وبخاصة في مجتمع المدينة المنورة - بل كانوا من قبائل متعددة، وكان الصحابة رضي الله عنهم كلما سمع أحدهم من أخيه قراءة لم يسمعه هو من النبي ﷺ هرع إلى الرسول عليه الصلاة والسلام شاكياً، فيقول عليه الصلاة والسلام - بعدما يسمع من كل قراءته -: «هكذا أنزلت»^(٣).

فبجمع الإسلام تحت لوائه العديد من القبائل من مختلف الشرائح الاجتماعية - ولكل لهجته - مصداقاً لقوله عليه الصلاة والسلام: «إني بعثت إلى أمة أميين منهم الغلام والخادم والشيخ العاسي والعجوز»^(٤)، وعلى الرغم من التزام الجميع بقراءة النبي ﷺ، كان لا بد من لحن البعض أو من اختلاف قراءاتهم، ولو بقدر يسير تصعب ملاحظته، وهذا ما أشار إليه ابن قتيبة^(٥) عندما

(١) انظر القراءات القرآنية، عبد الحليم قابة، ص ٣١، ٣٢.

(٢) البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ٤٦٥.

(٣) انظر على سبيل المثال ما ذكرته سابقاً من قصة سيدنا عمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم، لما سمعه يقرأ على حروف لم يقرأها النبي ﷺ لعمر رضي الله عنهما، ص ١٧٧.

(٤) عن أبيّ قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل عند أحجار المراء، فقال رسول الله ﷺ لجبريل: «إني بعثت إلى أمة أميين، فيهم الشيخ العاسي والعجوز الكبيرة والغلام» قال: (فمرهم فليقرأوا القرآن على سبعة أحرف) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٣٥، ص ١٣٢ رقم الحديث ٢١٢٠٤.

والعاسي هو الكبير، انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ١٥، ص ٥٤ مادة (عسا).

(٥) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل المروزي، ولد سنة مئتين وثلاث عشرة من الهجرة في بغداد، وسكن الكوفة، علامة كبير، ذو علوم متعددة، وعُدّ من المكثرين للتصنيف، أطلق عليه الدينوري نسبة إلى مدينة الدينور التي تولى القضاء فيها. توفي في المدينة التي ولد فيها سنة =

قال: «ولو أن كل فريق من هؤلاء، أمر أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشئاً وكهلاً، لاشتد ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للسان، وقطع للعادة، فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعاً في اللغات، ومتصرفاً في الحركات، كتييسره عليهم في الدين حين أجاز لهم على لسان رسول الله ﷺ أن يأخذوا باختلاف العلماء من صحابته في فرائضهم وأحكامهم...»^(١).

وكذلك وضح تلك الصورة ابن الجزري حيث قال: «وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، لغاتهم مختلفة، وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها، أو من حرف إلى آخر، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك، ولا بالتعليم، والعلاج، لاسيما الشيخ والمرأة، ومن لم يقرأ كتاباً... فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يُستطاع»^(٢).

إن مرجع صحة القراءة إلى الصحابي نفسه مادامت لهجته مطابقة لما نزل على النبي ﷺ، ومادامت قراءته منقولة عن الرسول ﷺ ولا يختلف معها المعنى المراد، ولذلك قيل: «أنزل القرآن أولاً بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء، ثم أبيع للعرب أن يقرؤوه بلغاتهم التي

جرت عاداتهم باستعمالها على اختلافهم في الألفاظ والإعراب، ولم يُكلف أحد منهم الانتقال من لغته إلى لغة أخرى للمشقة، ولما كان فيهم من الحمية، ولطلب تسهيل فهم المراد، كل ذلك مع اتفاق المعنى، وعلى هذا ينتزل اختلافهم في القراءة... وتصويب رسول الله ﷺ كلاً منهم»^(٣).

=
متين وست وسبعين من الهجرة. انظر سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ١٣، ص ٢٩٦ وما بعدها، والأعلام، الزركلي، ج ٤، ص ١٣٧.

(١) تأويل مشكل القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، شرح السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط. الثانية، ١٩٧٣، ص ٣٩، ٤٠.

(٢) النشر في القراءات العشر، ج ١، ص ٢٢.

(٣) كلام بعض الشيوخ كما نقله عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان. المعروف بأبي شامة. كما ذكر ابن حجر العسقلاني في فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ج ٩، ص ٣٣، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٩٨٩، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف.

وعلى هذا تجيء قراءة الصحابين^(١) لسورة الفرقان، وإلا فكيف يستقيم أن يقول النبي ﷺ في قراءة كل منهما - مع اختلافهما - «هكذا أقرأني جبريل»! ما ذلك إلا إشارة إلى أن جبريل عليه السلام قد أقرأه مرة بهذه ومرة بتلك.

حين توزع الصحابة في الأمصار الإسلامية، أخذ كل منهم يُقرئ المسلمين على لهجته، وكان الأمر يتطور أحياناً إلى كتابة بعض الأشخاص الجدد القرآن الكريم بالحرف الذي أقرأه به الصحابي، وبذلك توسعت قراءة الناس وكتاباتهم للقرآن الكريم، وتتابع هذا الخلاف بين أتباع كل قراءة على حدة، وكل يخطئ الآخر إلى أن جمع سيدنا عثمان بن عفان المسلمين على مصحف واحد^(٢)، غير منقوط الأحرف، خالٍ من التشكيل، وبذلك استطاع سيدنا عثمان بن عفان ضبط قراءات المسلمين لكتاب ربهم، وبذلك المرجع أصبح استقرار الناس في قراءاتهم هو سيد الموقف.

لم تكن القراءات القرآنية - بعد أن وُحِدَ سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه المصاحف وترك ما لم يجمع عليه من القراءات - على درجة متساوية من الذيوع والانتشار، ورافق اللحن بعض وجوه القراءات، واختلطت الأسانيد، فكان ذلك حافزاً لأولي الأمر لكتابة هذا الفن وتدوينه، إلا أن تلك الجهود كانت غير متناسقة، تميل نحو الفردية الذاتية، المشوبة بالتعدد والاختلاف.

وبقي الأمر على حاله قرناً من الزمن حيث وضعت شروط وقواعد موزونة بميزان النقد الدقيق^(٣)، الذي يضبط معرفة القراءات الصحيحة^(٤) «ومتى لم تتحقق

(١) هما عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم رضي الله عنهما.

(٢) سبق جمع عثمان بن عفان جمع لأبي بكر بن الصديق رضي الله عنهما، في مصحف بقي عنده إلى أن توفي ثم نقل المصحف إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أن توفي فأعطي للسيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب، ثم جمع عثمان القرآن في إمام، وكان اعتماده على النسخة التي عند حفصة، وقد نسخ منه أربعة مصاحف وقيل سبعة أرسلها للمسلمين في الكوفة والبصرة والشام، وأبقى نسخة عنده، وزيد إلى مكة واليمن والبحرين. انظر مناهل العرفان، محمد عبد العظيم الزرقاني، ج ١، ص ٣٠٦-٣١٥، والبرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج ١، ص ٣٢٦-٣٣٤.

(٣) انظر لغة القرآن، أحمد مختار عمر، ص ٦٣-٦٥، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ط. الأولى، ١٩٩٣، واللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، ص ٦٧-٧٣، والنشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج ١، ص ٩.

(٤) انظر القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، محمود أحمد الصغير، ص ٣١، دار الفكر، بيروت، ودمشق، ط. الأولى، ١٩٩٩.

هذه الأركان كلها أو بعضها في قراءة، فهي شاذة مردودة^(١).
فالقراءة الشاذة هي التي لم يصح سندها أو خالفت الرسم أو لا وجه لها في العربية^(٢).

بذلك يعد ظهور المصحف الإمام في عهد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ارهاصاً لبدء تاريخ القراءات الشاذة ثم جاءت ضوابط القراءات الصحيحة لترسخ وتحدد تلك السبع، وتخرج ما عدا ذلك^(٣).

مما سبق يتبين أن القراءات القرآنية مرّت بمرحلتين زمنيّتين:

١- بدأت منذ زمن النبي ﷺ واستفحل خطر اللحن فيها بتوسع رقعة البلاد الإسلامية، غير أن هذه القضية ضبطت بعد جمع سيدنا عثمان بن عفان للمصحف.

٢- بدأت بعد قرن من جمع الناس على المصحف الإمام - منذ منتصف القرن الثاني الهجري - وما زالت ضوابطها محفوظة في بطون كتب القراءات.

إن تنوع القراءات القرآنية وتعددتها قد أفسح المجال أمام البحث الواسع في نوع هذه الاختلافات، وأسبابها وفوائدها، ثم العناية البالغة بقراءات القرآن الكريم والتخصص فيها، بل وتبلورها في إطار علم مستقل له أهله وباحثوه.

بعد تقديم تاريخ موجز عن القراءات القرآنية، وقبل الخوض في صلب هذا

(١) القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، عبد الفتاح القاضي، ص ٤، دار إحياء الكتب العربية.

(٢) انظر النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج ١، ص ٩.

(٣) يذكر أن القراء السبعة هم:

نافع المدني وعبد الله بن كثير المكي وأبو عمرو بن العلاء البصري وعبد الله بن عامر الدمشقي وعاصم الكوفي وحمزة الزيات الكوفي وعلي الكسائي الكوفي. ويأتي ترتيبهم حسب أهمية المدن المشهورة التي حملت القراءات.

أما أصحاب القراءات الثلاث المتواترة فهم: أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي وخلف بن هشام البغدادي.

وغدّ الحسن البصري ومحمد بن عبد الرحمن ابن محيىن ويحيى ابن المبارك الزبيدي البغدادي وسليمان بن مهران الأسدي الأعمش من أصحاب القراءات الشاذة التي ما بعد العشرة.

انظر كتاب السبعة في القراءات، أحمد بن موسى ابن مجاهد، ص ٥٣. ٨٧، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط. الثانية، وكتاب التيسير في القراءات السبع، عثمان بن سعيد الداني، ص ٤. ٧، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. الثانية، ١٩٨٤، واتحاف فضلاء البشر، أحمد بن عبد الغني الدمياطي، ص ٧.

المبحث، أشير إلى أنني كنت قد أطلقت بداية على هذا المبحث عنوان «أثر اللهجات العربية على القراءات القرآنية»، لكن لما طالعت ما يتصل بهذا الموضوع، ووجدت أن لكل من اللهجات العربية والقراءات القرآنية تأثيراً على الطرف الآخر - كما سيتبين لاحقاً - لهذا ارتأيت أن أطلق عنواناً يتطابق مع حيثيات المعطيات وهو: «العلاقة بين اللهجات العربية والقراءات القرآنية».

وهناك نقطة ثانية أود توضيحها، وهي علاقة كل من اللهجات العربية والقراءات القرآنية بالأحرف السبعة^(١).

فهل القراءات السبع الصحيحة والمشتهرة هي الأحرف السبعة نفسها أم لا؟ وهل الأحرف السبعة هي لغات أفصح سبع قبائل من العرب أم هي غير ذلك؟ إن هذا الموضوع لا يتعلق تعلقاً مباشراً بهذا المبحث، لأن الأحرف السبعة لها موضوعات المنفصلة - نوعاً ما - عن كل من القراءات ومن اللهجات، يضاف إلى ذلك أن الإجابة عن السؤالين السابقين قد أشبعت بحثاً، فالعلماء ناقشوا ذلك مفصلاً ومطولاً^(٢)، وليس من أصول البحث العلمي الخوض فيما كثرت الكتابة فيه، وجفت الأقلام عن التحدث فيه.

لكن على الرغم من ذلك أختصر فأقول:

اختلف العلماء في تفسير حديث: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه»، وتضاربت أقوالهم في مجاله وتعددت آراؤهم في معناه، إلى مرحلة أن عدَّ أحدهم^(٣) الروايات فبلغت الأربعين وجهاً، غير أن الخوض في هذه الأقوال ومناقشتها لن يأتي بفائدة إلا في تكثير السطور والصفحات، لذلك سأكتفي بذكر ما يهم هذا البحث لإخراجه بحلّة بهية.

(١) الحرف من الألفاظ المشتركة والتي يراد منها معاني كثيرة، فقد تطلق لغة على حروف الهجاء أو على كل كلمة تقرأ على وجوه متعددة، أو يراد منها اللغة، وقد ذكر ابن قتيبة معاني الحرف مفصلاً. انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ٩، ص ٤١، مادة (حرف)، وتأويل مشكل القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ص ٣٥، ٣٦.

(٢) وبعض من تلك المراجع: انظر البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج ١، ص ٣٠١-٣١٩، ومناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ج ١، ص ١٧٩-٢٤٠، والإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج ١، ص ١٣١-١٤١.

(٣) السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن، ج ١، ص ١٣١.

إن من المهم توضيح مسألة وهي أن ابن مجاهد^(١) عندما ألف كتابه «القراءات السبع» أوهم العديدين أن الأحرف السبعة والقراءات السبع شيء واحد، لكن ذلك الاختيار خاص بابن مجاهد^(٢)، فهو أول من اقتصر على قراءات سبع، وقد يكون قاصداً بذلك موافقة القراءات لعدد المصاحف التي جمعها الخليفة الراشد الثالث وأرسلها إلى الأمصار - روي أنها كانت سبعة مصاحف - فوقع ذلك اللغظ لمن لم يعرف أصل المسألة فظن أن المراد بالقراءات السبع، الأحرف السبعة، لاسيما وقد كثر استعمالهم للحرف موضع القراءة، فقالوا اقرأ بحرف نافع، بحرف ابن كثير وهكذا... فتأكد الظن بذلك. من أجل هذا حاول ابن الجزري تصحيح ذلك الغلط فقال: «لا يجوز أن يكون المراد هؤلاء السبعة القراء المشهورين، وإن كان يظنه بعض العوام، لأن هؤلاء السبعة لم يكونوا خُلقوا ولا وُجدوا»^(٣). وقد وجه ابن الجزري اللوم لابن مجاهد لاقتصاره على سبعة قراء، مما أوجد لبساً في هذا الموضوع عند الناس، فقليل: «لقد نقل مسبِّح هذه السبعة ما لا ينبغي له، وأشكل الأمر على العامة، بإيهامه كل من قلَّ نظره أن هذه القراءات هي المذكورة في الخبر، وليته إذا اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل الشبهة»^(٤).

لكن إذا أعيد النظر في التاريخ إلى بداية عصر الرسالة، يلاحظ أنه لا فرق بين كلمة «الحرف» و«القراءة»، وهذا ملاحظ أيضاً في التعريف اللغوي للحرف، فقد يطلق الحرف ويراد منه القراءة التي أجازها الرسول عليه الصلاة والسلام للصحابة^(٥)، لكن بعد اكتمال نزول القرآن، ثبت على حرف واحد، وهو الحرف

(١) هو أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي، ولد سنة مئتين وخمس وأربعين هجرية، في بغداد، إمام محدث نحوي، وشيخ للمقرئين، وقيل إنه كان يجتمع في حلقة أربعة وثمانون مقرئاً. توفي سنة ثلاثمئة وأربع وعشرين هجرية. انظر غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، ج ١، ص ١٣٩-١٤٢، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ١٥، ص ٢٧٢-٢٧٤، والأعلام، الزركلي، ج ١، ص ٢٦١.

(٢) انظر النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج ١، ص ٣٤، ولغة القرآن، أحمد مختار عمر، ص ٦١.

(٣) النشر في القراءات العشر، ج ١، ص ٢٤.

(٤) قول أبي العباس بن عمار، كما نقله السيوطي في كتابه الإتقان، ج ١، ص ٢٢٣.

(٥) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ٩، ص ٤١، وتأويل مشكل القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ص ٣٥، ٣٦.

الذي دُوِّن به القرآن الكريم في صورته النهائية^(١). ثم جرى المترجمون لسير القراءة - في مؤلفاتهم - على أن يميزوا في ترجمة القارئ بين أدائه وروايته، فيسمون الأول قراءة والثاني حرفاً، وقد يجتمع في الشخص الواحد القراءة ورواية الحروف، كما كان الحال بالنسبة لكثير من الصحابة والتابعين، وعدد من مشاهير القراء، مثل حمزة وخلف والكسائي ويعقوب^(٢).

وبذلك يمكن فك اللغز القائم في العلاقة بين الأحرف السبعة والقراءات القرآنية.

أما القول في تطابق معنى الأحرف السبعة واللهجات، فقد كثر الكلام عليه، فقليل هم من قريش دون عدّ غيرهم معهم، وقيل خمس من الأحرف السبعة هي لغات لهوازن وحرفان لسائر لغات العرب، وذلك من باب تكريم النبي ﷺ، فقد نشأ عند هذيل وتربى في هوازن، وتوسّع في ذلك حتى قيل^(٣): «نزل القرآن بلغة كل حي من أحياء العرب».

ورواية أخرى تذكر أن النبي ﷺ كان يُقرئ الناس بلغة واحدة، فاشتد ذلك عليهم، فنزل جبريل فقال: «يا محمد، أقرئ كل قوم بلغتهم»^(٤).

بعد جمع هذا الكلام يمكن القول:

إن النظر إلى اللغات السبع أنها من قريش، أمر فيه صعوبة على القبائل، من جهة امثالها بلهجة قريش وحدها، وقد ناقشت ذلك سابقاً^(٥).

أما القول بأن خمساً من الأحرف بلغة هوازن وحرفان لسائر لغات العرب، فذلك ليس منصفاً، ومن الصعب قبوله منطقياً، فأيهما أكثر عدداً، هوازن أم سائر

(١) انظر لغة القرآن، أحمد مختار عمر، ص ٥٩، ٦٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٠.

(٣) هو قول لسيدنا علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهم. المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، ص ٩٦، تحقيق طيار آتي قولاج، دار صادر، بيروت، ١٩٧٥.

(٤) هذه الرواية وردت عن ابن عباس رضي الله عنهما. المرشد الوجيز، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، ص ٩٦، ٩٧.

(٥) انظر المبحث الثاني من الفصل الثالث تحت عنوان "القبائل التي وردت لهجاتها في القرآن الكريم" ص ١٧٦-١٨٤.

العرب؟ ولماذا يوسّع على قوم دون قوم؟

إن السبب في تعدد الأحرف - سواء أكان من معانيها القراءات أم اللهجات أم غير ذلك - إرادة التخفيف والتيسير على الأمة، ذات القبائل المتعددة واللهجات المتغايرة.

وبناءً على ذلك يمكن الخروج من الخلافات العديدة والمتشابكة بالقول: إن اختلاف هذه الأحرف هو اختلاف مغايرة دون تناقض.

■ العلاقة بين اللهجات العربية والقراءات القرآنية:

يمكن القول إن النقطة التي يبدأ منها الحديث عن العلاقة القائمة بين اللهجات العربية والقراءات القرآنية هي أن الثانية يجب أن تكون موافقة للأولى لتكون قراءة صحيحة^(١)، ونتيجة لذلك فإن القراءات القرآنية الصحيحة «هي المرآة الصادقة التي تعكس الواقع اللغوي الذي كان سائداً في شبه الجزيرة قبل الإسلام، ونحن نعدّ القراءات أصل المصادر جميعاً في معرفة اللهجات العربية»^(٢).

ومما يؤكد ذلك الأوصاف التي اتسم بها علماء القراءات، فقد قيل عن عاصم - على سبيل المثال - إنه «جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد»^(٣).

كما عرف عن حمزة أنه «كان ثقة كبيراً حجة رضيعاً قيماً بكتاب الله، مجوداً، عارفاً بالفرائض والعربية»^(٤). ويكفي أنه بذكر أبي عمرو بن العلاء والكسائي يتبادر إلى الذهن مباشرة قادة أهل البصرة والكوفة في العربية.

يعد اختلاف اللهجات العربية من أحد العوامل التي طرحت في أسباب تعدد القراءات القرآنية، وقد ذهب ابن قتيبة إلى ذلك عندما قال: «فكان من تيسيره أن أمره بأن يقرئ كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عاداتهم، فالهذلي يقرأ «عتى حين»^(٥) يريد «حتى حين» لأنه هكذا يلفظ بها أثناء استخدامها، والأسدي يقرأ

(١) انظر النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج ١، ص ٩.

(٢) اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، ص ٨٣، ٨٤.

(٣) غاية النهاية في طبقات القراء، محمد بن محمد بن الجزري، ج ١، ص ٣٤٧.

(٤) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج ١، ص ١٦٦.

(٥) سورة يوسف، من الآية: ٣٥.

﴿تَعْلَمُونَ﴾^(١) و﴿تَعْلَمُ﴾^(٢) و﴿تَسْوُدُ وَجُوهٌ﴾^(٣) و﴿أَلَزَّ إِعْهَدَ إِلَيْكُمْ﴾^(٤) و«التميمي يهمز والقرشي لا يهمز...»^(٥).

وهنا أحب أن أذكر بما أومأت إليه آنفاً، من أن إقرار النبي ﷺ لقراءات الصحابة، لم يكن إلا في حالة مطابقته لما نزل على قلبه عليه الصلاة والسلام، وعدم مخالفة معنى الآيات الكريمة.

كما اتجه آخرون نحو مذهب ابن قتيبة، فقد قيل: «القرآن العربي فيه من جميع لغات العرب، لأنه أنزل عليهم كافة، وأبيح لهم أن يقرؤوه على لغاتهم المختلفة، فاختلفت القراءات فيه لذلك»^(٦).

وأيد هذا الرأي بعض المعاصرين^(٧)، فقد قيل: «إنما أشير إلى اختلاف آخر في القراءات يقبله العقل ويسیغه النقل وتقتضيه ضرورة اختلاف اللهجات بين قبائل العرب التي لم تستطع أن تتغير حناجرها وألسنتها وشفاهها لتقرأ القرآن كما كان يتلوه النبي وعشيرته قريش، فقرأته كما كانت تتكلم»^(٨).

فصحيح أن الكلام يحمل في طياته نزول القرآن الكريم بلهجة قريش وحدها، وقد ناقشت ذلك مطوّلاً في مبحث سابق^(٩)، لكن الذي أردت الإشارة إليه، أن اللهجات العربية كانت سبباً من أسباب تعدد القراءات القرآنية، بل إن المؤلف لا يكتفي بعدد اللهجات من أسباب تنوع القراءات، إنما يتخطى إلى ما هو أشد من ذلك، فيعدّ في كتابه «في الأدب الجاهلي» أن اللهجات العربية هي نفسها مصدر القراءات القرآنية قائلاً: «ذلك أن قوماً من رجال الدين فهموا أن هذه القراءات السبع متواترة عن النبي، نزل بها جبريل على قلبه، فمكرها كافر من غير

(١) سورة البقرة، من الآية: ٢٢. (٢) سورة البقرة، من الآية: ١٠٦.

(٣) سورة آل عمران، من الآية: ١٠٦. (٤) سورة يس، من الآية: ٦٠.

(٥) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص ٣٩.

(٦) قول أبي شامة في كتابه إبراز المعاني من جزر الأمانى، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، ص ٤٨٧، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ١٣٤٩هـ.

(٧) منهم على سبيل المثال، الدكتور طه حسين في كتابه «في الأدب الجاهلي»، وكل من علي الجندي ومحمد صالح سمك ومحمد أبو الفضل إبراهيم في كتابهم «أطوار الثقافة والفكر في ظلال العروبة والإسلام»، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط. الأولى، ١٩٥٩.

(٨) في الأدب الجاهلي، طه حسين، ص ٩٥.

(٩) انظر الفصل الثالث ص ١٧٦-١٨٤.

شك ولا ريبة... والحق أن ليست هذه القراءات السبع من الوحي في قليل ولا كثير، وليس منكرها كافراً ولا فاسقاً ولا مغتمزاً في دينه، وإنما هي قراءات مصدرها اللهجات واختلافها^(١).

وهذا الكلام قد رُدَّ عليه، وحسبه الشروط التي وضعها العلماء لقبول القراءة^(٢)، لكن يُزاد على ما قيل إن هناك العديد من القراءات لا يعود أصل الاختلاف فيها إلى اللهجات، ومن ذلك الاختلاف في قراءة الكلمات التالية:

- «يقبل» في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾^(٣) قراءة للجمهور، وقرأ آخرون «ولا تقبل» بالثناء^(٤).

- «تعملون» في قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٥) وهي قراءة الجمهور، لكن قرئ بالياء بصيغة الجمع الغائب «يعملون»^(٦).

- «تعبدون» في قوله تعالى: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾^(٧) قرأ بها الجمهور، غير أن قراء آخرين تلاوا بصيغة الجمع الغائب فقالوا: «لا يعبدون إلا الله»^(٨).

والأمثلة من ذلك أكثر من أن تُحصى.

والملاحظ في كل ما ذكر أن القراءات على اختلافها ترجع إلى الرسول ﷺ فعلاً أو تقريراً، وإلى أنها كانت من باب التيسير والتوسعة على الأمة الإسلامية رحمة بها.

أما عن أثر القراءات القرآنية في اللهجات العربية، فمن المعروف أن أساليب القبائل وتعبيراتها وألفاظها كانت مختلفة، ولما كان القصد من إنزال القرآن الكريم هداية الأمة وإرشادها لتكون حاملة هذه الرسالة الإلهية إلى الإنسانية جمعاء، كان لابد من قراءة القرآن الكريم على وجه يكفل له تحقيق أهداف هذه

(١) طه حسين، ص ٩٨، ٩٩.

(٢) انظر النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج ١، ص ٩.

(٣) سورة البقرة، من الآية: ٤٨.

(٤) وهم ابن كثير وأبو عمرو، انظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ١، ص ٤٣١.

(٥) سورة البقرة، من الآية: ٧٤.

(٦) وهي قراءة ابن كثير، انظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ١، ص ٤٣١.

(٧) سورة البقرة، من الآية: ٨٣.

(٨) قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي، انظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ١، ص

الرسالة، ومن هنا اقتضت الحكمة الإلهية أن تتعدد القراءات القرآنية لأغراض وحكم جليلة، ولتسهل تلاوة القرآن الكريم على تلك القبائل على اختلاف لهجاتها، فحصل بذلك التخفيف عنها، فما ذاع في أرجاء الجزيرة من القرآن الكريم، شاع التعبير عنه بما تضمنه من ألفاظ على كل لسان، فكان قدراً مشتركاً بين كافة القبائل، تعبر به في غدوها ورواحها، فأكسبت القراءات الأمة من ذلك عنصراً من أهم مقوماتها ومكوناتها، وهو نوع من أنواع وحدة اللغة، إذ خفت حدة خلافات اللغات واللهجات، وأذنت بالزوال.

فتلاوة القرآن الكريم بعدة قراءات مرحلة مهمة أسهمت كثيراً في تحطيم الحواجز اللغوية بين العرب، بل أدت في خاتمة المطاف إلى شبه وحدة بين الألسن العربية.

وهنا يكمن السر، فقد يتساءل البعض: كيف يمكن لتعدد القراءات أن يكسر الحواجز اللغوية بين العرب، والقراءات متعددة أصلاً؟

والجواب عن ذلك سهل وهو أمر طبيعي، لأن التزام جميع الأمة بعدد معين من القراءات - سواء أكان سبعاً أم عشراً - لا بد أنه سيحدّ من التوسع، ومن قراءة كل فرد أو قبيلة على هواها.

هذا من ناحية القراءات الجائز تلاوة القرآن الكريم بها، لكن لا يمكن إغفال دور القراءات الشاذة أيضاً، في التعرف على اللهجات العربية، لأن «القراءات الشاذة هي أغنى ماثورات التراث بالمادة اللغوية التي يلمح فيها المرء صورة تاريخ هذه اللغة الخالدة»^(١).

فتنوع القراءات - وكما ذكرت آنفاً - من أسباب وجوده اختلاف اللهجات وإنما «القراءات المشهورة اليوم عن السبعة والعشرة والثلاثة عشر بالنسبة إلى ما كان مشهوراً في الأعصار الأول قلّ من كثر ونزر من بحر، فإن من له اطلاع على ذلك يعرف علمه العلم اليقين»^(٢).

كما وحفظت القراءات كثيراً من لغات العرب ولهجاتهم من الضياع

(١) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، عبد الصبور شاهين، ص ٧، ٨، مكتبة الخانجي، القاهرة.

(٢) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج ١، ص ٣٣.

والاندثار، لأنها استعملت أفصح ما عندهم، وبذلك خلدت لغتهم وذكرهم، وفي ذلك من المنة عليهم ما لا يخفى^(١).

تحت عنوان هذا المبحث يطرح سؤال يطرق أبواب الذهن وهو:

هل كل قارئ من القراء يمثل بيئته وقبيلته ولسانه الذي اعتاد على لهجة مخصوصة، أم ليس ذلك ضرورياً؟

يذكر بداية أن القراء قد رويت عنهم عدة روايات، فهم أخذوا عن كثير من الشيوخ، فالإمام نافع مثلاً قرأ على سبعين من التابعين^(٢)، وذلك يجعل عزو القراءة إلى بيئة القارئ أمراً صعباً، يضاف إلى ذلك أنه سُجّلت العديد من القراءات التي خالف بها بعض القراء ظواهر بيئتهم اللهجية، فالإمام ابن كثير - على سبيل المثال - هو قارئ مكة، ومكة المكرمة موطن قريش، وقد مرّ سابقاً أن قريشاً لا تهمز^(٣). ومع ذلك فإن الإمام ابن كثير كان أكثر الهامزين^(٤).

لذلك من الأفضل أن يقال: بما أن القراءة سنة متبعة، فإن القراء أجمعوا على الأخذ بما هو أكثر ثبوتاً في الأثر، والأصح في النقل^(٥).

والصّفة أن لهجات القبائل العربية كانت من الأسباب التي أدت إلى تكوين القراءات القرآنية ونشوتها وتعددتها، وبالمقابل فإن القراءات القرآنية ساعدت في توحيد اللهجات العربية في بعض النواحي، وحفظتها من الاندثار، وأصبح كل قوم يقرؤون القرآن الكريم بلغتهم - مادامت بأثر أو رواية مسندة - أو على ما يسهل عليهم من لغة غيرهم، وعلى ما جرت به عادتهم.

كما يتبين أن تعدد القراءات القرآنية ما هو إلا لتحقيق التيسير، وهي المثال الحي الوحيد لكيفية النطق بالفصحى، كما لا يغيين عن البال أن القراءات القرآنية تعد كنزاً لاستخراج مكنونات اللهجات العربية، والقراءات بما أثارته من حوار وجدل، قد أخصبت دراسة اللهجات وشحذت الهمم والعقول للمناقشة والتحليل.

(١) انظر صفحات في علوم القراءات، عبد القيوم السندي، ص ١٤٠، دار البشائر الإسلامية والمكتبة الإمدادية، بيروت ومكة المكرمة، ط. الثانية، ٢٠٠١.

(٢) انظر النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج ١، ص ١١٢.

(٣) انظر الفصل الثاني في هذه الرسالة، ص ١٠٣، ١٠٤.

(٤) انظر الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي، ج ٦، ص ٦٩.

(٥) انظر النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج ١، ص ١١.

أثر اللهجات العربية في التفسير (آيات الأحكام خاصة)

■ معنى آيات الأحكام في اللغة والاصطلاح:

الآيات لغةً: جمع آية، وتطلق على عدة معانٍ منها: العلامة والعبارة^(١).

والأحكام لغةً: جمع للمصدر حكم، وهو بمعنى القضاء^(٢).

أما الآية في الاصطلاح: فهي طائفة ذات مطلع ومقطع مندرجة في سورة من القرآن الكريم^(٣).

والحكم في اصطلاح الأصوليين: خطاب^(٤) الشارع المتعلق بأفعال المكلف بالافتضاء أو التخيير أو الوضع^(٥).

فآيات الأحكام لفظ مركب هي: الآيات القرآنية التي يتعلق بها خطاب الله عز وجل بأفعال المكلف بالافتضاء أو التخيير أو الوضع.

كان لتعدد اللهجات أثر كبير في التفسير بشتى أنواعه، فهو منقسم إلى أقسام

(١) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ١٤، ص ٦٢، مادة (أيا).

(٢) انظر المصدر السابق، ج ١٢، ص ١٤١، مادة (حكم).

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ج ١، ص ٤٠٣.

(٤) الخطاب هو اللفظ المتواضع عليه، يقصد منه إفهام من يتمتع بأهلية الفهم، والافتضاء هو الطلب، سواء أكان بالفعل أو الترك، بأسلوب جازم أو غير جازم، والتخيير هو الإباحة. أما الخطاب المتعلق بالوضع فهو جعل الشيء سبباً أو شرطاً أو مانعاً والحكم على الفعل بأنه صحيح أو باطل.

انظر الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الأمدي، ج: ١، ص ٩٥، ٩٦، تعليق عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الثانية، ١٤٠٢هـ.

(٥) المستصفي من علم الأصول، محمد بن محمد الغزالي، ج ١، ص ٧٨، تحقيق إبراهيم رمضان، دار الأرقم، بيروت.

عدة تبعاً للأغراض التي ألفها عليها أصحابها، فمنهم^(١) من جعل تفسيره عاماً يشمل المعاني والأحكام واللغة - وهذا القسم هو الغالب على كتب التفسير - ومنهم^(٢) من اهتم بتفسير أحكام القرآن الكريم، ومنهم^(٣) من اهتم باللغة العربية، وما ذلك إلا لأن القرآن الكريم حوى أساليب العرب في كلامهم، فالكنز الثمين في القرآن الكريم، معزول عن عقول الذين لا يفقهون اللغة، ولم يغوصوا في أعماقها ليتذوقوا أسرار جمالها، وقد تشدد البعض في ذلك، فقد ورد عن الإمام مالك بن أنس أنه قال: «لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغة العرب إلا جعلته نكالا»^(٤). وقال آخر^(٥): «لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب».

فقواعد اللغة العربية هي السبيل لفهم معاني القرآن الكريم، ومن دونها يحصل الخطأ في التفسير، والفساد في الفهم^(٦).

ولا يمكن لأحد الإحاطة بقواعد اللغة العربية إلا بعد الاطلاع على لهجات القبائل العربية، ومعرفة المميزات العامة لما كان مشتهراً من اللغات.

فالاعتماد على اللهجات العربية كان مرافقاً لتفسير القرآن الكريم في جميع المراحل، وإن كانت بعض اللهجات أظهر وأقوى من البعض الآخر، يوضح ذلك ما قاله النبي ﷺ - وهو المفسر الأول للقرآن الكريم -: «أنا أعربكم، أنا من

(١) كإسماعيل بن كثير القرشي في تفسيره المسمى (تفسير القرآن العظيم)، ومحمد بن جرير الطبري في تفسيره المسمى (جامع البيان في تفسير القرآن)، وعبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي في تفسيره (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، وأحمد بن إبراهيم الثعلبي في تفسيره (الكشف والبيان عن تفسير القرآن)، وغيرهم كثير...

(٢) كمحمد بن عبد الله المعروف بابن العربي في تفسيره (أحكام القرآن)، ومحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن)، وأحمد بن علي الرازي الجصاص في تفسيره (أحكام القرآن)، وغيرهم...

(٣) كأبي حيان الأندلسي في تفسيره (البحر المحيط)، وأبي السعود محمد بن محمد العمادي في تفسيره (تفسير أبي السعود)، وغيرهما...

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، كما نقل السيوطي في الإتيان، ج ٤، ص ١٨٢.

(٥) قول مجاهد كما ذكر الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ٣٩٦.

(٦) انظر التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ج ١، ص ١٦، مؤسسة التاريخ، بيروت، ط. الأولى، ٢٠٠٠.

قريش، ولساني لسان بني سعد بن بكر»^(١).

ويمكن القول إن اللهجات العربية، لم يقتصر أثرها على التفسير وحسب، بل كان لها أثر على إثراء المعاني القرآنية أيضاً، وهذه القضية لم تعط حقها كما ينبغي مع أن أثرها كبير في اختلاف المعنى.

ونظراً لتشعب هذا الموضوع «أثر اللهجات العربية في التفسير» فإنني سأقتصر على ذكر نماذج من الأمثلة التي تبين أثر اختلاف اللهجات على آيات الأحكام، وانعكاس ذلك في بعض المسائل بين مذاهب المدارس الفقهية، دون الخوض في ذكر الأدلة الشرعية التي استدلت بها كل فريق ومناقشتها، لأن ذلك يحتاج إلى كتابة الكثير من الصفحات التي لا تثري هذا المبحث، فسأقتصر على ذكر ما يوضح علاقة اللهجات بالأحكام الشرعية عند بعض الأئمة، لكن قبل البدء بها، أشير إلى أنه سيرد في الأمثلة ما هو من المشترك أو الأضداد، وقد ذكرت سابقاً أن من أسباب نشوئهما اختلاف اللهجات العربية^(٢).

وفيما يلي أعرض بعضاً من الأمثلة التي تبين أثر الاختلاف في اللهجات على آيات الأحكام ومذاهب بعض أئمة الفقه.

■ المثال الأول:

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْجِعْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾^(٣).
القرء في اللغة: بفتح الأول وسكون الثاني هو الوقت، والوقت عادة يتسع للحيض وللطهر، فالقرء من الأضداد^(٤).

ومما ورد فيما يفيد أن القرء استعمل في معنى الطهر قول الأعشى^(٥):

(١) فيض القدير، شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، محمد عبد الروؤف المناوي، ج ٣، ص ٥٧، ضبط أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٤.

(٢) انظر الفصل الثاني، ص ١٤٤، ١٤٧.

(٣) سورة البقرة، من الآية: ٢٢٨.

(٤) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ١، ص ١٣٠، ١٣١.

(٥) هو ميمون بن قيس بن جندل، من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، عُرف بثلاثة أسماء هي: الأعشى الكبير، أعشى قيس، وأعشى بكر بن وائل، كان ضعف بصره سبباً لإطلاق لقب الأعشى عليه، وعمي في آخر عمره، وفد على كثير من الملوك العرب، والفرس أيضاً، غزير الشعر إلى درجة أنه لم يعرف قبله من كان أكثر منه شعراً، عاش عمراً طويلاً، وأدرك الإسلام فلم يسلم، =

مورثة مالا وفي الحمد رفعة لما ضاع فيها من قروء نساكنا^(١)
 بما أن النساء تؤتى وقت طهرها - لا في الحيض - فمؤكد أن الذي فاته
 بغيبته هو وقت أطهارهن.

أما ما ورد ويفيد أن القراء معناه الحيض، قول حميد^(٢) :
 أَرَاهَا غُلَامَاهَا الْخَلَى فَتَشَدَّرَتْ مِرَاحاً وَلَمْ تَقْرَأْ جَنِيناً وَلَا دَمًا^(٣)
 لقد جمع القرآن الكريم كلمة «قراء» على «قروء»، وقيل إن هذا الجمع هو
 على غير قياس، إذ القياس أن يجمع على «أقروء»^(٤).

توفي في السنة الهجرية السابعة، في قرية (منفوحة) باليمامة قرب مدينة الرياض. انظر الأعلام،
 الزركلي، ج ٧، ص ٣٤١.

(١) البيت من البحر الطويل وهو للأعشى، ورد في ديوانه، ص ٢٧٥، شرح وضبط محمد أحمد
 قاسم، المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٤. وورد بلفظ (وفي الحي رفعة) في كل
 من شرح فتح القدير، محمد عبد الواحد، ج ٤، ص ١٣٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت،
 وفي لسان العرب، ابن منظور، ج ١، ص ١٣٠. بينما ورد بلفظ (وفي الذكر رفعة) في تفسير
 الطبري، محمد بن جرير الطبري، ج ٤، ص ٥١٢.

وهذا البيت من قصيدة يمدح بها رجلاً غزا غزوة غنم فيها وظفر، فقال له الأعشى :
 أنسي كل عام أنت جاشم غزوة تشد لأقصاها غريم عزائك
 مورثة مالا وفي الذكر رفعة لما ضاع فيها من قروء نساكنا
 الشاهد هو مجيء القراء بمعنى الطهر، لا الحيض، لأن النساء إنما يؤتتين في أطهارهن لا في
 حيضهن، وإنما ضاع وقت أطهارهن عندما غاب عنهن، إذ أثر الغزو على البقاء مع النساء،
 وشغل به عنهن، فيقول له الأعشى : تعزيت عن كل متاع، فهجرت نساءك في وقت طهرهن، فلم
 تقربهن، وأثرت عليهن الغزو، فكانت غزواتك غني ورفعة في الذكر.

(٢) هو حميد بن ثور بن حزن الهلالي العامري، لم تُعرف سنة مولده على التحديد، غير أنه شاعر
 مخضرم، شهد حنيناً مع المشركين، لكنه أسلم، ووفد على النبي ﷺ، عذّه الأصمعي من أحد
 الفصحاء من شعراء العرب في الإسلام، توفي نحو سنة ثلاثين هجرية. انظر الأعلام، الزركلي،
 ج ٢، ص ٢٨٣.

(٣) من البحر الطويل وهو لحميد بن ثور الهلالي، ورد في ديوانه، ص ٩٨، إشراف محمد يوسف
 نجم، دار صادر، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٥، وقد ورد بلفظ (غلامانا) في لسان العرب، ابن
 منظور، ج ١، ص ١٣١.

والخلَى هو الرطب من النبات، وتشدّرت أي حرّكت رأسها مرحاً، ولم تقرأ أي لم تجمع.
 والشاهد في هذا البيت مجيء (القراء) بمعنى الحيض، لأن الوقت الذي لا تحمل فيه المرأة جنيناً
 ولا دماً هو فترة حيضها، ففي ذلك الوقت لا يمكن للعلاقة أن تتكوّن.

(٤) هو قول الأصمعي، نقلاً عن لسان العرب، ابن منظور، ج ١، ص ١٣٠.

أما عن أصحاب كل معنى من المعنيين: فأهل الحجاز يطلقون القرء ويريدون به الطهر، أما أهل العراق فيقصدون منه معنى الحيض^(١).

وكان لهذا التضاد في اللهجات من حيث المعنى، أثر في اختلاف الفقهاء في تعيين المراد به في الآية الكريمة:

فمذهب الإمام أبي حنيفة^(٢) وجماعة^(٣) هو أن المطلقة الحرة التي تحيض عدتها ثلاث حيضات، لأن أيام الحيض هي المعرفة لبراءة الرحم وهي المقصد من العدة^(٤).

أما الإمام الشافعي فذهب إلى أن القرء في الآية الكريمة يقصد منه الطهر، والعدة ثلاثة أطهار للمطلقة الحرة الحائض^(٥)، وكذلك مذهب الإمام مالك^(٦).

(١) المرجع السابق، ج ١، ص ١٣٠.

(٢) هو النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان، ولد سنة ثمانين هجرية في الكوفة، وأخبار الثقات من أهل الشأن يؤكدون أنه فارسي وليس بعربي، إمام، فقيه، عالم، ينسب إليه أحد المذاهب الأربعة المشهورة، عُرف مذهبه الفقهي بالتدقيق في الرأي وغوامضه، عني بطلب الآثار، وتنقل لأجل ذلك إلى أماكن عديدة، طلب الحديث وأكثر منه في بداية القرن الثاني من الهجرة، تضلع بعلم الكلام حتى بلغ مبلغاً فيه يشار إليه بالبنان ثم صاحب بعدها شيخه حماد بن أبي سليمان ثمانين عشرة سنة، يتلمذ على يديه، توفي رحمه الله سنة مئة وخمسين هجرية. انظر أبو حنيفة حياته وعصره، محمد أبو زهرة، ص ١٢-٢٠، دار الفكر العربي، ط. الثانية، ١٩٤٧، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ٦، ص ٣٩٠ وما بعدها، والأعلام، الزركلي، ج ٨، ص ٣٦.

(٣) ومنهم الخلفاء الأربعة والعبادة وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت. انظر البناية في شرح الهداية، محمود بن أحمد العيني، ج ٥، ص ٤٠٥، دار الفكر، بيروت، ط. الأولى، ١٩٨٠.

(٤) انظر كتاب المبسوط، شمس الدين السرخسي، ج ٦، ص ١٣، ١٤، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٦، وشرح فتح القدير للعاجز الفقير، محمد بن عبد الواحد، ج ٤، ص ١٣٦، ١٣٧، والبناية في شرح الهداية، محمود ابن أحمد العيني، ج ٥، ص ٤٠٤، ٤٠٥.

(٥) انظر كتاب الأم، محمد بن إدريس الشافعي، ج ٥، ص ٢٢٤، ٢٢٥، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٠، والحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، علي بن محمد بن حبيب الماوردي، ج ١١، ص ١٦٣، تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٤، ومغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، محمد بن محمد الخطيب الشربيني، ج ٥، ص ٧٩، تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٤.

(٦) انظر الخرشني على مختصر سيدي خليل، محمد بن عبد الله بن علي الخرشني المالكي، ج ٤، =

وقد استشهد كل فريق من العلماء، بأدلة يرى أنها تسند موقفه ومذهبه سواء أكانت لغوية أم شرعية - من قرآن وسنة - أم عقلية.

فالقرء يطلق في اللغة على الحيض أو الطهر، ويعود سبب ذلك إلى لهجات العرب التي تختلف في معنى كلمة «القرء».

■ المثال الثاني:

قال عز من قائل: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْحُومًا أَوْ عَلَيَّ سَفِيرًا أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْ آلِ فَيْسَلٍ أَوْ لَمَسْتُمُ الْإِنْسَانَ فَلَمْ يَحْذُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾^(١).

اللمس في اللغة مصدر للفعل لمس يلمس - بكسر العين أو ضمها - لمساً، ولا مسه، ومنها الملامسة، الجس أو اللمس باليد، وقد تطلق ويراد منها الكناية عن الجماع، فإذا أرادوا وصف المرأة بالفجور، يقولون: «هي لا ترد يد لامس» فإما أنه يقصد عدم الامتناع عمّن يريد مراودتها عن نفسها، وإما لا تردّ اليد التي تمتد بوجهها طلباً للمساعدة، فإنها تبادر مباشرة لدفع المال^(٢).

ولم أستطع معرفة أصحاب كل من اللهجتين من القبائل، لأنسبهما إليها^(٣).

وكما اختلفت اللهجات في معنى هذا الفعل بين الاحتكاك باليد أو الجماع، اختلف الفقهاء في المعنى المراد من الآية الكريمة، وثمرة الاختلاف تظهر في مسّ المرأة أهو ناقض للوضوء أم لا؟

عدّ الإمام أبو حنيفة وجماعة^(٤) أنه لا وضوء من مسّ المرأة أو القبلة سواء أكان ذلك بشهوة أم من غير شهوة، لكن ينبغي لمن يؤم الناس أن يحتاط في ذلك، مستنديّن إلى تفسير ابن عباس رضي الله عنه للمس في الآية الكريمة بالجماع، فالله عز وجل يكتفي بالحسن عن القبيح، كما كتني عن الجماع بالمسّ، وبذلك

^١ ص ١٣٧، دار الفكر، بيروت، وبلغت السالك لأقرب المسالك، أحمد الصاوي، ج ٢، ص ٤٣٩، ضبط محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٥.

(١) سورة المائدة، من الآية: ٦.

(٢) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ٦، ص ٢٠٩، مادة (لمس).

(٣) انظر اللغات في القرآن، إسماعيل بن عمرو بن حسنون، ولسان العرب، ابن منظور، ج ٦، ص ٢٠٩.

(٤) منهم علي وابن عباس رضي الله عنهم. انظر كتاب المبسوط، السرخسي، ج ١، ص ٦٧.

أيضاً تتم عملية القياس على قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾^(١)، فالمراد بالمسّ الجماع^(٢).

أما الشافعية فقالوا إن الوضوء يجب على كل من لمس بشرة امرأة ولو كانت زوجته، أو أفضى ببعض جسده إلى جسدها، سواء أكان ذلك بشهوة، أم من دون شهوة، وأصل ذلك عندهم يعتمد على الفعل، فلو أنه لمس شعر زوجته دون بشرتها فلا وضوء عليه، ولو كان بشهوة، لأن الشهوة مكانها القلب، والاعتماد إنما يكون على الفعل ومكان الملامسة.

كل ذلك مبناه على عدم وجود الحائل بينهما، أما إذا فرق بين البشريتين ثوب - ولو كان رقيقاً - فلا وضوء عليهما، سواء أكان بشهوة أم بدونها.

أما الاستدلال اللغوي للشافعية، فهو إطلاق اللمس على المس، واللمس لا يختصّ الجماع، كما أن لفظ الملامسة ورد في الآية الكريمة معطوفاً على المجيء من الغائط، ورتب على كلا الحالتين الأمر بالتيمم عند فقد الماء، فاللمس حدث كما أن المجيء من الغائط حدث^(٣).

وقد وافق الشافعية رأي بعض الصحابة والتابعين والفقهاء^(٤).

أما المالكية فقالوا إن كان اللمس بشهوة، أو بما يتلذذ الإنسان به عادة فالوضوء واجب، وإلا فلا، ووجود الحائل تعتبر به سماكته، فإن كان رقيقاً فيجب الوضوء، أما إن كان كثيفاً فلا وضوء عليهما.

ويمكن تلخيص حالات إعادة الوضوء بسبب اللمس عند المالكية بثلاث: أن يكون اللمس بالغاً، والملموس ممن يشتهي عادة - بطبع عامة الناس السليمة

(١) سورة البقرة، من الآية: ٢٣٧.

(٢) انظر كتاب المبسوط، السرخسي، ج ١، ص ٦٧، ٦٨، وشرح فتح القدير، محمد بن عبد الواحد، ج ١، ص ٤٨، ٤٩، والبنائية في شرح الهداية، محمود بن أحمد العيني، ج ١، ص ٢٤٤.

(٣) مغني المحتاج، محمد بن محمد الخطيب الشربيني، ج ١، ص ١٤٤.

(٤) أما الصحابة فمنهم عمر وابنه وابن مسعود، ومن التابعين الشعبي والزهري وغيرهم... ومن الفقهاء النخعي والأوزاعي وأحمد. انظر الحاوي الكبير، علي بن محمد الماوردي، ج ١، ص

الشعور - وقصد اللامس للذة أو إيجادها^(١).

■ المثال الثالث :

اختلفت لهجات القبائل العربية في تحديد معنى الصعيد، لكن أبرز معنيين كانا ظاهرين متداولين هما: تفسير الصعيد بوجه الأرض، أو تفسيره بالتراب، وقيل غير ذلك؛ من أنه ما ارتفع من الأرض، أو الأرض المرتفعة مقارنة مع أرض أخرى منخفضة. وأطلق الصعيد على الطريق والموضع العريض الواسع أو الضيق. أما جمع الصعيد فهو: صعدان - بضم الفاء وسكون العين - ولم يرد اسم القبائل العربية التي نسبت إليها المعاني المتنوعة لكلمة «الصعيد»^(٢).

ورد لفظ الصعيد في القرآن الكريم في معرض الحديث عن التيمم عندما قال تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾^(٣).

وبناء على الاختلاف اللغوي بين اللهجات، اختلف الفقهاء فيما يصح به التيمم. فمذهب الحنفية^(٤) أنه يجوز التيمم بكل ما هو من جنس الأرض، سواء أكان تراباً أم طيناً أم جصاً أم حجراً أم غيره.. أما ما لم يكن من جنس الأرض، فالتيمم به غير جائز، كالذهب والفضة مثلاً، فهما جوهران يستخرجان من الأرض، لكنها من غير جنسها، ومن ذلك يتبين الفرق الدقيق بين ما هو من جنس الأرض وبين غيره، فكل ما يصير رماداً، أو ينطبع ويلين، أو يتغير أساس جوهره من الاحتراق بالنار، فلا يعد من جنس الأرض^(٥)، وإن كان مستخرجاً منها،

(١) انظر المقدمات الممهديات، محمد بن أحمد ابن رشد القرطبي، ج ١، ص ٦٧، ٦٨، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط. الأولى، ١٩٨٨، والخرخشي على مختصر سيدي خليل، محمد بن عبد الله الخرخشي، ج ١، ص ١٥٥، وبلغه السالك لأقرب المسالك، أحمد الصاوي، ج ١، ص ٩٩.

(٢) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ٣، ص ٢٥٤، ٢٥٥، مادة (صعد).

(٣) سورة المائدة، من الآية: ٦.

(٤) هذا عند الإمام وتلميذه محمد بن الحسن الشيباني، وقول لأبي يوسف بداية، غير أنه رجح وقال لا يجوز التيمم إلا بالتراب والرمل. انظر المبسوط، السرخسي، ج ١، ص ١٠٨.

(٥) انظر تحفة الفقهاء، محمد بن أحمد السمرقندي، ج ١، القسم الأول، ص ٧١-٧٥، تحقيق محمد منتصر الكتاني ووهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، وشرح فتح القدير، محمد بن عبد الواحد، ج ١، ص ١١٢، وكتاب المبسوط، السرخسي، ج ١، ص ١٠٨، ١٠٩.

وذلك لزواله عن أصله وتحوله عن جوهره.

وبذلك يكون مذهب الحنفية اختار اللهجة التي تفسر الصعيد بوجه الأرض، فكل ما يخرج من جنسها صالح للتيمم.

أما مذهب الشافعية فلا يجوز التيمم إلا بالتراب الخالص الطاهر الذي له غبار، مهما كان لونه، ولا يجيز التيمم بما عدا ذلك من أجزاء الأرض المتولدة عنها، كالجصّ والأحجار المدقوقة والقوارير المسحوقة وسائر المعادن، وعدّوا أن ما سوى التراب مع التراب بمنزلة سائر المائعات مع الماء عند إرادة الوضوء، فكما أن الماء مختص للوضوء، دون سائر المائعات، فكذلك التراب في التيمم، وفي حصر التيمم بالتراب فقط، إظهار لكرامة الآدمي، فإنه مخلوق من التراب والماء، فخَصّا بكونهما مطهرين للإنسان^(١).

أما المالكية فالصحيح عندهم جواز التيمم بكل ما خرج من جنس الأرض كالتراب والجصّ والحجر وغيره لكن بشرط التأكد من طهارته، واشتروا للمعادن ثلاثة شروط وهي ألا تكون نقدية ولا جوهرراً ولا منقولة، فتبر الذهب والياقوت والعقاقير لا يصح التيمم بها، لأنها اتصفت بصفات باينت أجزاء الأرض^(٢).

■ المثال الرابع:

بيّنت الأمثلة الثلاثة الأولى أثر الاختلاف في دلالة كلمة واحدة بين اللهجات العربية في تفسير آيات الأحكام، لكن أحببت أن أوضح في المثال الرابع أثر اختلاف اللهجات من جهة تأثير الأصوات المتجاورة بعضها ببعض عند قبائل عربية، وذلك عن طريق إدغام الأحرف المتحدة في المخرج، ومن ذلك كلمة: «يطهرن» - بتشديد الطاء والهاء مع فتحهما - أصلها يتطهرن، وقد كتبت على أصلها في مصحف أبي بن كعب^(٣) وعبد الله بن مسعود، في معرض نهيهِ عز وجل عن

(١) كتاب المجموع، محيي الدين بن شرف النووي، ج٢، ص ٢٤٦، تحقيق محمد نجيب المطيعي،

مكتبة الإرشاد، جدة، والحاوي الكبير، ج١، ص ٢٣٧-٢٤١.

(٢) انظر الخرخشي، محمد بن عبد الله الخرخشي، ج١، ص ١٩١-١٩٣، والمقدمات الممهديات، ابن

رشد القرطبي، ج١، ص ١١٢، ١١٣.

(٣) هو أبي بن كعب ابن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، لم تُعرف سنة مولده على وجه التحديد، كان قبل الإسلام حبراً من أحبار اليهود، لكن لما أسلم صار سيداً =

مجامعة النساء في فترة الحيض، قال عزّ من قائل: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ﴾^(١) فيطهرن - بالتشديد - أصلها يتطهرن، ويؤكد ذلك إتمام الآية حيث قال عز وجل: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾^(٢) ويطهرن - بالتخفيف - مضارع للفعل طهر^(٣).

تكلم سيبويه في كتابه على هذه اللهجة وأصحابها، لكن قبل الخوض في ذلك، سأطرق لمعنى هذه الكلمة، فالطُهر - بضم الفاء وسكون العين - مصدر للفعل طهر - بفتح العين أو ضمها - يَطْهُرُ - بسكون الفاء وضم العين - هو نقيض الحيض والنجاسة ويجمع على أطهار^(٤).

وأشار سيبويه إلى هذه الظاهرة اللهجية فقال: «ومما يدغم إذا كان الحرفان من مخرج واحد... قولهم (يَطْوَعُونَ) في (يتطوعون)... والإدغام في هذا أقوى... والبيان فيهما عربي حسن، لأنهما متحركان»^(٥). وقد عزيت هذه اللهجة إلى تميم^(٦).

وبسبب الاختلاف في تشديد «يطهرن» أو عدمه، تنوعت مذاهب الفقهاء في الوقت المسموح به لجماع المرأة بعد فترة الحيض، هل هو بعد انقطاع الدم، ودخول فترة الطهر دون اغتسال، أم لا بد من الاغتسال؟

قال الشافعية أمر الله عز وجل بعدم إتيان الرجل زوجته إلا بعد أن تطهر، لكن ذلك متعلق بالتطهر بالماء، فكما أن الصلاة لا تحل لها بعد الخروج من فترة

⁼ للقراء، رأساً في العلم والعمل، كان أحد الأنصار الأربعة الذين جمعوا القرآن الكريم في حياته عليه الصلاة والسلام، أخبره ﷺ أن الله عز وجل قد سماه ليقرأ القرآن الكريم عليه، فذرفت عندئذ عينا أبي. توفي سنة واحد وعشرين هجرية. انظر سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ١، ص ٣٨٩ وما بعدها، والأعلام، الزركلي، ج ١، ص ٨٢.

- (١) سورة البقرة، من الآية: ٢٢٢.
- (٢) سورة البقرة، من الآية: ٢٢٢.
- (٣) انظر تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٢، ص ٤٢٤.
- (٤) لسان العرب، ابن منظور، ج ٤، ص ٥٠٤، مادة (طهر).
- (٥) انظر الكتاب، ج ٤، ص ٤٧٤، ٤٧٥.
- (٦) انظر المخصص، ابن سيده، ج ٤، سفر، ١٣، ص ٢٧٠، وشرح المفصل، موفق الدين يعيش ابن يعيش، ج ١٠، ص ٤٨، والكتاب، سيبويه، ج ٤، ص ٢٤٠.

الحيض إلا بعد الاغتسال، وكذلك لا يحل لامرئ أن يجامع زوجته في حالة طهرها إذا كانت حائضاً، إلا بعد الاغتسال^(١).

وبذلك يكون مذهب الإمام الشافعي اختار لهجة إدغام التاء مع الطاء في «يطهرن» - بالتشديد - عندما أفتى فقهاؤه بوجوب المبالغة في الطهارة - من خلال الاغتسال - قبل المسيس، فتشديد الكلمة تشدد في الحكم على الطهارة. وكذلك المالكية جعلوا الغسل شرطاً لإباحة المسيس، بعد انتهاء فترة الحيض^(٢).

وبذلك يكون مذهب الإمامين مالك والشافعي متوافقين في هذه المسألة.

أما الحنفية فقد أحلوا للرجل أن يمس زوجته إذا تمت عشرة أيام من الحيض - وهو أكثره عندهم - وانقطع الدم، ولو لم تغتسل، لأنها خرجت من الحيض بمجرد إتمام أكثره، ودخلت زمن الطهر، أما في حالة انقطاع الدم قبل عشرة أيام، فيلزمها الاغتسال عندئذ، لأنها لم تخرج من وقت الحيض^(٣).

فالحنفية اعتمدوا قراءة التخفيف^(٤) في بناء حكمهم على هذه المسألة.

وهكذا يتبين أن اللهجات المختلفة للقبائل العربية كان لها دور في تفسير آيات الأحكام، فاللهجة استطاعت أن تبني حكماً مستقلاً، وكانت ركيزة يعتمد عليها الفقيه للاستدلال بها على مذهبه.

(١) انظر المذهب في فقه الإمام الشافعي، إبراهيم بن علي الشيرازي، ج ١، ص ١٤٣، دار القلم، دمشق، ط. الأولى، ١٩٩٢، والأم، محمد بن إدريس الشافعي، ج ١، ص ٧٦، والحاوي الكبير، علي بن محمد الماوردي، ج ١، ص ٣٨١.

(٢) انظر الخرشي على مختصر سيدي خليل، محمد الخرشي، ج ١، ص ٢٠٨، وبلغه السالك لأقرب المسالك، أحمد الصاوي، ج ١، ص ١٤٨، ١٤٩.

(٣) انظر حاشية ابن عابدين، محمد أمين بن عمر الشهير بابن عابدين، ج ٢، ص ٢٧١، تحقيق حسام الدين الفرفور، دار الثقافة والتراث، دمشق، ط. الأولى، ٢٠٠٠، وكتاب المبسوط، السرخسي، ج ٣، ص ١٥٣، وشرح فتح القدير، محمد بن عبد الواحد، ج ١، ص ١٥٢.

(٤) قراءة السبعة ما عدا، حمزة والكسائي وعاصم في رواية. انظر البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج ٢، ص ٤٢٤.

اللهجات العربية وعلم اللسانيات

أبدأ كتابة هذا المبحث بطرح أسئلة لتكون أجوبتها تعبيداً للطريق التي تمر بها المواضيع الموضحة للربط بين اللهجات العربية واللسانيات.

فما هذه اللسانيات يا ترى؟ وكيف يمكن تمثيلها؟ وما علاقتها باللغة العربية؟

اللسانيات: تنسب إلى اللسان - بكسر الفاء - آلة القول، يذُكر ويؤنث، ويُجمع على ألسنة ولسن - بضم العين وسكونها - فيما ذُكر، وعلى ألسن فيما أُنت^(١)، وهو عضو عضلي متحرك، متموضع في قاع الفم، أداة للنطق والتحدث عند الإنسان^(٢). كما ويطلق على اللغة، فقد قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾^(٣)، أي بلغة قومه^(٤).

فعلم اللسانيات يُنسب إلى اللسان كونه علماً يدور في فلكين هما: دراسة تشغيل اللسان البشري^(٥) ودراسة الوصف للغة ما^(٦).

(١) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ١٣، ص ٣٨٥، وتاج العروس، الزبيدي، ج ٣٦، ص ١١٢، مادة (لسن).

(٢) انظر موسوعة المورد العربية، منير البعلبكي، ج ٤، ص ١٠٣٣، دار العلم للملايين، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٠، والموسوعة العربية العالمية، ج ٢١، ص ١٠٧، ١٠٨، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٦.

(٣) سورة إبراهيم، من الآية: ٤.

(٤) انظر لسان العرب، ابن منظور، ج ١٣، ص ٣٨٥، وتاج العروس، الزبيدي، ج ٣٦، ص ١١٢، مادة (لسن).

(٥) انظر محاضرات في الألسنية العامة، فردينان ديه سوشير، ص ١٧، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر، دار نعمان للثقافة، لبنان، ١٩٨٤.

(٦) انظر مدخل إلى الألسنية، يوسف غازي، ص ١٨، ١٩، ٣٥، منشورات العالم العربي الجامعية، =

أما اللسانيات فناً قائماً بذاته فهو: «العلم الذي يقودنا إلى الكشف عن آليات اللغة، والتعرف على ماهيتها»^(١).

فالسانيون يحاولون فهم الطريقة التي وضع بها البشر لغتهم والقوانين التي تخضع لها ولادة اللغة وحياتها وموتها.

وكأن علم اللسانيات يهدف إلى ربط أكبر عدد ممكن من الظواهر اللغوية الملاحظة، وضبطها ضمن قوانين خاصة، محكومة جميعها بمبدأ التفسير العام^(٢)، فكما أن اللسان هو أداة للنطق باللغة، فكذلك علم اللسانيات، هو المجهر الذي يستقطب عالم اللغات ومجاهله تحت عدساته.

إن اللسان هو موضوع اللسانيات ومادتها، واللسان المقصود والمتداول من اللسانيين، لا يختص شعباً دون آخر، ولا حضارة دون غيرها، ولا حقبة بذاتها، بل هو اللسان بوصفه نظاماً اجتماعياً، يشمل القواعد اللغوية والإشارات اللهجية، فمما لا مجال للشك فيه «أن اللسانيات إنما تستمد طرافتها، وربما شرعيتها من عكوفها على دراسة اللهجات»^(٣) دون تصنيف للغات، وبذلك أثبتت اللسانيات «أن الكلام البشري أياً كان وحيثما كان، هو مدار علم اللسان، لأنه منظومة اختبارية في حد ذاتها، تستوجب التشريح العلمي، وتقتضي المواصفة الموضوعية»^(٤).

ومن ثم فإن علماء اللسانيات هم الذين يخوضون في أعماق اللغة، مستقرتين لهجاتها، اعتماداً على المظاهر الثابتة والمشاركة بين جميع متكلمي تلك اللغة، فلهجاتهم المتعددة ممثلة للغة كونها حقيقة تجمع أفراد المجتمع الذي يتكلم بها^(٥).

دمشق، ط. الأولى، ١٩٨٥.

(١) المرجع السابق، ص ١٣.

(٢) انظر الألسنية علم اللغة الحديث، المبادئ والأعلام، ميشال زكريا، ص ١٤٤، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط. الثانية، ١٩٨٣.

(٣) اللسانيات وأسسها المعرفية، عبد السلام المسدي، ص ١٦، الدار التونسية للنشر والتوزيع والمؤسسة الوطنية للكتاب، تونس والجزائر، ١٩٨٦.

(٤) المرجع السابق، ص ١٦.

(٥) انظر الألسنية علم اللغة الحديث المبادئ والأعلام، ميشال زكريا، ص ٢٢٨.

لابد وأن الإنسان قد سأل نفسه منذ عصور قديمة: ما الفروق بين لغة الإنسان وبين الإشارات التي ترسلها الحيوانات حين تصرخ بأصواتها؟ وما الاختلاف بين لغة حديثنا وبين وسائل التواصل الأخرى في المجتمع الإنساني؟

حين بدأ الإنسان يلقي على نفسه هذه التساؤلات، بدأت إرهاصات نشوء علم اللسانيات، أي بدأ يتشكل العلم الذي يبحث في قوانين اللغة وعناصرها وبنيتها، وراح هذا العلم ينمو ويتكامل مع تراكم الوقائع والمعلومات والدراسات، وتطورت مناهج البحث العلمي وأساليبه ووسائله ومناهجه.

رست أسس علم اللسانيات الحديث، وتنظمت قواعده في مطلع القرن العشرين، عندما ألقى عالم اللسانيات محاضرات في اللسانيات العامة^(١)، حدّد من خلالها المسائل التي يعالجها هذا العلم.

من المعروف أن الدرس اللغوي العربي قام أساساً على نص منزل وهو النص القرآني، ذلك أن «قضايا اللغة قد كانت ملابسة لقضايا المعتقد في كل الحضارات التي عرفت بكتاب سماوي»^(٢) وقد تكلمت سابقاً عن دور القرآن الكريم في ولادة العديد من العلوم^(٣).

لذلك لا يمكن القول بأن علم اللسانيات دخیل على اللغة العربية، لأن هناك تناسباً بين علم اللسانيات وعلوم اللغة العربية التي وضعها العلماء في أواخر القرن الأول الهجري وبلغ رشده في زمن أبي عمرو بن العلاء (٧٠-١٥٤هـ) واكتملت مادته ووسائله على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي^(٤) (١٠٠-١٧٠هـ) وتلميذه سيبويه (١٤٨-١٨٠هـ). وما لا شك فيه أن الدراسات اللسانية الحديثة لن يكون

(١) فردينان ده سوسر، وجمعت محاضراته في كتاب بعنوان (محاضرات في الألسنية العامة).

(٢) التفكير اللساني في الحضارة العربية، عبد السلام المسدي، ص ٢٣، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٨١.

(٣) انظر في الفصل الثالث، ص ١٩١ - ١٩٣.

(٤) هو الخليل بن أحمد بن عمر بن تميم الفراهيدي، نسبة إلى فراheid. بطن من الأزد. إمام العربية وصاحبها، ولد سنة مئة هجرية في البصرة، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء، وتلقف منه سيبويه والأصمعي والنضر بن شميل، دعا بمكة المكرمة أن يرزقه الله تعالى علماً لم يسبق به، فرجع وفتح عليه فأنشأ علم العروض. توفي سنة مئة وسبعين هجرية في مسقط رأسه.

لها شأن - فيما يتعلق بالعربية - إذا لم يرجع أصحابها إلى أعلام العربية^(١) وتراثهم العلمي الضخم ويفهموا مقاصدهم وتعليقاتهم لظواهر اللغة، فإذا تم ذلك فإن علماء اللسانيات سيحظون بذخر علمي ومنهج واضح يساعدهم في أبحاثهم، وإلا فليس لأي علم من العلوم أن يتفاعل مع العلم الذي يقف عند تخومه إذا لم يحط بدقائق مباحثه.

إن من الواجب على الباحث قبل تفصيل الموضوع المطروح للبحث، توضيح ما قد يشتت الأذهان، ويترك أبوابها بالأسئلة، ولذلك لا بد من التنبيه على أن العنوان المختار لهذا المبحث هو «اللهجات العربية وعلم اللسانيات» وعليه فالخطوة الأولى إلى ولوج جوهر هذا الموضوع ستكون بشرح المدخلين اللذين درس بهما علماء اللسانيات حقيقة اللغات المنطوقة، وبما أن اللغة العربية هي إحدى تلك اللغات، فإنها بالطبع ستخضع لتلك النوااميس، ومن المعلوم أن العربية ذاتها تضم العديد من اللهجات التي ستشملها بالتالي طريقة الدراسة للغات.

أما الخطوة الثانية فستكون من خلال الحديث عن بدايات الدراسات اللسانية عند العرب، من خلال تناول أمثلة لبعض موضوعات علم اللسانيات، درسها علماء اللغة العربية.

■ طريقة علم اللسانيات في الإحاطة باللغة:

إن طريقة علم اللسانيات في الإحاطة باللغة هي من حيث واقعها القائم إما على المشاهدة وإما على ما كان مكتوباً منها.

١- دراسة اللغة الشفهية المحكية: من المعلوم أن الإنسان يتعلم تكلم اللغة قبل أن يتعلم كتابتها، مما يفيد بأن اللغة الشفهية سابقة للغة الكتابة زمنياً، كما أنها تسبق اللغة المكتوبة في التطور أيضاً، مما يفتح آفاقاً واسعة لفهم اللغة بشكلها العام^(٢).

⁼ انظر سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ٧، ص ٤٢٩ وما بعدها، ومعجم الأدباء، ياقوت الحموي،

ج ٤، ص ٢١٧-٢١٩، والأعلام، الزركلي، ج ٢، ص ٣١٤.

(١) كالخليل بن أحمد وسيبويه وابن السراج وأبي علي الفارسي وابن جني والرضي الاسترأبادي وغيرهم.

(٢) انظر الألسنية علم اللغة الحديث، ميشال زكريا، ص ١٥١، ١٥٤.

تعتمد دراسة هذا النوع من اللغة على متكلميها، فهم مصدرها، وذلك انطلاقاً من «أن الإنسان الذي يتكلم لغة معينة، يستطيع أن يفهم جمل لغته هذه، كما أنه يستطيع أن يحكم على الجمل الجديدة من حيث الخطأ أو الصواب في التركيب»^(١).

وبناء على ذلك فإن متكلم اللغة يعتمد على حدس لغوي يرشده في تأليف الجمل الصحيحة، ويبعده عن اختيار الجمل المنحرفة عن قواعد اللغة، وما ذلك إلا لأن الحدس اللغوي يعدّ جزءاً من المعرفة التي يمتلكها الإنسان لمعرفة قواعد لغته^(٢).

لقد كان لملاحظة الكلام الشفهي ومتابعته أهمية عند العرب، والسماع كان هدفاً لهم أيضاً، فقد رحلوا إلى البادية طلباً للغة الفصحى، كما ظهرت أهميته في رواية القرآن الكريم وترتيله، وفي رواية الشعر، وفي المجالس المختلفة التي اعتمدت الأسلوب الشفهي، وحتى كتاب سيبويه لا يخرج عن العناية بالسماع في مواضع كثيرة، إذ من يتصفح «الكتاب» يستوقفه ذكر الكاتب لسماعه عن العرب، أو عن فصحاء العرب، أو عمّن يوثق بعربيته^(٣).

وهذا الجاحظ يركّز على ذلك أيضاً مادحاً لغة الأعراب وسماعها: «وأنا أقول إنه ليس في الأرض كلام هو أمتع ولا آنف، ولا ألد في الأسماع... ولا أجود تقويماً للبيان، من طول استماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء والعلماء البلغاء»^(٤). وكلام ابن جنّي يدل أيضاً على أهمية سماع ما كان مشافهة من الكلام فقال: «إذا أذاك القياس إلى شيء ما، ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر... فدع ما كنت عليه إلى ما هم عليه»^(٥).

٢- دراسة اللغة المكتوبة: تخضع اللغة المكتوبة لقواعد وقوانين تنظم اللغة التي تمثلها، مما يساعد باحث اللسانيات على الاطلاع ودراسة اللغة التي يرغب

(١) المرجع السابق، ص ١٥٦.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ١٥٧.

(٣) لمزيد من التفاصيل حول ذلك، انظر كتاب نظام الجملة عند اللغويين العرب في القرنين الثاني والثالث للهجرة، مصطفى جطل، ج ٢، ص ٤٦٣-٤٦٩، منشورات جامعة حلب، ١٩٨٠.

(٤) البيان والتبيين، ج ١، ص ١٤٥.

(٥) الخصائص، ج ١، ص ١٢٥.

في التوجه إليها، ويتم ذلك من خلال أخذ مجموعة من الجمل التي تمثل عينات متماسكة وتتمتع بصفة تمثيلية كافية للغة، ويفهمها ثمة كل متكلم للغة المدروسة، بعدئذ تستقرأ القواعد من خلال تلك العينات^(١).

إن ملاحظة ظاهرة ووصفها في لغة من اللغات، إنما يكون أدق وأشمل في مراقبة مرحلة التطور والنضوج والاستقرار في تلك اللغة، وبناء على ذلك سأعمد إلى تتبع ظاهرة بواد علم اللسانيات، ومن ثم أعقد موازنة موجزة بين ثلاثة من أهل هذا الشأن يمثل كل واحد منهم عصرًا مختلفًا عن الآخر، فالأول هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، وقد عاش في القرن الثاني، والعالم الثاني هو ابن جني ممثل القرن الرابع وما بعده خير تمثيل، أما الثالث فهو الدكتور إبراهيم أنيس؛ صاحب مؤلفات عدة، تدور حول علم اللسانيات، وكتبه معروفة منتشرة، أهلتة لحمل لواء هذا العلم في الوقت المعاصر^(٢).

إن معرفة اللغويين القدماء ببعض القضايا اللسانية كانت بطريقة غير مباشرة، كما تدل المؤلفات التي كتبت خلال فترة زمنية معاصرة أو قريبة من مرحلة الخليل وسيبويه، سواء تلك المؤلفات التي وضعت في مجال التأليف المختلط بين الموضوعات الدينية واللغوية والأدبية، أم المؤلفات اللغوية التي وضعت في مرحلة زمنية تالية.

ولتوضيح ذلك سأكتفي بتناول منهج الخليل في عرض بعض القضايا اللسانية سواء في مؤلفاته أم في مؤلفات تلميذه سيبويه.

١- الدراسات اللسانية عند الخليل :

يعد الخليل بن أحمد الفراهيدي رائد علم الصوت في تاريخ الدراسة اللغوية عند العرب، فقد كان أول من صنف كتاباً يقوم على أساس صوتي، حيث صنف الكلمات فيه على أساس مخارج الأصوات^(٣).

(١) انظر الألسنية علم اللغة الحديث، ميشال زكريا، ص ١٥٥، ١٥٦.

(٢) ومن كتبه: الأصوات اللغوية، دار النهضة العربية، القاهرة، ط. الثالثة ١٩٦١، ومن أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط. الرابعة ١٩٧٢، ودلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط. الثالثة، ١٩٧٢، وفي اللهجات العربية.

(٣) يُذكر أن هناك خلافاً حول نسبة كتاب العين للخليل، فمن الباحثين من أيد نسبته ومنهم من رفض =

إن مشافهة الخليل للأعراب، وأجواء النغم والموسيقا، إضافة إلى الملاحظة الصوتية التي تمتع بها، كل تلك الأسباب أنبتت في ذهنه فكرة ترتيب المفردات في معجمه «العين» على أساس مخارج الحروف وأصواتها، وهيأت الجو المناسب لإعمال ذهنه بهذا الشأن.

تدبر الخليل «ونظر إلى الحروف كلها وذاقها، فوجد مخرج الكلام كله من الحلق، فصير أولها بالابتداء، أدخل حرف في الحلق»^(١). وكانت طريقته في ذوق الحروف بأن «يفتح فاه بالألف، ثم يظهر الحرف نحو اب، ات، اج...»^(٢) فجاء ترتيبه نتيجة لتجربة علمية بحتة، وملاحظة دقيقة لأصوات اللغة، كما دلّت الأخبار.

إن هذا العمل الذي قام به الخليل هو «عمل جديد في العربية لم يسبق إليه»^(٣)... وعليه فالخليل واضع علم الأصوات^(٤).

هذا من ناحية الأصوات في اللغة، أما من جهة اشتقاق اللغة، فقد لوحظ أنه كان فرعاً من دراسة الخليل للأصوات، وقد استفاد الخليل في دراسته من الاشتقاق اللغوي، غير أنه لم يتعرض له باسمه، ولم يُعَنَّ بالبحث عن المعاني الأصلية المشتركة بين المقلوبات أو المشتقات من المفردات^(٥)، ولا يعني ذلك

ذلك، والأغلب أن كتاب العين للخليل في تأسيسه وحشوه، وأن ما لاحظته الدارسون من خطأ فيه نتيجة لقدمه وجهل الوراقين.

لمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع ينظر الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، محمد حسين آل ياسين، ص ٢٣٥ وما بعدها، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط. الأولى، ١٩٨٠، ودائرة المعارف الإسلامية، أحمد الشنتناوي وإبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس، ج ٨، ص ٤٣٦، مراجعة مهدي علام، دار المعرفة، بيروت.

(١) كتاب العين، ج ١، ص ٤٧، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهجرة، قم، ط. الأولى ١٤٠٥هـ.

(٢) المصدر السابق، ج ١، ص ٤٧.

(٣) يذكر أن القارئ عبد الله بن أبي إسحاق قد ألف كتاباً في الهمز، والقارئ أبو جعفر الرؤاسي كان له كتاب في الوقف والابتداء، وذلك قبل تأليف الخليل، غير أن عمل كلا القارئین مختلف عن عمل الخليل وفي منحى آخر. انظر المزهري، السيوطي، ج ٢، ص ٣٩٨، ٤٠٠.

(٤) الدراسات اللغوية عند العرب، محمد حسين آل ياسين، ص ٤٨٩، ٤٩٠.

(٥) انظر العين، ج ١، ص ٧٧، ٧٨، ٨٨، ٨٩، ١٥١، ١٥٢.

عجز الخليل عن هذه المهمة، بل كان بعيداً عن متابعة ذلك، لأنه كان يصبو إلى حصر اللغة.

وعن وجود النحت والتركيب في اللغة، فقد أثبت الخليل ذلك في العربية، حيث لاحظ تكوين بعض الكلمات في أصلها، من كلمتين أو أكثر، ومن ذلك ما أخبر به سيبويه عن رأي الخليل في الكلمات التالية:

- اللهم: مركبة من لفظة الجلالة «الله» والميم التي تقوم مقام «يا» النداء^(١).

- لن: مركبة من «لا» و«أن»^(٢).

- كأن: مركبة من «كاف التشبيه» و«أن»^(٣).

وبقى موضوع نشأة اللغة، فالخليل يرى أنها نشأت من محاكاة الأصوات الطبيعية^(٤)، ثم تطورت هذه المحاكاة بتقدم وتطور عقل الإنسان وحضارته وحاجته، ولم يصرح الخليل بذلك، لكن معالجته لبعض القضايا الماثلة أمامه^(٥)، تجعل الباحث يدرك تبني الخليل لهذا الرأي، كونه أول من أشار إلى ذلك، وليس الأمر بغريب عن الخليل، فهو أهل للحسّ الموسيقي المرهف.

مما تقدم يتبين أن علم اللسانيات، لا يتوقف عند علم الأصوات وحسب، بل يتعداه، ليشمل كل ما يتعلق باللغة، كما مرّ آنفاً في التعريف الاصطلاحي لعلم اللسانيات.

٢- الدراسات اللسانية عند ابن جني:

يحتوي كتاب الخصائص - لأبي الفتح عثمان بن جني - على إشارات متعددة للدراسات اللسانية، وسأحاول عرض بعض من هذه الإشارات، ليتبين استشراف ابن جني لآفاق اللسانيات.

(١) انظر الكتاب، ج ٢، ص ١٩٦.

(٢) انظر المصدر السابق، ج ٣، ص ٥.

(٣) انظر المصدر السابق، ج ٣، ص ١٥١.

(٤) فقد يكون تطابق صوت المفردات مع الطبيعة أو مع أصوات الحيوانات أو أصوات الضرب والقطع والكسر أو محاكاة للتعبير اللاإرادي الصادر نتيجة للانفعالات التي يتعرض لها الإنسان، إلى ما هنالك من أصوات.

(٥) انظر على سبيل المثال: كتاب العين، ج ١، ص ٦٢، ٦٣، والكتاب، سيبويه، ج ٣، ص ٥٠٩، ج ٤، ص ١٤، ١٥، والخصائص، ابن جني، ج ٢، ص ١٥٢.

فمن ناحية علم الأصوات كان عمل ابن جني له أهمية كبيرة، كونه السباق إلى بعض النقاط التي تدل بوضوح على اكتمال نضج دراسة الأصوات عنده، ومن ذلك:

١- يعدّ ابن جني أول من أفرد للأصوات كتاباً مستقلاً، ويدل على ذلك قوله: «وما علمت أن أحداً من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض ولا أشبعه هذا الإشباع»^(١).

٢- هو أول من فرّق بين الصوت والحرف - حسب ما ظهر لي - فالصوت «عام غير مختص»^(٢) في حين أن الحروف «أيّما وقعت في الكلام، يراد بها حدّ الشيء وحدّته... وذلك أن الحرف حد منقطع الصوت وغايته وطرفه»^(٣).

٣- كما تكتسب دراسة ابن جني أهمية من خلال بيانها لبعض القضايا، مثل اعتماد همزة الوصل المكسورة لمعرفة مخرج الصوت^(٤). ومن الجدير ذكره أن الخليل كان يعتمد همزة الوصل المفتوحة^(٥).

مما يستدعي اختلاف ترتيب الحروف بين كل من الخليل وابن جني^(٦).

كل ذلك يدفع إلى القول بأن دراسة ابن جني تعتبر الأنموذج الأكثر نضجاً الذي انتهى إليه النحويون القدماء، وقد ساعده تأخره الزمني عنهم، فجاء بخلاصة

(١) سر صناعة الإعراب، ج ١، ص ٥٦.

(٢) المصدر السابق، ج ١، ص ١٠.

(٣) المصدر السابق، ج ١، ص ١٣، ١٤.

(٤) المصدر السابق، ج ١، ص ٤٥، ٤٦.

(٥) انظر العين، ج ١، ص ٤٧.

(٦) لقد رتب الخليل الأحرف كما يلي: ع-ح-ه-خ-ق-ك-ج-ش-ض-ص-س-ز-ط-د-ت-ظ-ث-ذ-

ر-ل-ن-ف-ب-م-و-ا-ي-ء.

أما ابن جني فكان ترتيبه للحروف حسب الآتي: ء-ا-ه-ع-ح-غ-خ-ق-ك-ج-ش-ي-ض-ل-ر-ن-

ط-د-ت-ص-ز-س-ظ-ذ-ث-ف-ب-م-و.

ولست بصدد مناقشة آراء كل منهما، فلكل منهج مختلف عن الآخر في تحديد مخارج الحروف،

مما يستدعي بالتالي اختلاف بين ترتيب كل منهما. يُذكر أن سيبويه كان أقرب في ترتيب الحروف

إلى ابن جني من أستاذه الخليل، حيث لم يختلف مع ابن جني إلا في تقديم الكاف على القاف،

والضاد على كل من الجيم والشين والياء، وقد أثنى ابن جني على سيبويه، مانحاً ترتيبه صفة

الصواب. انظر كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج ١، ص ٤٨، والكتاب، سيبويه،

ج ٤، ص ٤٣١-٤٣٤، وسر صناعة الإعراب، ابن جني، ج ١، ص ٤٥-٤٨.

دراسة القدماء، إضافة إلى شرح وتفصيل مجمل قضايا الدرس الصوتي عند القدماء.

فصحيح أن الخليل هو الذي فتح الباب أمام علم الأصوات ليرى النور، لكن ابن جنى هو الذي أجلى الغبار عن العديد من المسائل من خلال موافقته للخليل على بعض منها، موضحاً أسباب توافقه معه، ومخالفته للخليل في بعض آخر مما ذهب إليه - كاختلافهم في ترتيب مخارج الحروف -.

ومما اتفق عليه الخليل وابن جنى، وجود علاقة بين الألفاظ ومعانيها^(١)، وإن الحروف هي أصوات خالصة، مشبهاً - أي ابن جنى - صوتها بصوت «الناي»^(٢).

وفيما يتعلق بأصل اللغة، يقول ابن جنى: «واعلم فيما بعد، أنني على تقادم الوقت، دائم التنقير والبحث عن هذا الموضوع... وذلك أنني إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة... فقوي في نفسي اعتقاد كونها توفيقاً من الله سبحانه، وأنها وحي. ثم أقول في ضد هذا... كذلك لا ننكر أن يكون الله تعالى قد خلق من قبلنا... من كان أطف منا أذهاناً وأسرع خواطر وأجرأ جناناً»^(٣).

يُفهم مما سبق أن ابن جنى قال بداية بأن اللغة توقيفية ثم ما لبث أن قال بأنها اصطلاحية، وفي موضع آخر من كتابه «الخصائص» يشير ابن جنى إلى أن اللغة إنما هي من قبيل محاكاة الألفاظ للأصوات الطبيعية، متفقاً بذلك مع الخليل وسيبويه، وعدّ جماعة من العلماء قد باركوا هذا الرأي أيضاً^(٤).

غير أن رأيه الحاسم في جميع الآراء يحدده قوله: «وإن خطر خاطر فيما بعد، يعلق الكفّ بإحدى الجهتين، ويكفها عن صاحبها، قلنا به»^(٥).

فلم يختر من المذاهب المتساوية عنده في قوة أدلتها، وفضل التوقف إلى حين رجحان كفة أدلة أحد الآراء.

(١) انظر الخصائص، ابن جنى، ج ٢، ص ١٥٢-١٦٨.

(٢) انظر سرّ صناعة الإعراب، ج ١، ص ٨، ٩.

(٣) الخصائص، ج ١، ص ٤٧.

(٤) انظر المصدر السابق، ج ١، ص ٤٦، ٤٧، وج ٢، ص ١٥٢.

(٥) المصدر السابق، ج ١، ص ٤٧.

ولكن القارئ لكلام ابن جنى عن «الخضم» و«القضم»^(١) حيث يقول: «فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس، حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث»^(٢)، فالمتأمل لهذا التعليل والربط بين صفات الحروف والمعاني، يلمس أن ابن جنى قد رجحت لديه أدلة القول بمحاكاة الألفاظ للأصوات الطبيعية.

وإلى موضوع آخر وهو الاشتقاق؛ مرّ آنفاً أن الخليل تعرض للاشتقاق في عدة مواضع، ولم يسمّه، لكن ابن جنى يعد أول من أطلق اسم الاشتقاق على مفردات هذا العلم^(٣)، بل توسع فيه، ونوع أمثله، فمهد بذلك الطريق أمام اشتقاق جديد يعتمد على إيجاد معنى مشترك عام للألفاظ التي تشترك في حرفين، وتتغير في الحرف الثالث الذي يعطي الكلمة معنى مختلفاً عن أختها ويخصص ذلك المعنى لها.

ومن ذلك قوله: «واستعملوا تركيب (ج ب ل) و(ج ب ن) و(ج ب ر) لتقاربها في موضع واحد، وهو الالتئام والتماسك. منه الجبل لشدته وقوته، وجبن إذا استمسك وتوقف وتجمع، ومنه جبرت العظم ونحوه أي قوته»^(٤)، فالمعنى العام الذي يجمع كلاً من «جبل» و«جبن» و«جبر» هو الالتئام والتماسك، وهناك معنى آخر خاص بكل مفردة من هذه الكلمات.

وعن وجود بعض الكلمات المركبة من كلمتين، أقرّ ابن جنى بوجود ذلك في بعض الأدوات، نحو: «لن» المركبة من اندماج «لا» و«أن» وكذلك «كأن» مركبة من «كاف التشبيه» و«أن»^(٥).

وبذلك يكون ابن جنى متوافقاً مع مذهب الخليل في هذا الشأن - كما مرّ - ولكنه يختلف مع الخليل في كلمة «إياك»، فالأخير يرى - كما أخبر عنه سيبويه -

(١) الخضم. بسكون العين. هو أكل الشيء الرطب، أما القضم فهو أكل الشيء اليابس. انظر لسان

العرب، ابن منظور، ج ١٢، ص ١٨٢، مادة (خضم)، وج ١٢، ص ٤٨٧، مادة (قضم).

(٢) الخصائص، ج ٢، ص ١٥٨.

(٣) انظر المصدر السابق، ج ٢، ص ١٣٣.

(٤) انظر المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٩.

(٥) انظر سر صناعة الإعراب، ج ١، ص ٣٠٤، ٣٠٥.

أن «إيا» ضمير مبهم يحتاج إلى ضمير آخر لتوضيحه، فأضافوا كاف الخطاب^(١). أما ابن جني فرأى امتناع إضافة الضمير إلى اسم الضمير - إيا - لأن هذا الأخير مستغن عن التعريف بالضمير، وفسّر الكاف على أنها حرف يدل على الخطاب^(٢).

وما هذه المناقشات والتحليلات العلمية التي أجراها العلماء في تلك العصور، والنتائج التي تمخضت عنها، بما حملت من موافقات أو اختلافات فيما بينهم، إلا دليل على تفاعل علم اللسانيات بين أهله، ومروره بمرحلة علمية حيوية، منذ نشوئه، واستمرار ذلك إلى قرون عديدة.

فقد كان العلماء القدماء على قدر كبير من الدقة والعمق في تناول الموضوعات اللسانية، وعلى جانب أكبر من استيعاب ظواهر اللغة وفهم قوانينها. وتشهد الساحة اللغوية في الوقت المعاصر بروز أبحاث لسانية لعلماء أهلتهم براعتهم العلمية لاستلام راية البحث اللساني المعاصر، وسأكتفي بعرض منهج الدكتور إبراهيم أنيس، أنموذجاً عن هؤلاء العلماء، ومحاولة مني لاستكشاف محاور التلاقح والتوحيد بين اللسانيات الحديثة واللسانيات العربية القديمة.

٣- الدراسات اللسانية عند الدكتور إبراهيم أنيس:

اخترت منهج الدكتور إبراهيم أنيس للمقارنة بين القديم والحديث من بحوث اللسانيات لما يمثله من تبخر وخبرة في هذا المجال، فقد جعل الآلات العصرية المناسبة خادمة للعلم اللساني، مما يقوم ما لم يتنبّه عليه العلماء الأقدمون. وليس هذا من باب الذم أو اتهامهم بالتقصير، بل العكس تماماً، فالدكتور إبراهيم أنيس قال: «ولا ندهش من أجل ذلك، أن يورث - أي الخليل - سيويه فيما ورث وصفاً دقيقاً لأصوات اللغة ومخارجها وصفاتها. واعتمد الخليل في وصفه للأصوات على ما يحسّه بنفسه من اختلاف في أوضاع أعضاء النطق معها، وعلى العملية العضلية التي يقوم بها المرء، لدى صدور كل صوت، وعلى وقع هذا الصوت في أذن السامع، دون أن يكون لديه شيء من الإمكانات الحديثة من آلات التسجيل والتصوير أو معرفة بنظريات التشريح»^(٣).

(١) انظر الكتاب، سيويه، ج ١، ص ٢٧٩.

(٢) انظر سر صناعة الإعراب، ج ١، ص ٣١٢-٣١٥.

(٣) الأصوات اللغوية، ص ٧٥، ٧٦.

ثم يكمل قائلاً: «فدراستنا هنا هي دراسة المحاييد المنصف المعترف بعلم هؤلاء القدماء وفضلهم»^(١).

فالأدوات المستخدمة في الوقت الحاضر تعين أكثر من الاعتماد على الحس والحواس، على الرغم من ذلك فقد كان وصف الخليل لمخارج الحروف وصفاتها - دون استخدام للألات - دقيقاً، ومصيباً في أكثره.

ومما لاحظته في دراسات الدكتور إبراهيم أنيس خلال متابعة أبحاثه، ما يلي:

أ- السير وفق منهج البحث العلمي وخطواته، من خلال الوقوف على الظاهرة اللغوية للعربية بداية، ومن ثم وصف تلك اللغة، وبعدها يشرع بطرح الفرضيات المساعدة في التفسير والتحليل، وتأتي المرحلة الأخيرة لتوضيح النظريات والقوانين، بعد تجاوزها بنجاح.

ب- المنظور الذي عالج به الدكتور إبراهيم أنيس علم اللسانيات في اللغة العربية، سواء أكان ذلك في دراسة العربية المنتشرة في بطون الكتب، أم في تصور ما قد ينشأ للدراسة اللغوية، فهو لم يتعامل مع اللغة على أنها أمر صدق عليه التاريخ وعلماءه، بل أنها آنية حديثة، تتجاوز التاريخ، تخضع لسلطة مجهر الملاحظة.

وبذلك المنهج حدث تطور في اللغة العربية، وظهر ما لم يكن سابقاً في الساحة اللغوية. وسأوضح ذلك بالأمثلة:

ففي علم الأصوات، وتحديداً في صفة حرف «الطاء» خالف الدكتور إبراهيم أنيس الخليل في ضابط الحرف اللثوي^(٢)، عاداً أن مخرجه من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا، كما ذهب إليه ابن جني^(٣)، وذهب الدكتور إبراهيم أنيس أيضاً إلى أن «الطاء» حرف لساني أسناني يخرج من بين أسلة اللسان وحافة الأسنان^(٤)، وعندئذ لا عمل للثة في أي دور من أدوار نطق «الطاء»^(٥).

(١) المرجع السابق، ص ٧٥، ٧٦.

(٢) انظر كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج ١، ص ٥٨.

(٣) انظر سر صناعة الإعراب، ج ١، ص ٤٧.

(٤) انظر الأصوات اللغوية، ص ٤٨. (٥) انظر المرجع السابق، ص ٧٩.

كما ذهب الدكتور إبراهيم أنيس إلى أنه لا مبرر لتسمية الخليل لكل من «السين والصاد والزاي» بالأحرف الأصلية^(١) - نسبة إلى طرف اللسان - فهناك مجموعة كبيرة من الأحرف - كالتاء والذال والطاء - لطرف اللسان دور كبير في النطق بها^(٢).

وعلى الرغم من الخلافات بين الدكتور إبراهيم أنيس وسابقه في مخارج بعض الحروف وصفاتها وتسمياتها لكن يمكن القول إنه قد وافق الخليل وابن جني في اعتماد الكثير من مخارج الحروف وصفاتها وتسمياتها^(٣).

وتكلم الدكتور إبراهيم أنيس على نشأة اللغة، وعن النظريات التي سبقته، فناقش الأدلة القائلة بالتوقيف والاصطلاح، وكان ذلك من باب الانتقاد الراض لِهذه الآراء، ثم تعرّض لآراء ونظريات المحدثين الذين عرفوا خلال القرن التاسع عشر^(٤).

ومن بسطه للآراء يستشف القارئ أن الدكتور إبراهيم أنيس يميل إلى القول بأن اللغة قامت على أساس محاكاة الأصوات الطبيعية، بل ودافع عن هذه النظرية بقوله: «ولذلك لا يصح أن ننساق مع بعض المعترضين على هذه النظرية في تهكمهم عليها... الواقع يبرهن على أن كثيراً من كلمات اللغات الإنسانية قد انحدرت عن تلك الأصوات الغريزية المبهمة، ثم سمت في تطورها ودلالاتها، وأصبحت تعبّر عن الفكر الإنساني»^(٥).

يُذكر أن الدكتور إبراهيم أنيس قد رتب هذه النظرية في كتابه ضمن نظريات العلماء المحدثين، غير أن الخليل وابن جني قد قالوا بهذا المذهب - كما ذكرت سابقاً - وبذلك يتم الإجماع بين الأعلام الثلاثة على أن اللغة تكونت من محاكاة الألفاظ للأصوات الطبيعية.

بحث الدكتور إبراهيم أنيس في الاشتقاق اللغوي على أنه الوسيلة الثانية - بعد القياس^(٦) - لنمو اللغة، وفصل في أنواع الاشتقاقات، ولفت الأنظار إلى أن

(١) انظر كتاب العين، ج ١، ص ٥٨. (٢) انظر الأصوات اللغوية، ص ٧٨.

(٣) انظر كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج ١، ص ٥٧، ٥٨، وسرّ صناعة الإعراب، ابن جني، ج ١، ص ٤٦-٤٨، والأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص ٤٥-٩٥.

(٤) انظر دلالة الألفاظ، ص ٢٠-٣٢. (٥) المرجع السابق، ص ٢١، ٢٢.

(٦) هو الأساس الذي نبني عليه كل ما نستنبطه من قواعد في اللغة أو صيغ في كلماتها أو دلالات في بعض ألفاظها. من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ص ٨.

الاشتقاق درس قديم عند علماء العربية، وقال: «وقد تنبه علماء العربية القدماء إلى فكرة الاشتقاق منذ بدؤوا يبحثون في اللغة، وربطوا بين الألفاظ ذات الأصوات المتماثلة والمعاني المتشابهة، واتضح لهم ناحية الأصالة والزيادة في مادة الكلمة»^(١). ثم ذكر المصدر المؤسس الذي نقل عنه العلماء فقال: «ويبدو أن أصحاب الاشتقاق قد اقتبسوا فكرة تقلبات الأصول من معجم العين، فقد سلك صاحب العين... طريقة إحصائية أو قسمة عقلية لجأ إليها أصحاب هذه المعاجم بغية حصر كل المستعمل من كلمات اللغة، وخشية أن يندب بعضها عن أذهانهم»^(٢).

ويتبع قائلاً: «فلما جاء أصحاب الاشتقاق من أمثال ابن جني وابن فارس ربطوا أيضاً بين دلالات تلك الصور، واستنبطوا معاني عامة مشتركة بينها، وسمي هذا بالاشتقاق الكبير»^(٣).

ثم عرض الدكتور إبراهيم أنيس لما عدّه مزايده وتكلفاً عند ابن جني في أمثله - فيما يتعلق بالاشتقاق الكبير - منتقداً تلك الأمثلة بأنها ضئيلة متكلف فيها من أجل إثبات ما يسمى بالاشتقاق الكبير^(٤).

كما تكلم عما يعدّ معاكساً لعمل الاشتقاق في أغلب صورته، وهو «النحت»، فأول ما تعرض له، عرفه بأنه «اختزال واختصار في الكلمات والعبارات»^(٥). ثم تحدث عن اختصار العرب القدماء لبعض الكلمات التي تعدّ حكماً وأمثالاً.

ولا يحكم نحت الكلمات نظام يحدد عدد الحروف التي ينبغي الاحتفاظ بها من كل كلمة، لكن العادة جرت على أن تكون الكلمة المنحوتة رباعية الأصل، تتخذ من صورة الفعل أو المصدر منهجاً لها، ثم عرض أمثلة للكلمات المنحوتة من لفظتين مثل: «جعفلة» لـ «جعلت فداك»، وأخرى منحوتة من ثلاثة ألفاظ، مثل «حيعلة» لـ «حي على الفلاح» وكذلك لما نحت من أربع كلمات نحو «البسملة» لـ «بسم الله الرحمن الرحيم»، وضرب أمثلة أيضاً لما يعدّ نحتاً لأكثر عدد ممكن من الكلمات، مثل «الحوقلة» أو «الحولقة» لـ «لا حول ولا قوة إلا بالله»^(٦).

(٢) من أسرار اللغة، ص ٦٦.

(٤) انظر المرجع السابق، ص ٦٦-٦٨.

(١) من أسرار اللغة، ص ٦٢.

(٣) المرجع السابق، ص ٦٦.

(٥) المرجع السابق، ص ٨٦.

(٦) انظر المرجع السابق، ص ٨٦، ٨٧.

ونسب وجود النحت إلى علماء^(١) اللغة منذ القدم، وتبّه على المغالاة في نحت بعض الكلمات، كالبلعوم والخرطوم والحلقوم للكلمات بلع وطعم، وخرط وطعم، الحلق والطعم، وكذلك المبالغة حصلت في نحت بعض الكلمات التي تفيد حكاية للأصوات كقهقهة الرجل، وغير ذلك^(٢).

وأشار بعد ذلك إلى أهمية النحت قائلاً: «نشعر أن النحت في بعض الأحيان ضروري، يمكن أن يساعدنا على تنمية الألفاظ في اللغة، ولذا نرى الوقوف منه موقفاً معتدلاً، ونسمح به حين تدعو الحاجة إليه»^(٣).

وبذلك يتضح أن الدكتور إبراهيم أنيس بما يحمل من نظريات - ساعدتها الأدوات العلمية الحديثة - استطاع أن يمضي على خطى القدماء في تقرير النحت، والاعتراض على المغالاة الحاصلة عند البعض، ونحت ما لم يخطر على بال الأقدمين.

وختاماً يتبين أن اهتمام العلماء بعلم اللسانيات في اللغة العربية كان من دافع عشقهم للغة القرآن الكريم، فأرأوا أن اللغة تحتاج إلى جهود لسانية، تهدف إلى الحفاظ على العربية والمقارنة بغيرها من اللغات التي اطلع عليها العرب، نتيجة لاختلاطهم بغيرهم من الأمم، فحفظت اللغة من الضياع، بل وظهرت الإبداعات، وأرسيت قواعد ثابتة للعلوم ولإمكانيات التقدم العلمي. فالباحث في علم اللسانيات عند العرب يتوصل إلى تراث ضخم في هذا المضمار تشعبت فيه الآراء، واختلفت تناولاً وتقريباً.

إن الباحثين القدماء عندما اهتموا بعلم اللسانيات سبقوا غيرهم، ووضعوا لذلك القواعد، فكانت الحروف عندهم مجهورة ومهموسة، وكذلك لها تسميات عندهم بحسب نماذج أصواتها، وبينوا الفروق الحاصلة عند النطق بها.

(١) كالخليل في كتابه العين، وابن السكيت في كتابه إصلاح المنطق، والشعالبي في فقه اللغة،

وغيرهم... انظر من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ص ٨٦.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٩٠.

(٣) من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، ص ٩١.

خلاصة ونتائج

وهكذا بعد تمام القول في «لهجات العرب في القرآن الكريم» صار بالإمكان تلخيص أبرز النتائج التي توصل إليها البحث، وهي تجري بحسب ترتيبها في متن الرسالة على النحو التالي:

١ - القبائل العربية غير متساوية في الفصاحة، ولا في فهم المعاني، وبناء على ذلك قامت أسس المقارنة والمفاضلة بين اللهجات العربية.

٢ - قد تشترك قبيلتان أو أكثر في لهجة واحدة، وذلك تبعاً للعوامل الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية... المشتركة فيما بينها والمؤثرة فيها.

٣ - اختلاف لهجات القبائل لم يبلغ مرحلة عدم القدرة على التفاهم فيما بين تلك القبائل، فأغلب الاختلافات كان في الأصوات، وبعضها في البنية.

٤ - ردّ البحث شبهة أن القرآن الكريم كان مقتصرأ في نظمه على لهجة قريش وحسب، إذ استبان بعد التحقيق دعم الرأي القائل أن هناك ثمة مزيجاً من لهجات متعددة في القرآن الكريم، عمادها الاصطفاء بغية الوصول إلى أقصى الدقة في التعبير، وآية ذلك ما وجد في القرآن الكريم من كلمات نسبت إلى قبائل غير قريش.

٥ - القراءات القرآنية كنز تستخرج منه مكنونات اللهجات العربية، ومادة خصبة شحذت الهمم والعقول لتحليل الموضوعات التي تدور حول اللهجات العربية ومناقشتها.

٦ - اللهجة الواحدة من اللهجات العربية تسهم إسهاماً بالغاً في فهم كثير من الآيات وتفسيرها، وقد تكون موطئ قدم، ينطلق منها الفقيه للاستدلال بها على رأيه.

٧ - ينتهي الباحث في علم اللسانيات لدى العلماء العرب إلى تراث ضخم، تشعبت فيه الآراء واختلفت فيه الاجتهادات تناوياً وتقريباً. وفي الختام أرجو أن يكون موضوع «لهجات العرب في القرآن الكريم» من الموضوعات التي قدمت الجديد والمفيد، ووثقت صلة القارئ بالتراث اللغوي العربي الأصيل.

دليل الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس الأبيات الشعرية
- فهرس المواضع والبلدان
- فهرس ترجمة الأعلام
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس المحتويات

فهرس الآيات القرآنية

الآية رقم الآية الصفحة

سورة الفاتحة

٦٤ ٦ ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾

سورة البقرة

٦٩ ١١ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ

٨٢ ٢٠ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾

١٩٦ ٢٣ ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ

٢٠٥ ٣٠ ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ

١٢٢ ٣١ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

٢٤٠ ٤٨ ﴿فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾﴾

٢٤٠ ٧٤ ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ ﴿٤٨﴾﴾

٢٤٠ ٨٣ ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾

٢٤٠ ٨٣ ﴿لَا تَسْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴿٨٣﴾﴾

١٥٧ ١٤٤ ﴿قَدْ رَزَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلتَوَلَّيْتَكَ قِبْلَةً رَضِيَهَا

١٥٧ ١٤٤ قَوْلَ وَجْهِكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴿١٤٤﴾﴾

٢٥٢ ٢٢٢ ﴿وَلَا تَقْرُبُونَهَا حَتَّىٰ يَظْهَرَ فإِذَا تَظَهَّرَ فَأَتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ

٢٤٥ ٢٢٨ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴿٢٢٢﴾﴾

٢٤٥ ٢٢٨ ﴿وَالْمُطَلَقَاتُ يَرْصَنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴿٢٢٨﴾﴾

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَإِنْ طَلَقْتُمْوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾	٢٣٧	٢٤٩
﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾	٢٥٦	١٢٩
﴿يُخْرِجُوهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾	٢٥٧	١٨٤
﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْقُفِ﴾	٢٧٣	١٤٩
﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرٍ فَمُنْظَرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾	٢٨٠	٨٦
﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾	٢٨٢	٨٨

سورة آل عمران

﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْعِلْمُ بَقِيًّا بَيْنَهُمْ﴾	١٩	٨٩
﴿يُحِبِّبِكُمْ اللَّهُ﴾	٣١	٢٠٢
﴿أَنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ بِحَيٍّ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾	٣٩	١٤٨
﴿وَسَوْدٌ وَجُوهٌ﴾	١٠٦	٢٣٩
﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾	١١٠	١٨٢
﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتُمْ أَوْ قَاتَلْتُمْ لِيَالِي اللَّهِ تَحْشُرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾	١٥٧	١٥٠

سورة النساء

﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾	١١	٩٠
﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ آبَاؤُهُ فَلَهُنَّ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلَهُنَّ السُّدُسُ﴾	١١	١٣٣
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَعَظَّمَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ فِتْنًا أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٧﴾﴾	٦٣	٧٦

سورة المائدة

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْعَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾	٦	٤٨ - ٢٥٠
---	---	----------

الآية	رقم الآية	الصفحة
-------	-----------	--------

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾	٥٤	٨٩
--	----	----

سورة الأنعام

﴿وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ لَتَسْتَعِينُ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾	٥٥	٨٧
﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾	١٢٤	١٦٩

سورة الأعراف

﴿فَكَيْفَ ءَأَسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾	٩٣	٦٨
﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾	١٣٧	١٤٨
﴿وَجَلَّوْنَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ عَالًا أَصْنَابًا لَهُمْ﴾	١٣٨	١٤٦
﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ءَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	١٥٧	١٦٠

سورة الأنفال

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ﴾	١٣	٢٠٢
----------------------------	----	-----

سورة التوبة

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَكْفُرُ أَتَدْنٰ لِي وَلَا نَقْتِي﴾	٤٩	١٤٠
﴿وَأَخْرَجُوا مُرَجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾	١٠٦	١٥٠
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾	١٢٣	٩١

سورة يونس

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَجِرُّونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾	٤٩	١٢٢
--	----	-----

الآية رقم الآية الصفحة

سورة هود

﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ ﴿١١٣﴾
 ١١٣ ٨٢، ٦٧

سورة يوسف

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١﴾
 ٢ ١٩٥
 ﴿حَقَّقْ حِيبِ﴾
 ٣٥ ٢٣٨
 ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾
 ٣٦ ١٦٤

سورة الرعد

﴿إِلَّا كَيْسِطٌ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾
 ١٤ ١٧٠
 ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾
 ٣٧ ١٩٥

سورة إبراهيم

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُم فَيُضِلَّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٤﴾
 ٤ ٢٠٦ - ١٩٤

سورة الحجر

﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ ﴿٥٦﴾
 ٥٦ ١٤٧
 ﴿قَالَ إِنَّ هَذِهِ لَأَهْلَؤَلَاءِ ضَيِّبٍ فَلَا تَفْضَحُون﴾ ﴿٧٨﴾
 ٦٨ ١٨٣

سورة النحل

﴿أَنَّى أَمُرُ اللَّهَ﴾
 ١ ١٨١
 ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُم سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾
 ٨١ ١٥٧
 ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾
 ١٠٣ ١٩٥

الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة الإسراء		
﴿حِجَابًا مَسْتُورًا﴾	٤٥	١٨٤
سورة الكهف		
﴿مَاتُوا فِي زُبُرٍ مُّخْتَلِفٍ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا﴾	٩٦	١٦٤
سورة طه		
﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيَلِكُمْ لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيَسْجُتْكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾	٦١	١٤٧
سورة الأنبياء		
﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾	٩٨	١٦٤
سورة الحج		
﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾	٥	١٨٣
سورة المؤمنون		
﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾	١	١٢٠
﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾	٥٠	٨٣
سورة النور		
﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾	٣٧	١٥٩
سورة الشعراء		
﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾	١٩٥	١٨٧ - ١٧٧
سورة النمل		
﴿فَنَسَسَ صَاحِبًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي﴾	١٩	١٦٠

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَكشَفَتْ عَنْ سَاقِبَهَا﴾	٤٤	١١٩
سورة القصص		
﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢٤﴾﴾	٣٤	٧٦
سورة الروم		
﴿وَمِنَ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَخْلَفَ الْمَينِكُمْ وَالْوَالِدِكُمْ إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾	٢٢	١٦
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾	٥٤	١٥١ ، ١٣٦
سورة لقمان		
﴿وَلَا تُضَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾	١٨	١٣٩
﴿وَأَقْصِدْ فِي مَسِيرِكَ وَأَعْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِن أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾	١٩	٩٤
﴿وَأَسْبَغْ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾	٢٠	٦٤
سورة سبأ		
﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾	٥٠	٨٦
سورة يس		
﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ بِبَنِي آدَمَ أَن لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾	٦٠	٢٣٩ ، ٦٧
سورة الصافات		
﴿فَرَأَى إِلَهَ الْإِنْسَانِ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَأَى عَلَيْهِمْ صُرًى بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾	٩٣-٩١	١٦١

الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة ص		
﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مُّجَابٌ﴾	٥	١٣٩
سورة الزمر		
﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾	٢٨	٨٨
سورة فصلت		
﴿وَأَبَشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾	٣٠	١٤٨
﴿وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾	٣٩	١٥٧
﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجَبِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَءَعْجَبِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَبُشْرًا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾	٤٤	١٨٩
سورة الشورى		
﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾	٧	١٩٥
سورة الدخان		
﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾	١٦	١٣٩
سورة الأحقاف		
﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	٣٠	٨٧
﴿وَلَيْسَ لَكَ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾	٣٢	١٢٢
سورة محمد ﷺ		
﴿فَضْرَبَ الرَّقَابِ﴾	٤	١٨٤
﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِالْقَلَمِ ﴿٥﴾﴾	٥	١٥٨
﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾	١٥	١٦٤

الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة الحجرات		
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُتَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾	٤	١٨٣
سورة الذاريات		
﴿قِيلَ الْخَرَّاصُونَ﴾	١٠-١١	١٦٥
﴿الَّذِينَ هُمْ فِي عَمْرُقٍ سَاهُونَ﴾	٢٦	١٦١
﴿فَرَأَى إِلَيْكَ أَهْلِيهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ﴾	٥٦	٢٠٥ - ١٦٩
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾		
سورة النجم		
﴿تَبَّكَ إِذَا فَسَمَةٌ ضَبِيحَةٌ﴾	٢٢	١١٩
سورة الرحمن		
﴿الرَّحْمَنُ﴾	١-٤	١٧٨
﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾		
﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾		
﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾		
﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى فُرْشٍ بَطَّانِيهَا مِنْ أَسْتَرْقٍ﴾	٥٤	١٢٠
سورة الواقعة		
﴿إِنْسٍ لَوْعِنَهَا كَادِبَةٌ﴾	٢	١٨٤
سورة الحشر		
﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾	٤	٨٨
سورة التحريم		
﴿إِنْ نُنَوِّبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾	٤	١٨٣
سورة القلم		
﴿بِأَيْدِيكُمْ الْمَقْتُولُونَ﴾	٦	١٨٤

الآية رقم الآية الصفحة

سورة نوح

﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا﴾ (٧٦) ٢٢ ٦٩

سورة الجن

﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ (١) ١ ١٢٠

سورة القيامة

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَعَجَّلَ بِهِ﴾ (١٦) ١٦ ٢٢، ٢٤
﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (١٧) ١٧ ٢٢

سورة البروج

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ (٢١) ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ (٢٢) ٢١-٢٢ ١٧٧

سورة الفجر

﴿كَلَّا بَلْ لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ (١٧) ١٧ ١٢٩

سورة الزلزلة

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ﴾ (٦) ٦ ٦٥

سورة الكوثر

﴿إِنَّا أَنْعَمْنَا عَلَى الْكَوْثَرِ﴾ (١) ١ ٥٩

فهرس الأحاديث النبوية

- أنزل القرآن على سبعة أحرف: ١٩٣
- الأنصار ومزينة وجهينة وغفار وأشجع ومن كان من بني عبد الله موالِيّ دون الناس والله ورسوله مولاهم: ٤٦
- انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً...: ١٦٠
- إني بعثت إلى أمة أميين منهم الغلام والخادم والشيخ العاسي والعجوز: ٢٣١
- لا يجتمع دينان في جزيرة العرب: ٢٨
- ليس من البر الصيام في السفر: ٦٢
- ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذر: ١٧
- هم أشدّ أمتي على الدجال: ٣٧
- يا أيها الناس إن الرب واحد والأب واحد وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم وإنما هي اللسان: ٢٠
- اليد المنطية خير من اليد السفلى: ٥٩

فهرس الأبيات الشعرية

البيت	البحر	الصفحة
أراها غلاماها الخلا فتشذرت	مراحاً ولم تقرأ جنيناً ولا دما	٢٤٦ الطويل
أعن ترسّمت من خرقاء منزلة	ماء الصباية من عينيك مسجوم	٥٥ البسيط
ذاك خليلي وذو يواصلي	يرمي وراثي بامسهم وامسلمه	٦٢ المنسرح
على قدر أهل العزم تأتي العزائم	وتأتي على قدر الكرام المكارم	٧٩ الطويل
فبكى بناتي شجوهن وزوجتي	والأقربون إليّ ثم تصدّعوا	٩٤ الكامل
فعيناشي عيناها وجيدش جيدها	ولكن عظم الساق منش رقيق	٥٦ الطويل
فلا تلهك الدنيا عن الدين واعتمل	لآخرة لا بُدَّ عن ستصيرها	٥٤ الطويل
قد كان قومك يحسبونك سيّداً	وإخبال أنك سيد مغبون	٦٧ الكامل
مورثة مالاً وفي الحمد رفعة	لما ضاع فيها من قروء نساءكا	٢٤٦ الطويل
نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر	قضاة بن مالك بن حمير	٤٥ الرجز
نفسى الفداء لأقوام هم خلطوا	يوم العروبة أوراذاً بأوراد	٩٥ البسيط
ومن شك أن البأس والجود فيهم	كمن شك في أن الفصاحة في نجد	٨٦ الطويل

فهرس المواضع والبلدان

- الأخشبان: ٣٥
الأهواز: ١٠٩
بُعَاث: ٤٨
تَبوك: ٥١
تَهامة: ٥٠
جبل السراة: ٨٣
جبلي أجا وسلمى: ٤٩
جنفاء: ٤٠
زبيد: ٤٩
الشُّحر: ٤٥
عرفات: ٣٥
كدراء: ٤٩
نجران: ٥٠
وادي حنين: ٣٨
وادي الخيف: ٤٩
وادي القرى: ٤٠
اليمامة: ٤١

فهرس ترجمة الأعلام

- إبراهيم بن محمد الزجاج : ٨٤
أبي بن كعب : ٢٥١
أحمد بن علي السبكي : ٧٧
أحمد بن علي القلقشندي : ٣٢
أحمد بن فارس ابن زكريا : ٧٣
أحمد بن محمد النحاس : ٨٤
أحمد بن موسى : ٢٣٦
إسماعيل بن حماد الجوهري : ٥٦
باذام : ٢٠١
تميم بن أوس : ٥٩
جميل بن معمر : ٤٦
حاتم بن عبد الله الطائي : ٤٩
حبيب بن أوس بن الحارث : ٨٥
الحجاج بن يوسف الثقفي : ٣٩
الحسن بن أحمد بن عبد الغفار : ٨٥
الحسين بن أحمد بن خالويه : ٨٤
الحسين بن محمد ابن المفضل : ٧٤
حفص بن سليمان : ١٣٦
حليمة السعدية : ٤١
حمزة بن حبيب : ١٢٧

- حميد بن ثور: ٢٤٦
 خالد بن الوليد: ٥٠
 خلف بن هشام البزار: ١٣٦
 الخليل بن أحمد الفراهيدي: ٢٥٦
 زيان بن العلاء بن عمار: ١٢٧
 زيد بن ثابت: ٢٢٨
 زيد الخيل بن مهلهل: ٤٩
 سعد بن عبادة: ٤٨
 سعد بن معاذ: ٤٨
 عاصم بن بهدلة: ١٢٨
 عبدة بن الطيب: ٩٤
 عبد الرحمن بن صخر: ٣٧
 عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي: ٤٤
 عبد الله بن جعفر بن درستويه: ١٥٥
 عبد الله بن عامر: ١٣٠
 عبد الله بن عباس: ٢٨
 عبد الله بن كثير المكي: ١١٩
 عبد الله بن محمد ابن سنان الخفاجي: ٧٥
 عبد الله بن مسعود: ٣٦
 عبد الله بن مسلم بن قتيبة: ٢٣١
 عبد الله بن يوسف ابن هشام الأنصاري: ٦٢
 عبد الملك بن قريب الأصمعي: ٢٩
 عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي: ١٥٥
 عثمان بن جني: ٥٥

- عقبة بن عامر : ٤٤
- علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم : ٤٣
- علي بن حمزة الكسائي : ١٢٧
- عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ : ١٠٨
- عمرو بن العاص : ٥١
- عمرو بن عثمان بن قنبر سيويه : ٥٧
- عمرو بن مُرة القضاعي : ٤٥
- عترة بن شداد العبسي : ٤٠
- قَيْلة بنت مخرمة : ٥٥
- مالك بن أنس : ٢٩
- محمد بن أحمد بن الأزهر : ٩٠
- محمد بن إدريس الشافعي : ٤
- محمد بن بهادر الزركشي : ٢٣٠
- محمد بن جرير الطبري : ٢٠١
- محمد بن السائب : ٢٠١
- محمد بن عبد الله ابن مالك : ٢٠٢
- محمد بن علي بن وهب : ٢٣٠
- محمد بن محمد ابن الجزري : ١٢٣
- محمد بن مكرم ابن منظور : ٥٦
- محمد بن يزيد المبرد : ١٥٨
- محمود بن عمر الزمخشري : ١٧١
- معقل بن سنان الأشجعي : ٤١
- معمر بن المثنى : ٢٠٩
- موفق الدين ابن يعيش : ٦٢

- ميمون بن قيس: ٢٤٥
نافع بن عبد الرحمن: ١٢٧
النعمان بن ثابت: ٢٤٧
النمر بن تولب: ٦١
يحيى بن زياد بن عبد الله الفراء: ١٣٤
يزيد بن القعقاع: ١٣١
يعقوب بن إسحاق: ١٣١
يعقوب بن السكيت: ٥٥

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الإبدال في ضوء اللغات السامية، ربحي كمال، جامعة بيروت العربية، ١٩٨٠.
- إبراز المعاني من حرز الأمانى، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ١٣٤٩هـ.
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، أحمد بن عبد الغني الدمياطي، دار الندوة الجديدة، بيروت.
- الإتيقان في علوم القرآن، عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، ط. ١٩٨٨.
- أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج، مسعود بوبو، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٢.
- أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، أحمد حسن الباقوري، دار المعارف، مصر.
- أحكام التجويد، يوسف علي بديوي، ط. الأولى، ١٩٩١.
- الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الأمدي، تعليق عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الثانية، ١٤٠٢هـ.
- أدباء العرب في الأعصر العباسية، بطرس البستاني، دار مارون عبّود، ١٩٧٩.
- أدباء وشعراء العرب، محمد حمود، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط. الأولى، ٢٠٠١.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن محمد الجوزي - المشهور بابن الأثير - تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى ١٩٩٤.
- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تعليق محمود شاکر، مطبعة المدني،

- القاهرة، ط. الأولى، ١٩٩١.
- أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، سعيد الأفغاني، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٣٧.
- الأشباه والنظائر في النحو، عبد الرحمن السيوطي، تحقيق عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الأولى، ١٩٨٥.
- الاشتقاق، عبد الله أمين، مطبعة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط. الأولى، ١٩٥٦.
- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، ط. الأولى، ٢٠٠١.
- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار إحياء التراث، بيروت.
- إصلاح المنطق، يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت، تحقيق أحمد شاعر وعبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ط. الثانية، ١٩٥٦.
- الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، دار النهضة العربية، القاهرة، ط. الثالثة، ١٩٦١.
- الأضداد، محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دائرة المطبوعات، الكويت، ١٩٦٠.
- أطوار الثقافة والفكر في ظلال العروبة والإسلام، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط. الأولى، ١٩٥٩.
- إعجاز القرآن، محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر.
- إعراب القرآن، أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق زهير زاهد، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، ط. الثانية، ١٩٨٥.
- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط. السابعة، ١٩٨٦ والعاشرة ١٩٩٢.
- أعلام النساء في عالمي العرب الإسلام، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة،

- بيروت، ط. الرابعة ١٩٨٢.
- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار الثقافة، بيروت.
- الأغاني، علي بن الحسين بن محمد القرشي، المشهور بأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الشعب، مصر، ١٩٧٢.
- الألسنية علم اللغة الحديث، المبادئ والأعلام، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط. الثانية، ١٩٨٣.
- الأم، محمد بن إدريس الشافعي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٠.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن يوسف ابن هشام الأنصاري، دار الفكر، بيروت.
- الأيام والليالي والشهور، يحيى بن زياد الفراء، تحقيق إبراهيم الأبياري، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٦.
- إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، محمد بن القاسم بن بشار الأنباري، تحقيق محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دمشق، ١٩٧١.
- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، عبد الفتاح القاضي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. الأولى، ١٩٨١.
- البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله الزركشي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى.
- البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق يوسف المرعشلي وجمال الذهبي وإبراهيم الكردي، دار المعرفة، بيروت، ط. الثانية، ١٩٩٤.
- البرهان في وجوه البيان، إسحاق بن إبراهيم ابن وهب الكاتب، تحقيق حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، مصر.
- البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، تحقيق وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط. الأولى.
- البلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان، ط. الثانية، ١٩٨٩.

- بلغة السالك لأقرب المسالك، أحمد الصاوي، ضبط محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٥.
- البلغة في أصول اللغة، محمد صديق حسن خان القنوجي، تحقيق نذير مكتبي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط. الأولى، ١٩٨٨.
- البلغة في تاريخ أئمة اللغة، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٢.
- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، محمود شكري الألوسي، ضبط محمد بهجت الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الثانية.
- البناية في شرح الهداية، محمود بن أحمد العيني، دار الفكر، بيروت، ط. الأولى، ١٩٨٠.
- البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر.
- بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، محمود بن عبد الرحمن الأصفهاني، تحقيق محمد مظهر بقا، دار المدني، جدة، ط. الأولى ١٩٨٦.
- تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت، ط. ١٩٩٤.
- تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق مصطفى حجازي، المجلس الوطني للثقافة، الكويت ط. الأولى، ٢٠٠١.
- تاريخ آداب العرب، مصطفى الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. الرابعة، ١٩٧٤.
- تاريخ الأدب العربي، السباعي بيومي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٨.
- تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر.
- تاريخ بغداد، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الفكر، بيروت، ط. الثانية.
- تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، ط. الثانية، ١٩٦٧.
- تاريخ اللغات السامية، أ. ولفنسون، دار القلم، بيروت، ١٩٨٠.

- تاريخ نجد، محمد شكري الألوسي، مكتبة المدبولي، القاهرة.
- تاريخ واسط، أسلم بن سهل الرزاز الواسطي، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٦٧
- تأويل مشكل القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، شرح السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط. الثانية، ١٩٧٣.
- تحت راية القرآن، مصطفى صادق الرافعي، تحقيق عبد الله المنشاوي، دار الإيمان، المنصورة، ط. الأولى، ١٩٩٦.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، مؤسسة التاريخ، بيروت، ط. الأولى، ٢٠٠٠.
- تحفة الفقهاء، محمد بن أحمد السمرقندي، تحقيق محمد منتصر الكتاني ووهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق.
- ترتيب العلوم، محمد بن أبي بكر المرعشي، تحقيق محمد السيد أحمد، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط. الأولى، ١٩٨٨.
- الترجمة في العصر العباسي، مريم سلامة، ترجمة نجيب غزاوي، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٨٨.
- تسهيل الفوائد، محمد بن مالك، تحقيق محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي، مصر، ١٩٦٧.
- تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢.
- تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمود شاكر، دار المعارف، مصر.
- تفسير الفخر الرازي، محمد الرازي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥.
- تفسير القرآن العظيم، محمد بن أحمد المحلى وعبد الرحمن بن أبي بكر السيوفي، دار إحياء الكتب العربية.
- التفكير اللساني في الحضارة العربية، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٨١.

- تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، ط. الأولى، ودار المعرفة، بيروت، ط. الأولى ١٩٩٦ تحقيق خليل شيحا وعمر السلامي وعلي بن مسعود.
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- التيسير في القراءات السبع، عثمان بن سعيد الداني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. الثانية، ١٩٨٤.
- الجامع الصحيح، مسلم بن الحجاج بن مسلم، دار المعرفة، بيروت.
- جغرافيا العالم الإسلامي، يسري الجوهري وناريمان درويش، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٢.
- جمهرة أنساب العرب، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى ١٩٨٣.
- جمهرة اللغة، محمد بن الحسن الأزدي البصري، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ط. الأولى.
- جمهرة اللغة، محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط. الأولى، ١٩٨٨.
- حاشية ابن عابدين، محمد أمين بن عمر، تحقيق حسام الدين فرفور، دار الثقافة والتراث، دمشق، ط. الأولى، ٢٠٠٠.
- الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٤.
- الحجاز في صدر الإسلام، صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٠.
- الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدان، تحقيق عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. السادسة، ١٩٩٦.
- الحجة للقراء السبعة، الحسن بن عبد الغفار الفارسي، تحقيق بدر الدين فهوجي

- وبشير حويجاتي، دار المأمون للتراث، بيروت، ط. الأولى، ١٩٨٧.
- الحضارة العربية الإسلامية، شوقي أبو خليل، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، ط. الثانية، ١٩٩٣.
- أبو حنيفة حياته وعصره، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، ط. الثانية، ١٩٤٧.
- الخرشبي على مختصر سيدي خليل، محمد بن عبد الله بن علي الخرشبي، دار الفكر، بيروت.
- خزانة الأدب، عبد القادر البغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٨٣.
- الخصائص، عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ط. الثانية، ١٩٥٢.
- دائرة المعارف الإسلامية، أحمد الشنتاوي وإبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس، مراجعة مهدي علام، دار المعرفة، بيروت.
- دراسات في العربية وتاريخها، محمد الخضر حسين، المكتب الإسلامي ومكتبة دار الفتحة، دمشق، ط. الثانية، ١٩٦٠.
- دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط. الرابعة، ١٩٧٠.
- الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، محمد حسين آل ياسين، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط. الأولى، ١٩٨٠.
- دراسة اللهجات العربية القديمة، داود سلوم، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، بيروت، ط. الأولى، ١٩٨٦.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط. الثالثة، ١٩٧٢.
- ديوان الأدب، إسحاق بن إبراهيم الفارابي، تحقيق أحمد مختار عمر وإبراهيم

- أنيس، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ط. الأولى، ١٩٧٤ - ١٩٧٩.
- ديوان الأعشى، شرح وضبط محمد أحمد قاسم، المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٤.
- ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، مصر ط. الثانية.
- ديوان حميد بن ثور الهلالي، إشراف محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٥.
- ديوان ذي الرمة، تحقيق عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، بيروت، ط. الأولى، ١٩٨٢.
- ديوان عباس بن مرداس السلمى، تحقيق يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الأولى.
- ديوان عمير بن شبيب القطامي، تحقيق إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، دار الثقافة بيروت، ط. الأولى، ١٩٦٠.
- ديوان قيس ابن الملوح، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار مصر للطباعة.
- رسالة الاشتقاق، محمد بن سري السراج، تحقيق محمد صالح التكريتي، بغداد، ١٩٧٣.
- رسالة الغفران، أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي، تحقيق فوزي عطوي، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت.
- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية، عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٩.
- سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، محمد أمين البغدادي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط. الأولى.
- السبعة في القراءات، أحمد بن موسى ابن مجاهد، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط. الثانية.
- سر صناعة الإعراب، عثمان بن جني، تحقيق حسن هندراوي، دار القلم،

دمشق، ط. الأولى، ١٩٨٥.

- سر الفصاحة، عبد الله بن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٩٨٢.

- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا.

- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت.

- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي ومأمون صاغرجي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الثانية، ١٩٨٢.

- السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، دار القلم، بيروت.

- شذا العرف في فن الصرف، أحمد الحملاوي، تحقيق علاء الدين عطية، دار البيروتي، دمشق، ط. الأولى، ١٩٩٨.

- شرح الاسنوي، نهاية السؤل، جمال الدين الأسنوي، دار الكتب العلمية، ط. الأولى ١٩٨٤.

- شرح التصريح على التوضيح، خالد الأزهرى، تحقيق لجنة من العلماء، دار الفكر، بيروت، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن يوسف ابن هشام الانصاري، دار الفكر، بيروت.

- شرح التلخيص، سعد الدين التفتازاني، ابن يعقوب المغربي، بهاء الدين السبكي، مطبعة عيسى الحلبي، مصر.

- شرح التلخيص، محمد بن محمد البابر تي، تحقيق محمد مصطفى صوفية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس الغرب، ط. الأولى، ١٩٨٣.

- شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، تحقيق محمد الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥.

- شرح شواهد المغني، عبد الرحمن السيوطي، لجنة التراث العربي.
- شرح فتح القدير، محمد عبد الواحد، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- شرح المفصل، موفق الدين يعيش بن علي ابن يعيش، مكتبة المتنبي، القاهرة.
- شروح سقط الزند، يحيى بن علي التبريزي، عبد الله بن محمد البطليوسي وقاسم بن حسين الخوارزمي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٧.
- شعر عبدة بن الطبيب، تحقيق يحيى الجبوري، دار العربية، بغداد، ١٩٧١.
- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، أحمد بن محمد الخفاجي، تحقيق محمد كشاش، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٨.
- الصاحبى في فقه اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق مصطفى الشويمي، مؤسسة، أ. بدران للطباعة والنشر، بيروت.
- الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط. الرابعة، ١٩٩٠.
- الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق إميل يعقوب ومحمد طريفي، دار الكتب العلمية، بيروت ط. الأولى.
- صحيح البخاري، تحقيق مصطفى البغا، دار العلوم الإنسانية، دمشق، ط. الثانية، ١٩٩٣.
- صفة جزيرة العرب، الحسن بن أحمد الهمداني، تحقيق محمد الأكوغ، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٤.
- صفحات في علوم القراءات، عبد القيوم السندي، دار البشائر الإسلامية والمكتبة الإمدادية، بيروت ومكة المكرمة، ط. الثانية، ٢٠٠١.
- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.
- طبقات النحويين واللغويين، محمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر.
- العرب، مكسيم رودنسون، ترجمة خليل خليل، دار الحقيقة، بيروت، ط. الأولى، ١٩٨٠.

- العرب تاريخ موجز، فيليب حتي، دار العلم للملايين، ط. الخامسة.
- العربية خصائصها وسماتها، عبد الغفار حامد هلال، ط. الرابعة، ١٩٩٥.
- العربية لغة العلوم والتقنية، عبد الصبور شاهين، دار الاعتصام، القاهرة.
- العربية ولهجاتها، عبد الرحمن أيوب، معهد البحوث والدراسات العربية،
جامعة الدول العربية.
- عروس الأفراح، بهاء الدين السبكي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة
العصرية، صيدا، ط. الأولى، ٢٠٠٣.
- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، دار العروبة للنشر والتوزيع، ط. الأولى،
١٩٨٢.
- علم اللغة، محمود السمران، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٨.
- علم اللغة بين القديم والحديث، عبد الغفار حامد هلال، ط. الثانية، ١٩٨٦.
- علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر.
- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي مخزومي وإبراهيم السامرائي،
دار الهجرة، قم، ط. الأولى ١٤٠٥هـ.
- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم
السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- غاية النهاية في طبقات القراء، محمد بن محمد بن الجزري، مكتبة الخانجي،
القاهرة، ١٩٣٢.
- الفاضل، محمد بن يزيد المبرد، تحقيق عبد العزيز الميمني، دار الكتب
المصرية، القاهرة، ط. الأولى.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق
عبد العزيز بن باز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٩٨٩.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق
عبد العزيز بن عبد الله بن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية،
بيروت، ط. الأولى، ١٩٨٩.

- الفصحى لغة القرآن، أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- فصول في فقه العربية، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ودار الرفاعي، القاهرة والرياض، ط. الثانية، ١٩٨٣.
- فصيح ثعلب، أحمد بن يحيى ثعلب، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الصحابة للتراث، مصر، ط. الأولى، ١٩٤٩.
- فضائل القرآن، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق سعيد محمود، دار الحديث، مصر.
- فقه اللغات السامية، كارل بروكلمان، ترجمة رمضان عبد التواب، مطبوعات جامعة الرياض، ١٩٧٧.
- فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة.
- فقه اللغة، محمد المبارك، مطبعة جامعة دمشق، دمشق.
- فقه اللغة في الكتب العربية، عبده الراجحي، دمشق، ١٩٧٩.
- فقه اللغة وسر العربية، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، تحقيق خالد فهمي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. الأولى، ١٩٩٨.
- في أدب الإسلام، محمد عثمان علي، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط. الثالثة، ١٩٩٤.
- في الأدب الجاهلي، طه حسين، مطبعة الاعتماد، مصر، ١٩٢٧.
- في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مطبعة لجنة البيان العربي، ط. الثانية، ١٩٥٢.
- في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط. السادسة، ١٩٨٤.
- في اللهجات العربية القديمة، إبراهيم السامرائي، دار الحداثة، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٤.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، محمد عبد الرؤوف المناوي، ضبط أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٤.

- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق بإشراف دار النشر، مؤسسة الرسالة، ط. السادسة، ١٩٩٨.
- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الجيل، بيروت، ط. الأولى.
- القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، عبد الفتاح القاضي، دار إحياء الكتب العربية.
- القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، محمود أحمد الصغير، دار الفكر، بيروت ودمشق، ط. الأولى، ١٩٩٩.
- القراءات القرآنية، عبد الحلیم بن محمد الهادي قابة، مراجعة مصطفى الخن، دار الغرب الإسلامي، ط. الأولى، ١٩٩٩.
- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- القراءات وأثرها في علوم العربية، محمد سالم محيسن، دار الاتحاد العربي، مصر، ١٩٨٤.
- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط. الأولى، ١٩٦٣.
- الكافية في النحو، عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب، شرح محمد بن الحسن الاسترابادي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الكامل، محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الثالثة ١٩٩٧.
- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ودار الرفاعي، القاهرة والرياض، ط. الثانية، ١٩٨٢.
- كتاب الإبدال، يعقوب ابن السكيت، تحقيق حسين شرف، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٧٨.
- كتاب الصناعتين، الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد إبراهيم، عيسى الحلبي وشركاه.

- كتاب المجموع، محيي الدين بن شرف النووي، تحقيق محمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد، جدة.
- الكشف، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ط. الأولى، ١٩٩٨.
- الكشف عن أحكام الوقف والوصل في العربية، محمد سالم محيسن، دار الجيل، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٢.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مكّي بن أبي طالب القيسي، تحقيق محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، ط. الثالثة.
- كفاية المرید في علم التجويد، محمد حافظ برانق، دار المنار ومكتبة فياض، مصر، ١٩٧٧.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط. السادسة، ١٩٩٧.
- اللسانيات وأسسها المعرفية، عبد السلام المسدي، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب، تونس والجزائر، ١٩٨٦.
- اللغة، جوزيف فندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، مصر.
- اللغات السامية، نيودور نولدكه، ترجمة رمضان عبد التواب، مكتبة النهضة العربية، القاهرة.
- اللغات في القرآن، عبد الله بن الحسين بن حسنون، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط. الثانية، ١٩٧٢.
- لغة تميم، ضاحي عبد الباقي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٥.
- اللغة العربية في رحاب القرآن الكريم، عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، ط. الأولى، ١٩٩٥.
- لغة القرآن، أحمد مختار عمر، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ط. الأولى، ١٩٩٣.

- لغة القرآن الكريم، عبد الجليل عبد الرحيم، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ط. الأولى، ١٩٨١.
- لغة القرآن لغة العرب المختارة، محمد رواس قلعه جي، دار النفائس، ١٩٨٨.
- اللهجات العربية الحديثة في اليمن، مراد كامل، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٨.
- اللهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، ١٩٨٣.
- اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩.
- اللهجات وأسلوب دراستها، أنيس فريحة، دار الجيل، بيروت، ط. الأولى ١٩٨٩.
- لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، فاضل غالب المطليبي، منشورات وزارة الثقافة العراق.
- ما اتفق لفظه واختلف معناه، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المبرد، اعتناء محمد رضوان الداية، دار البشائر، دمشق، ط. الأولى.
- ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل، أبو عبيد القاسم بن سلام، على هامش تفسير القرآن العظيم، محمد بن أحمد المحلي وعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار إحياء الكتب العربية.
- مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط. الرابعة عشر، ١٩٨٢.
- المبسوط، شمس الدين السرخسي، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٦.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن محمد، المعروف بابن الأثير، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٩٠.
- مجالس ثعلب، أحمد بن يحيى ثعلب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر.

- محاضرات عن مستقبل اللغة العربية المشتركة، إبراهيم أنيس، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية.
- محاضرات في الألسنية العامة، فردينانده سوسر، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر، دار نعمان للثقافة، لبنان ١٩٨٤.
- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، عثمان بن جني، تحقيق علي ناصف عبد الحليم النجار، عبد الفتاح شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٦هـ.
- المحيط في اللغة، إسماعيل بن عباد، تحقيق محمد آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٤.
- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، ترتيب محمود خاطر، دار الحديث، مصر.
- المخصص، علي بن إسماعيل، المعروف بابن سيده، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨.
- مدخل إلى الألسنية، يوسف غازي، منشورات العالم العربي الجامعية، دمشق، ط. الأولى، ١٩٨٥.
- المذكر والمؤنث، محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق طارق الجنابي، دار الرائد العربي، بيروت، ط. الثانية، ١٩٨٦.
- مرآة جزيرة العرب، أيوب صبري باشا، ترجمة أحمد فؤاد متولي والصفصافي أحمد المرسي، دار الآفاق العربية، القاهرة.
- مرشد المرشد إلى علم التجويد، محمد سالم محيسن، المكتبة الثقافية، بيروت.
- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، تحقيق طيار آتني قولاج، دار صادر، بيروت، ١٩٧٥.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد المولى وعلي البيجاوي ومحمد إبراهيم، دار الجيل، بيروت.
- المسالك والممالك، إبراهيم بن محمد الفارسي الأصبخري، تحقيق محمد جابر عبد العال، دار القلم، ١٩٦١.

- المستصفي من علم الأصول، محمد بن محمد الغزالي، تحقيق إبراهيم رمضان، دار الأرقم، بيروت.
- المستوى اللغوي للفصحى واللهجات وللنثر والشعر، محمد عيد، عالم الكتب، القاهرة.
- مسند الإمام أحمد، تحقيق شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، عامر غضبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الأولى ١٩٩٩.
- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة، ط. الثانية، ١٩٩٧.
- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، تحقيق عمر الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ط. ١٩٩٩.
- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار إحياء التراث، بيروت.
- معجم الشعراء، محمد بن عمران المرزباني، مكتبة القدس، القاهرة، ١٣٥٤هـ.
- معجم الشعراء المخضرمين والأمويين، عزيزة فوال بابتي، جروس برس، لبنان، ط. الأولى ١٩٩٨.
- معجم قبائل العرب، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الخامسة، ١٩٨٥.
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عبد الله بن عبد العزيز البكري، تحقيق مصطفى السقا، مكتبة الخانجي، القاهرة ط. الثالثة ١٩٩٦.
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، تحقيق مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٣.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط. الأولى.
- المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس، عبد الحلیم منتصر، عطية الصوالحي، محمد الأحمد، ط. الثانية.
- المعرب في القرآن الكريم، محمد السيد علي بلاسي، جمعية الدعوة الإسلامية

العالمية، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، ط. الأولى، ٢٠٠١.

- معرفة القراء الكبار، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، مصر، ط. الأولى.

- مغني اللبيب، عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط. الخامسة.

- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، محمد بن محمد الخطيب الشربيني، تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٤.

- مفتاح العلوم، يوسف بن محمد السكاكي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ٢٠٠٠.

- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، ط. الأولى، ١٩٩٦.

- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، دار العلم للملايين، بيروت، ط. الثانية، ١٩٧٦.

- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، طباعة جامعة بغداد، ط. الثانية

- المفصل في علم اللغة، محمود بن عمر الزمخشري، مراجعة وتعليق محمد السعيد، دار إحياء العلوم، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٠.

- مقالات في العربية، مازن المبارك، دار البشائر، دمشق، ط. الأولى، ١٩٩٩.

- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام هارون، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط. الأولى، ١٣٦٩هـ.

- المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، محمد سالم محيسن، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٦.

- المقدمات الممهדות، محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط. الأولى، ١٩٨٨.

- مقدمة تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، ضبط خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط. الثانية، ١٩٨٨.
- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق عبد الله الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط. الأولى ٢٠٠٤.
- الممتع في التصريف، علي بن مؤمن ابن عصفور الإشبيلي، المطبعة العربية، حلب، ط. الأولى، ١٩٧٠.
- من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط. الرابعة، ١٩٧٢.
- من أصول اللهجات العربية في السودان، عبد المجيد عابدين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩.
- من لغات العرب لهجة هذيل، عبد الجواد الطيب، منشورات جامعة الفاتح، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق بديع السيد اللحام، دار قتيبة، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٨.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى، ١٩٨٨.
- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، محمد بن محمد الدمشقي، تحقيق محمد الشنقيطي وأحمد شاكر، دار زاهد القدسي.
- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، محمد بن محمد بن الجزري، المطبعة الوطنية الإسلامية، القاهرة، ١٣٥٠هـ.
- المنصف، عثمان بن جني، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر.
- المذهب في فقه الإمام الشافعي، إبراهيم بن علي الشيرازي، دار القلم، دمشق، ط. الأولى، ١٩٩٢.
- المذهب في القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر، محمد سالم محيسن، دار الأنوار للطباعة، مصر، ١٩٧٨.
- موسوعة حياة الصحابييات، محمد سعيد مبيض، مكتبة الغزالي، سوريا ط.

الأولى ١٩٩٠.

- الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٦.

- موسوعة المورد العربية، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط. الأولى، ١٩٩٠.

- النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، مصر، ط. الثالثة.

- نحو وعي لغوي، مازن المبارك، ١٩٧٠.

- نسب قريش، المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري، تحقيق إ. ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ط. الثالثة.

- النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري، دار الكتب العلمية.

- نظام الجملة عند اللغويين العرب في القرنين الثاني والثالث للهجرة، مصطفى جطل، منشورات جامعة حلب، ١٩٨٠.

- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، أحمد بن علي القلقشندي، دار الكتب العلمية، بيروت.

- النهاية في غريب الاثر، المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩.

- همع الهوامع شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن السيوطي، تصحيح محمود النعساني، دار المعرفة، بيروت.

- الوشاح على الشرح المختصر لتلخيص المفتاح، محمد الكرمي، المطبعة العلمية، قم، ١٣٠١هـ.

فهرس المحتويات

٥	الإهداء
٧	مقدمة
١٥	التمهيد

الفصل الأول / حول القبائل العربية

٢٧	المبحث الأول: القبائل العربية في شبه الجزيرة العربية
٥٢	المبحث الثاني: نماذج من اللهجات المشتهرة بين القبائل العربية
٧٢	المبحث الثالث: الفصح من لهجات العرب
٩٢	المبحث الرابع: الضعيف من اللهجات العربية

الفصل الثاني / اختلاف اللهجات بين القبائل العربية

١٠١	المبحث الأول: أسباب اختلاف اللهجات العربية
١١٥	المبحث الثاني: أنواع اختلاف اللهجات العربية

الفصل الثالث / لغة القرآن الكريم

١٦٩	المبحث الأول: مميزات اللغة العربية وخصائصها وسبب نزول القرآن الكريم بها ...
١٩٠	المبحث الثاني: القبائل التي وردت لهجاتها في القرآن الكريم
٢٠٥	المبحث الثالث: القرآن الكريم حفظ اللغة العربية ووحده لهجاتها

الفصل الرابع / أثر اللهجات العربية

٢٢٨	المبحث الأول: العلاقة بين اللهجات العربية والقراءات القرآنية
٢٤٣	المبحث الثاني: أثر اللهجات العربية في التفسير (آيات الأحكام خاصة)

٢٥٤	المبحث الثالث: اللهجات العربية وعلم اللسانيات
٢٧١	خلاصة ونتائج
٢٧٣	دليل الفهارس
٢٧٤	فهرس الآيات القرآنية
٢٨٣	فهرس الأحاديث النبوية
٢٨٤	فهرس الأبيات الشعرية
٢٨٥	فهرس المواضع والبلدان
٢٨٦	فهرس ترجمة الأعلام
٢٩٠	فهرس المصادر والمراجع
٣١١	فهرس المحتويات